جامعة الجزائر (2)
أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

# النظام السياسي في الجزيرة العربية
# من القبيلة إلى الدولة
# 300 ق. م إلى الفتح الإسلامي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص:
التاريخ القديم

**اعداد الط**البة:
مليكة منصورية

**إشراف الأستاذ الدكتور**
بلقاسم رحماني

السنة الجامعية: 2015-2016

**بسم الله الرحمان الرحيم**

قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

الشكر لله أولا، الذي رسم لنا طريق الصواب، وأنار لنا بنوره ظلام الجهل، وأعاننا بفضله على إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى:

الأستاذ الفاضل والمحترم والمشرف "بلقاسم رحماني"، أطال الله في عمره وحفظه، والذي أتاح لي فرصة العمل معه فكان نعم المرشد والمعين على إنجاز هذا العمل

أستاذي المحترم أخلاقك الرفيعة وتواضعك المميز وعلمك الغزير جعلت منك إنسانا مثاليا إلى حد بعيد في تعامله مع الطلبة، فغرست في روح المثابرة والاجتهاد وحب العمل خاصة حينما تقول: إلى الأمام وذلك عند كل لقاء معك

# فألف شكر لك

# إهداء

باسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم

بداية أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

روح والدي الكريمين اللذان طالما تمنيت أن يكونا معي وسند لي

إلى روح أخي وصديقي نور الدين ( عبد العزيز )

والذي فارقنا منذ عام تاركا وراءه فراغا رهيبا

إلى إخوتي وأخواتي: أحمد، منير، سمير، جوهرة، خبيبة، حياة، دون أن أنسى جميع أبنائهم خاصة: عبد النور، أنفال ومحمد

إلى صديقتي وأختي وردة، والعزيزة الغالية رانية بهلول، وإلى زميلاتي في الدراسة (الماجستير) خاصة، خديجة ولويزة، دون أن أنسى عمر والطيب والسيد بولخوخ

كما أهدي هذا العمل إلى الزملاء في العمل سواء في متوسطة بلعابد محمد أو عبد الله قادري، وأخص بالذكر: حنان، هبة، فيروز، عديلة، سعيدة، سماح، سمية، نادية، فاطمة، حبيبة، مسعودة، حكيمة، نسيبة

إلى كل تلاميذي الأعزاء في كلتا المتوسطتين

وإلى كل الشرفاء في هذا الوطن

# مقدمة

يعد النظام السياسي العربي القديم من أهم المواضيع التي نالت الكثير من الاهتمام لدى الدارسين السياسيين والمؤرخين، وحظيت باهتمام المستشرقين الذين حاولوا تتبع أسس وأصول هذا النظام، وبغض النظر عن الاختلافات الكبرى التي نشأت حول هذا الموضوع والتي منبعها في الأغلب من اختلافات المدارس التاريخية التي حاولت تقزيم هذا الفعل الحضاري العربي، مؤكدة على أن العرب لم تكن لهم أية قدرة على بناء أي كيان سياسي ذا بعد محلي أوإقليمي منطلقين من كون ضمور الفكر السياسي العربي القديم تاريخيا، وضبابية التأصيل السياسي لهذا الوعي بالمنطقة.

لعل أبرز ما وقع فيه الكثير من المؤرخين الغربيين وحتى الدارسين في الوطن العربي، هو أن العربي لم يخرج من إطاره الضيق ألا وهو القبيلة التي ظلت هي النموذج في الحكم وإدارة شؤونه السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، ولقد عطل نضوج هذا الوعي السياسي، الصراع القبلي المستمر والذي كان أساسه العصبية القبلية التي أتت على الأخضر واليابس حسب زعمهم، ويدللون على ذلك بتلك الصراعات التي شهدتها بعض مناطق الجزيرة العربية، وقادتها قبائل ذات شهرة واسعة، وكذا وجدنا لها صدى كبير في الشعر الجاهلي، خاصة في الفترة التي سبقت الإسلام وعليه تم تعميم هذا النموذج على كل ماضي الجزيرة العربية القديمة، وأن هذه المنطقة لم تنتج أي نظام سياسي يعتد به، وبالتالي لم تحقق أي تطور في هذا المجال.

إلا أن الدراسات التاريخية خاصة المقارنة منها، وكذا نتائج البحوث الأثرية التي توصل إليها المختصون من خلال الحملات الكثيفة للأثريين والمكتشفين والرحالة نحو المنطقة ورغبة أوربا الجامحة في معرفة خباياها، بعد أن تناهت إلى أسماع سادتها بأن لمجتمع هذه المنطقة إسهام حضاري لا يستهان به، فإن عديد الباحثين بدأ يغير نظرته لإنسان المنطقة ولو جزئيا، وتدريجيا بدأنا نسمع ونقرأ عن دول بأكملها ذات نظام سياسي متطور، وأن تلك القبائل المتقاتلة على الدوام، حسب المستشرقين ركنت إلى الاستقرار وتأسيس كيانات سياسية وهياكل

نظامية جديدة نقلتها تدريجيا من عصر القبيلة والنزعة القبلية إلى عصر الأنظمة السياسية المتطورة آنذاك، شملت جنوب شبه الجزيرة، ووسطها وشمالها، مما يعكس انتشار الوعي لدى إنسان المنطقة إلى حد كبيرو كذا هذه النقلة ساعدت على تحقيق نوع من البناء السياسي والفكري والهيكلي، رغم ذلك ظلت العصبية القبلية مهيمنة، إلا أنها وظفت في سبيل بناء كيانات سياسية جديدة مما يشكل حالة من التطور الغير مسبوق نحو التحول من النظام القبلي إلى نظام سياسي اتخذ صورة الدولة في شكل ممالك وإمارات متعددة لها أنظمتها المختلفة، خاصة وأن الاحتكاك الحضاري بالنسبة لإمارات الشمال رسخ لدى قبائلها هذه المفاهيم السياسية الجديدة، حيث استمر وجودها إلى غاية الفترة الإسلامية .

ورغبة مني في دراسة هذه المنطقة خاصة من الناحية السياسية إضافة إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية وكذا الدينية، وابراز الإسهام الحضاري لهذه المنطقة في تاريخ الإنسانية والذي ظل المستشرقون يفندونه على مر العصور، وتوجيها من أساتذتي الكرام اخترت أن يكون موضوع بحثي في رسالة الماجستير: النظام السياسي في الجزيرة العربية من القبيلة إلى الدولة.

وتتناول هذه الدراسة فترة محددة زمانيا ومكانيا، فمن الناحية المكانية فهي تدور في منطقة الجزيرة العربية، وهي منطقة تقع في جنوب غرب آسيا، والتي يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الشمال الشرقي خليج العرب، أما من الجهة الجنوبية فيحدها المحيط الهندي، ومن الناحية الزمنية فهي تلك الفترة الممتدة من 1300 ق م إلى غاية الفتح الإسلامي.

وعليه فإن الإشكالية تدور حول النقاط التالية:

- هل تمكن العرب من التطور وتحقيق كيان سياسي جديد؟
- هل تمكنت القبيلة العربية من تحقيق النقلة النوعية والقبول بمنطق الدولة والإمارة والمملكة؟

- ما هو دور العصبية القبلية في بناء هذه الكيانات السياسية ؟
- كيف تحقق هذا التطور وماهي أثاره؟ وإلى أي مدى جسدت هذه الكيانات النقلة السياسية من القبيلة إلى الدولة؟
- ماهي أهم الدول التي قامت في الجزيرة العربية والأسس التي بنت عليها أنظمتها وهياكلها وكذا إنجازاتها الحضارية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمت بوضع خطة تتكون من مقدمة، مدخل وخمسة فصول وخاتمة، حيث سأتكلم في المدخل عن الأوضاع الجغرافية للجزيرة العربية عن تقسيماتها، تضاريسها، المناخ السائد في هذه المنطقة وكذا عن الحيوانات والنباتات فيها وبالتالي التعرف على مدى تأثيرها على سكانها.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان: النظام السياسي في الجزيرة العربية قراءة في المفاهيم وعوامل النشوء فحاولت فيه إعطاء تعريفات لأهم المصطلحات التي ستتكرر في العرض، فركزت بذلك على: القبيلة، العصبية القبلية، الدولة والدين، وقد حاولت ابراز خصوصية الدولة في هذه المنطقة.

أما الفصل الثاني والمعنون: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، فتتبعت فيه أهم التطورات التي حدثت في هذه المجالات وبالتالي مساهماتها في إحداث النقلة النوعية من نظام إلى آخر.

الفصل الثالث والموسوم: اليمن من القبيلة إلى الدولة، بدأت بدولة اليمن باعتبارها أولى المناطق في الجزيرة العربية يحدث فيها التطور من نظام القبيلة إلى نظام الدولة والذي يقوم على المؤسسات مع إظهار دور الدين في نشأة دول اليمن القديمة.

الفصل الرابع والذي حمل عنوان: النظام السياسي في الحجاز ووسط الجزيرة فتطرقت فيه إلى كل من مكة وكيفية تحولها من نظام القبيلة إلى نظام دولة المدينة ثم عرجت على كل من

الطائف ويثرب لأختم هذا الفصل بدولة كندة مبرزة النقلة السياسية التي حدثت في هذه الأقاليم الثلاث.

أما الفصل الخامس والذي جاء تحت عنوان: شمال الجزيرة من البداوة إلى الدولة، فانتقلت فيه إلى هذه المنطقة للتعريف بأهم الدول التي قامت فيها على غرار دول: الأنباط، تدمر، المناذرة، الغساسنة مع ذكر خصوصية كل دولة وتطورها السياسي.

وبعد الفصول والمدخل تأتي الخاتمة والتي ستكون حوصلة لهذه الدراسة، بما ستحتويه من استنتاجات.

لقد تطلبت هذه الدراسة إتباع المنهج التاريخي التحليلي الذي يجمع بين التحليل والتركيب، وكذلك انتهاج المنهج التاريخي المقارن في ظل الاكتشافات الأثرية ومحاولة مطابقتها مع المصادر الكتابية، ولإنجاز هذه المذكرة اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها: القران الكريم، فبالرغم أنه لم ينزل كتابا في التاريخ لكن مع ذلك فإنه يقدم لنا معلومات عن عصور ما قبل الإسلام وأخبار دولها أيدتها الكشوف الحديثة، كما أننا نجد في كتاب الله الكريم سورة كاملة تحمل اسم مملكة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهي سورة سبأ، كما يذكر أقوام عربية بادت مثل: قوم عاد وثمود.

لقد استعنت في هذه الدراسة بالقرآن للدلالة على كثير من الشواهد خاصة في الجانب الأثري على امتداد هذه الرسالة، ولم يقتصر هذا الاستشهاد على فصل معين بل اعتمدت على التوراة "كتاب اليهود" المقدس وهو يعتبر من أقدم المصادر لتاريخ العرب، وورد ذكر العرب في مواقع متعددة من أسفار التوراة، والتي استشهدت بها خاصة في الفصل الأول والخامس. وأدرجت في هذا البحث أيضا الشعر الجاهلي حيث أنه ليس هناك من شك في أن أيام العرب في الجاهلية تعتبر مصدرا خصبا من مصادر التاريخ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، فهو يوضح الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس

والروم، وتروي كثيرا مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف، ويعتبر كذلك مرآة لأحوال العرب وعاداتهم، وأسلوب حياتهم وشأنهم في الحرب والسلم والاجتماع والفرقة، خاصة شعراء الجاهلية، كشعر الأعشى، امرؤ القيس، وعامر بن الطفيل وزهير بن أبي سلمى وغيرهم استعنت بشعر هؤلاء خاصة في الفصل الأول والثاني لاستنباط بعض النظم القبلية وكذا النظام الاجتماعي السائد في الجزيرة العربية في تلك الفترة القديمة.

كما استقيت معلومات من كتاب "الجغرافيا " لمؤلفه بطليموس في معرفة جغرافية الجزيرة العربية، والتي وظفتها في المدخل وكذا في الفصل الثالث بالإضافة إلى كتاب سترابون "الجغرافية" وبالأخص في جزئه 16 فهو خاص ببلاد العرب وترجع أهميته إلى أنه أورد فيه وصفا لمدائن العرب وقبائلهم على أيامه، كما قدم وصفا للأحوال الاجتماعية والتجارية وقت ذاك، وقد استقيت معلومات منه وظفتها خاصة في الفصل الثالث والخامس. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المراجع العربية والأجنبية.

**المراجع العربية:**

– كتاب جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "ويقع هذا المؤلف في عشرة أجزاء، حيث أن الجزء الأول منه أفادني في الفصل الأول في معرفة طبقات القبائل العربية الجزء الثاني، الثالث والرابع في معرفة الحالة السياسية في الجزيرة العربية والتي وظفتها في الفصل الثالث، الرابع، الخامس، أما الأجزاء، الخامس، السادس، السابع والتاسع فاستخلصت منها نظام الحكم القبلي العربي وهذه المعلومات في الفصل الأول، وكذا الدين من حيث تنظيمه وتأثيراته وأثر الطبيعة في اقتصاد الجزيرة العربية وقد وظفتها في الفصل الثاني.

– السيد عبد العزيز سالم في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام "، وكذا كتاب "الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام" لمؤلفه: هاشم يحي الملاح، هذا بالإضافة إلى محمد عابد الجابري في كتابه "العصبية والولاة"، محمود عرفة محمود في كتابه "العرب قبل الإسلام"، أحمد مغنية

في مؤلفه "تاريخ العرب القديم"، أحمد أمين سليم في كتابه "معالم تاريخ العرب قبل الإسلام وكذا كتاب "الشرق العربي القديم" لمؤلفه: حلمي محروس إسماعيل وهذه النماذج من الكتب على سبيل المثال لا الحصر.

**المراجع الأجنبية:**

فقد اعتمدت على كتاب: فيليبي The back ground of islam، والذي استقيت معلومات منه وظفتها في الفصل الخامس خاصة فيما يتعلق بسكان الجزيرة العربية، بالإضافة إلى كتاب: Sir James, G Frazer, Golden bough, a study in magic and religion، وقد أفادني في التعرف على طبقات المجتمع اليمني القديم وخصائص الديانة فيه، هذا وقد اعتمدت أيضا على مجموعة أخرى من الكتب الأجنبية المترجمة على غرار: كتاب رودو كناكيس في كتابه: الحياة العامة في العربية الجنوبية، وكتاب موسكاني وغيرهم.

أما الصعوبات التي واجهتني، فهي فترة الدراسة والتي اتسمت بالطول، بالإضافة إلى صعوبة التوفيق بين العمل والبحث العلمي وما يتطلبه هذا الأخير من التفرغ والصبر والمثابرة.

# مدخـــل

# مدخـــل

## جغرافية الجزيرة العربية

1- الموقع، المساحة والأبعاد.

2- أقسام شبه الجزيرة العربية.

3- التضاريس والمناخ.

4- السكان.

5- الطرق والمسالك.

6- حيوانات ونباتات الجزيرة العربية.

7- تأثير العوامل الجغرافية على حياة سكان شبه الجزيرة العربية

## 1- الموقع، المساحة والأبعاد:

عرفت بلاد العرب عند مؤرخي اليونان والرومان باسم: ( ARABIA )، بينما عرفت عند مؤرخي العرب وجغرافيهم باسم: جزيرة العرب، وهي تسمية مجازية لأن بلاد العرب ليست جزيرة وإنما شبه جزيرة [1].

وقد سموها كذلك لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك لأن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأيلة وامتد إلى عبادان[2].

### أ- الموقع:

تقع شبه الجزيرة العربية في القسم الجنوبي الغربي من القارة الأسيوية، وتقريبا بين دائرتي عرض 12، 5، 30 درجة شمالا. وهذا الموقع أتاح لها فرصة التنوع في دوائر العرض التي انعكست تأثيراتها في تنوع الطقس، ومن ثم تنوع النشاط الزراعي بصورة خاصة والاقتصادي بصورة عامة [3]. (أنظر الخريطة رقم 01)

وتمتد الجزيرة العربية على شكل مستطيل غير متوازي الأضلاع مع انبعاج في قاعدة المستطيل الجنوبية، وحدود الجزيرة هي بحر القلزم ( البحر الأحمر ) من الغرب، المحيط الهندي من الجنوب وخليج عُمان والخليج العربي من الشرق أما في الشمال فتقع بادية الشام[4].(أنظر الخريطة رقم 01)

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب. تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 1، دون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون تاريخ، ص 64.

[2]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 2، دون طبعة، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986، ص 137 .

[3]- قيس حاتم هاني الجنابي، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، ط1، دار صفاء للنشر، الأردن، 2014، ص 273.

[4]- سيف الدين الكاتب، **أطلس التاريخ القديم**، ط 6، المؤسسة العلمية للوسائل العلمية، حلب، سوريا، 2012، ص 117.

**ب– المساحة والأبعاد:**

تبلغ مساحة الجزيرة العربية نحو: 3.150.000 كلم$^2$ أما أبعادها فتشير الدراسات الحديثة أن طولها يبلغ 1931كلم، ومتوسط عرضها 1126 كلم، وطول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن فيبلغ نحو1253 كلم، أما ساحلها الشرقي من رأس (الخليج العربي) شمالا حتى رأس الحد جنوبا فيبلغ نحو2413 كلم، أما عرضها في أضيق نطاق بين البحر الأحمر والخليج العربي فيبلغ نحو1206 كلم، في حين يميل إلى الاتساع بين خليج عمان والبحر الأحمر ليصل إلى 1931كلم، وطولها من رأس الخليج العربي حتى العقبة 1609 كلم، ومن البحر الغربي إلى أطراف الهلال الخصيب نحو1931 كلم[1]. (أنظر الخريطة رقم 01)

نلاحظ أن شبه الجزيرة العربية تحتل موقعا استراتيجيا فهي تعتبر همزة وصل بين قارات العالم القديم الثلاث ( آسيا، إفريقيا، أوروبا ) .

فمن الناحية الجنوبية، فهي تقترب من إفريقيا عن طريق باب المندب، أما من الشمال فهي تتصل بها مباشرة عن طريق برزخ السويس والذي كان معبرا لكثير من الهجرات من الجزيرة العربية إلى مصر وإفريقيا أما عن اتصال شبه الجزيرة بقارة أوروبا فإن وقوع الجزء الشمالي الغربي من حدودها على البحر المتوسط قد جعل بلادها مفتوحة على أوروبا لأن هذا البحر يربط بين الدول والحضارات التي تقع على سواحله في آسيا وإفريقيا وأوروبا، لذلك كان هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية موضعا لتفاعل عميق بين حضارات وادي الرافدين وبلاد الشام ومصر وغيرها من حضارات المشرق، وبين الحضارة اليونانية والرومانية طوال العصور القديمة والوسطى[2].

---

[1]– قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص، ص 274، 275.

[2]– هاشم يحي الملاح، **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2008، ص 11.

## 2- أقسام شبه الجزيرة العربية:

### أ- التقسيم اليوناني والروماني:

وقد قسم اليونان والرومان القدامى بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام:

### 1- بلاد العرب الصخرية:

(ARABIA) وهي تقع بين سوريا ومصر وهي تتضمن شعوبا مختلفة، الشعوب الذين يسكنون من جهة الشرق يعرفون بـ: الأنباط[1]، وقد خضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين، ويطلق ذلك الاسم أي العربية الحجرية على شبه جزيرة سيناء، وعلى المملكة النبطية وعاصمتها ( بطرا) أو بتراء، وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية، وبحسب مقدرة العرب [2] (أنظر الخريطة رقم 02 )، وتمتد هذه المنطقة إلى الجنوب من البحر الميت وجنوبه الغربي على أطراف الحدود بين مصر وفلسطين، وأن الأنباط يقيمون في الأراضي الجبلية المتصلة بها في شرق البحر الميت، أما الأقسام الباقية فكانت تسكنها قبائل الجنوب الغربي[3].

### 2- بلاد العرب الصحراوية:

(Arabia Deserta) وهي أرض تغطيها رمال عظيمة[4]، أما حدودها فلم يعينها الكتاب اليونان واللاتين تعيينا دقيقا، ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام، ويكون نهر الفرات الحدود الشرقية إلى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة، وأما الحدود الشمالية فغير ثابتة، بل كانت تتبدل بحسب الأوضاع السياسية، أما الحدود الغربية كانت تتبدل وتتغير[5].

---

(1)- Diodore de cicle, **Bibliothèque Historique**, T VIII, Trad : M. Fred Delahays Librairie, 1851, Paris, V2

(2)- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج 1، ط 2، جامعة بغداد، العراق،1993، ص 166.

(3)- قيس هاني حاتم الجنابي، المرجع السابق، ص 284.

(4)- Strabon, **géographie**, livre XVI, trad-par : AMEDEE TARDIEU, Paris, 1867,V1.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج1،ص 164.

وتقابل العربية الصحراوية، ما يقال لـه ( أربي )، (Aribi) عنـد الأشـوريين و( ماتوأربي) عـند البابليين، و( أرباية ) عند السريان والفرس[1].

**3- بلاد العرب السعيدة:**

(Arbia Felix) وهي أكبر الأقسام الثلاثة، وقد ذكر بطليموس أن حـدودها تبدأ من 10 كلم جنوب العقبة ثم تساير حدودها الشمالية حدود العربية الجنوبية، حيث تقع آرام إلى الجنوب ثم تسير إلى الشرق عندما تلتقي بالحدود الجنوبية للعربية الصحراوية[2].

**ب- التقسيم العربي لشبه الجزيرة العربية:**

وقد قسم العرب جزيرة العرب إلى 5 أقسام: تهامة، الحجاز، نجد، العروض واليمن[3].
**(أنظر الخريطة رقم 03)**

**1- تهامة:**

وتبدأ حدود تهامة من بحر القلزم، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر، وهي الأرض الممتدة من غرب جبال السّراة إلى البحر الأحمر، وهي تمتد من اليمن إلى العقبة شمالا، ولانخفاض أرض تهامة قيل لها الغور والسافلة وقد وردت لفظة تهامة على هذا الشكل (تهمت)، (تهمتم) في النصوص العربية الجنوبية.

وهي كلمة ترجع إلى أصل سامي قديم له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر، والتي تكون لذلك شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف[4].

ويتألف إقليم تهامة من عدة تهائم، منها ما يدخل اليمن، ومنها ما يدخل الحجاز، وتمتد تهامة شمالا حتى حدود مكة وجنوبا حتى حدود صنعاء[5].

---

[1]-جواد علي، المرجع السابق، ص 165 .

[2]- Ptolmy, **Geography**, vol, 7 V.

[3]- جواد علي ،المرجع السابق،ج1،ص 170.

[4]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 1، ص 137.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 70.

وقد أشير إلى أن" تهامة اليمن" سهل خصب تنحدر إليه الأودية من الجبال وتكثر فيه الأشجار والزروع، ومن مدنه الساحلية الحديدة ومخا وقنفذة، ومن مدنه زبيد.
ومن مؤرخي العرب من يجعل مكة من تهامة، ومن تهامة أيضا ينبع وهي مدينة صغيرة تقع بالقرب من البحر الأحمر، ومنها أيضا جدة ومكة والتي كانت عامرة بالتجارة، ومن تهامة أيضا الحديبية وتبوك وهي واحة تقع بين الحجر وبين أول الشام[1].

## 2- الحجاز:

وتمتد في شرقي تهامة سلسلة جبال السّراة من الشمال إلى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد مؤلفة إقليم الحجاز المعروف، وفي هذا الإقليم تكثر الأودية والمناطق البركانية والحرّات[2] وهي أرض رملية تحتوي على حجارة سود نخرة. وأشهر الحرات: حرة المدينة، وقد وجدت في هذه الأراضي آبار وعيون أذنت بقيام قرى كبيرة مثل يثرب[3]. (أنظر الخريطة رقم 03)

وطول الحجاز من الجنوب إلى الشمال 1126.541 كلم، وتتصل سلاسل جبال الحجاز بسلسلة جبال الشام المهيمنة على البادية، وبعض قمم هذه الجبال الحجازية مرتفعة وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل وباغ الذي يرتفع 2300 م عن سطح البحر[4].
وأهم مدن الحجاز مكة والتي كانت تمسك بزمام القوافل الصاعدة إلى البحر الأحمر، والنازلة إلى المحيط الهندي، وفيها الكعبة المزار المقدس العظيم لديهم حيث يجمعون فيها أصنامهم، وإلى الجنوب من مكة تقع الطائف[5].(أنظر الخريطة رقم 03)

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 15.

[2]- حسين الحاج حسن، **حضارات العرب في عصر الجاهلية**، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، 1984م، ص 22.

[3]- نفسه، ص 22.

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 15.

[5]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 23.

### 3- نجد:

نجد من الأقاليم الواسعة، ويتكون من صحاري وقرى في وسط شبه الجزيرة العربية، أي المنطقة الواقعة شرق الحجاز إلى الدهناء والمسماة قلب الجزيرة العربية، وهي تبدأ من حدود اليمن شمالا عند صحراء السماوة، وشرقا إلى العروض، ويكون جبل السراة حدودها الغربية وفي رأي الجغرافيين أن نجد هي الأرض العريضة إلى أعلاها تهامة اليمن، وأسفلها العراق والشام.[1]

وقد اشتهرت بالمراعي الجيدة التي تربي أجود أنواع الخيول، وقيل عنها بأنها أحسن أقطار الأرض العربية، إذ تكثر في شعاب وأودية نجد منابع العيون، وتستقر المياه قريبا من سطح الأرض، فلا يجد الإنسان صعوبة كبيرة في حفر العيون، وهذا ما يجعلها صالحة للزراعة لاسيما في فصل الشتاء[2].

وقد قسمها العرب قسمين: نجد السافلة، ونجد العالية، فالسافلة ما ولى العراق، والعالية ما ولى الحجاز وتهامة، وبنجد جبلان مشهوران هما جبلا: أجا وسلمى المنسوبان إلى طيئ[3]. (أنظر الخريطة رقم 04)

### 4- العروض:

تشمل اليمامة والبحرين وما والاهما، وإنما سميت تلك الناحية العروض لأنها معترضة في بلاد اليمن ونجد والعراق ما بين تخوم فارس إلى أقصى أرض اليمن مستطيلة مع ساحل البحر[4]. (أنظر الخريطة رقم 04)

---

[1]- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 288.

[2]- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 288.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 72.

[4]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 112.

وكانت اليمامة تسمى قديما جوا وذلك عندما نزلتها طسم وجديس فعرفت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم[1].

وقاعدة اليمامة في القديم مدينة حجر، أما البحرين فإقليم فسيح قريب من الخليج العربي وكانت قاعدتها هجر[2].

وفيها نجد وغور لقربها من البحار، وانخفاض مواضع منها، ويحتوي هذا الإقليم على أراضي زراعية خصبة تكثر فيها المياه القريبة من سطح الأرض، والتي تسهل عمليات الزراعة لاسيما في فصل الشتاء، بينما القسم الأكبر من سهل صحراوي تتخلله بعض التلال المنفصلة، وتعد واحة الإحساء و القطيف من أغنى أراضي المنطقة[3].

## 5- اليمن:

ويمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوبا والبحر الأحمر غربا، ويتصل به من الشرق حضرموت والشحر وعمان[4]، الحجاز من الشمال، وتخـترق السراة اليمن إلى الجنوب حتى البحر، وتتخللها الأودية التي تنساب فيهل الأمطار، وتشتهر اليمن بغنى محاصيلها وتنوعها واعتدال مناخها حتى أنها سميت باليمن الخضراء، وهناك حقيقة جغرافية واضحة، وهي أنها بسبب الجبال التي تقع داخلها، كانت عرضة للرياح ألموسمية فتسقط الأمطار التي تجعل أرض اليمن تجود بالبنّ أهم محاصيلها، بالفاكهة والقمح والأعناب والتوابل[5]. (أنظر الخريطة رقم 04)

---

[1]- نفسه، ج5، ص 442.

[2]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص 19.

[3]- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص، ص 289، 290.

[4]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج1، ط4،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 1996،ص 10.

[5]- أحمد أمين سليم، **جوانب من تاريخ وحضارات العرب في العصور القديمة**، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر 1997، ص ص6، 7.

## 3- التضاريس والمناخ:

### أ- التضاريس:

اختلفت مظاهر سطح شبه الجزيرة العربية باختلاف أجزائها، ويتألف سطحها من هضبة تشبه الصحراء الإفريقية في اتساعها وسهولها القاحلة الرملية والصخرية، التي تتخللها بقاع يندر فيها النبات فهي عبارة عن أرض واسعة تنحدر تضاريسها من الغرب متجهة نحو الشرق، وهي مرتفعة غربا، حيث تكثر فيها الجبال المرتفعة ومن أشهرها جبال السّراة والتي تمتد من أقصى شمال الجزيرة حتى جنوبها موازية لساحل البحر الأحمر كذلك تمتد سلسلة أخرى من الجبال المختلفة الارتفاع في جنوب جزيرة العرب، وتتراوح ارتفاعاتها ما بين 3048 م إلى 1220م وتتخللها وديان كثيرة، ويتميز الجبل الأخضر من بينها بارتفاعه الشاهق الذي يبلغ 3017،52 م[1].(أنظر الخريطة رقم 05)

وتكثر الحرات (الحرار) في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وتمتد حتى تصل بالحرار التي في بلاد الشام، في منطقة حوران، ولاسيما في الصفاة وتوجد في المناطق الوسطى، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق وفي المناطق الجنوبية الغربية، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المندب[2].

وتتصف الطبيعة الصحراوية لجزيرة العرب باختلافات متباينة في كافة أرجاء الجزيرة، ففي أقصى الشمال تتميز المنطقة الصحراوية برمالها البيضاء والحمراء، حيث تغطي معظم شمال الجزيرة وتشكل كثبان رملية يطلق عليها اسم " النفوذ "[3] .

وكانت تسمى قديما بادية السماوة أو رملة عالج[4]، تمتاز بكثبانها الرملية الناعمة اللينة والتي يصعب على المرء السير فيه، إذ يبلغ ارتفاع بعض الكثبان نحو150 م، ويبلغ طولها

---

[1]- محمود عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، ط1، كلية الآداب، القاهرة، مصر، 1995، ص ص 17،18.

[2]- جواد علي، المرجع السابق،ج1، ص 147.

[3]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق،، ص 19.

[4]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 70.

من واحة تيماء إلى الشـرق نحو450 كلم وعرضها من واحة الجوف إلى جبل شمّر بنجد حوالي 350 كلم[1].

وتلي منطقة النفوذ منطقة طولية واسعة أرضها حمراء تسمى " الدهناء "[2] (أنظر الخريطة رقم06)، والتي تمتد من صحراء النفوذ إلى حضرموت في الجنوب، ومن اليمن غربا إلى عمان شرقا، وتقدر مساحتها 129499،41 كلم$^2$، وتعرف الأجزاء الجنوبية منها في الوقت الحاضر باسم " الربع الخالي " لخلوها من الناس[3]. وكانت تسمى قديما بـ" مفازة صيهد "[4]، أما القسم الغربي من الدهناء فيطلق عليه اسم " الأحقاف "، وأرض الدهناء بالرغم من جفافها وخلوها من الماء كانت إذا سقطت عليها الأمطار الموسمية نبتت فيها الأعشاب مدة ثلاثة شهور[5].

كما يمتد شريط من السهول الساحلية الضيقة يلف الجزيرة في أطرافها، تبدأ هذه السهول من خليج العقبة الذي يحتوي على سهل تهامة الذي يمتد حتى اليمن فحضرموت وأخيرا يشمل المناطق الساحلية للخليج العربي، ويتم هذا الإطار في الشمال في سهول الهلال الخصيب وسهلا دجلة والفرات وسهول الشام وفلسطين[6].(أنظر الخريطة رقم 04)

## ب- المناخ:

تباينت الظروف المناخية في شبه الجزيرة العربية تبعا لطبيعية التضاريس، والموقع الذي أثر في شكل المناخ، وعلى العموم فإنه يتميز بكونه حار وجاف في أغلب جهاته صيفا، بينما يكون باردا شتاء وتكون حرارته أكثر في الجهات الصحراوية بصورة خاصة[7].

---

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 69.

(2)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق،، ص 19.

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 69.

(4)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج3، ص 448.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 69.

(6)- شكري فيصل، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1973م، ص 8.

(7)- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 282.

وبالرغم من إحـاطة البحار بشبه الجزيرة العربية من ثلاث جهات فإنها لم تفلح في مقاومة عوامل الجــفاف بصورة قوية لأن كلاّ من البحر الأحمر والخليج العربي لم يساعدا على الحد من شدة الجفاف وذلك لضيق كل منهما، أما المحيط الهندي في الجنوب فإن رطوبته قد ساعدت على سقوط الأمطار في الأطراف التي تليه من شبه الجزيرة العربية[1].(أنظر الخريطة رقم 06)

لما كانت معظم بلاد العرب صحراء، فقد اعتمدوا على الأمطار في الرعي والزراعة، ولذلك اهتم العرب بتمييز أنواع السحب الممطرة، وبرعوا في التنبؤ بسقوط الأمطار، وسموا السحاب الذي يرجى منه المطرب " الخلق " وسمو السحاب الذي يرجى منه المطر، وسموا السحابة التي يدوم مطرها بالسحابة الداجنة، وتسقط الأمـطار على جبال اليمن العربية بغزارة في فصل الصيف وتنزل في تهامة اليمن في الشتاء أحيانا، ويبلغ تأثير الرياح الموسمية حتى الطائف ففيها تنزل الأمطار في أواخر الصيف، أما في الشتاء فتسقط الأمطار في شمال بلاد العرب وفي وسطها، والأمـطار في بعض الأحيان تشح وقد تنقطع، وينتج عن ذلك جدب وقحط يطول أمده، وفـي حالة الأمطار الغزيرة والسيول تتعرض البلاد للأخطار فتتساقط المنازل وتطيح السيول بالمزارع[2].

وقد أبيدت شعوب وأمم بالسيول والفيضانات، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [3].

لقد ترتب على توزيع الأمطار على هذا النحو، على أقاليم شبه الجزيرة العربية أن ظهر نمطان أساسيان من أنماط الحياة فيها، ففي المناطق التي تسقط فيها نسبة من الأمطار تساعد

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 20.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 78،79.

[3]- القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية، 15،16.

على ظهور الزراعة المستقرة، المنتظمة ويؤدي هذا إلى ظهور الحياة الحضرية بتفرعات مؤسساتها الاجتماعية والسياسية، وقد ظهر هذا جليا في اليمن، وفي شمال الجزيرة العربية ووسطها، أما المناطق التي تعاني من ندرة الأمطار أو انعدامها فقد غلبت الحياة البدوية على أهلها، والتي تتجلى في التنقل و الترحال الدائمين بحثا عن الماء والكلأ لماشيتهم. إن الماء في الجزيرة يعد عاملا أساسيا في الاستقرار والذي يؤدي بدوره إلى الإبداع الحضاري في حالة توفره بصفة دائمة.

## 4- سكان شبه الجزيرة العربية:

العرب هي كلمة وردت في النصوص اليمنية القديمة وتطلق على الأقوام أو القبائل التي كانت تقطن شبه الجزيرة العربية منذ القدم، وقد اصطلح العلماء على اعتبار هذه الأقوام من الشعوب السامية التي كونت سكان هذه المنطقة منذ أن عرف الماضي التاريخي لها، لقد لاحظ علماء اللغات[1]، أن صفات مشتركة تطبع هذه الشعوب بطابعها، فهي تشترك في كثير من نظمها السياسية وتقاليدها الاجتماعية وخصائصها اللغوية، وأوجه الشبه ظاهرة بين اللغات التي يتكلّمها أفرادها، وهي اللغات العربية والعبرية والسريانية والأشورية والبابلية والكنعانية والفينيقية والآرامية والحبشية والنبطية ولهجات اليمن الجنوبية[2].

وقسم العلماء اللغات إلى سامية وحامية [3]، وإنما هناك صلات لغوية بين طائفة من اللغات تدل على أنها ترجع إلى أصل لغوي واحد، إذ تتشابه في أصول أفعالها وأزمانها وقد قسمها علماء اللغات إلى شمالية وجنوبية وقسموا الشمالية إلى شرقية وغربية، أما الشرقية فاللغة الأكدية (البابلية والأشورية)، وأما الغربية فاللغة الأوجاريتية والكنعانية (الفينيقية والعبرانية

(1)- تيودور نولدكه: **اللغات السامية**، تر. رمضان عبد التواب، ط1، القاهرة 1962، ص 8.

(2)- توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان 1996، ص 36.

(3)-إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر 1929 م، ص 3.

والمؤابـية) ثم الأرامية، وقسموا الجنوبية إلى عربية شمالية وهي الفصحى وعربية جنوبية وهي لغة بلاد اليمن ثم الحبشة[1].

وقد بحث العلماء عن المهد الأصلي لأسلاف الناطقين بهذه اللغات السامية فرأى نفر منهم أن أرض بابل كانت المهد الأول للسامين، ورأى آخــرون أن جزيرة العرب هي المهد الأول لأبناء سام، وخصص فريق آخر موطنا معينا من جزيرة العرب ليكون وطن سام وأبنائه الأول، وذهب قسم آخر إلى إفريقية فاختارها لتكون ذلك الوطن، لما لاحظه من وجود صلة بين اللغات السامية والحامية، ورأى قوم في أرض الأموريين الوطن الصالح لأن يكون أرض أبي الساميين، في حين ذهب قوم آخر إلى تفضيل أرض أرمينية، ولكل حجج وبراهين[2] ومهما يكن المهد القديم لأصل نشأتهم الذي يتعمق في عصور ما قبل التاريخ فإن الباحثين يتفقون على أن موطنهم في العصور التاريخية هو الجزيرة العربية[3]، فقد نزلوا واستقروا فيها وعاشوا حياة مشتركة، اكتسبوا خلالها هذا التشابه في لغاتهم[4].

وقد وردت لفظة "عرب" بكثرة في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد في صيغ متعددة منها : (Arbi-Urbi-Aribi) بمعنى البادية الواقعة إلى الغرب من بلاد الرافدين، وهي بادية العراق، ثم ظهر لفظ Arbaya (عربايا) فيما يقرب سنة 530 ق م لأول مرة في النصوص الفارسية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام بما فيه شبه جزيرة سيناء، وكذلك وردت الألفاظ في الأسفار القديمة من التوراة بمعنى البدو في حين كان السكان من الحضر يسمون بأسماء قبائلهم، وبأساء المواضع التي ينزلون فيها[5]، ثم أخذ اليونان يذكرون لفظة عرب في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وذلك عندما ذكر هيرودوت ملك

---

(1)- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي**، ط24، دار المعارف القاهرة مصر، 2003 م، ص 22.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 229.

(3)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 22.

(4)- نفسه، ص 23.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 43،44.

العرب الذي استنجد به قمبيز عند حملته على مصر[1]. ويعتبر القرآن الكريم أول المصادر الذي ذكر فيها لفظ العرب، أري في هذا المعنى صراحة، في قوله الله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]، وكذلك قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[3]، إذ يخاطب القرآن هؤلاء العرب بهذه الصيغة فهي دلالة على وجود أمة قائمة بذاتها قبل الإسلام بينما الشعر الجاهلي يخلو من لفظة العرب، فإن الشعر بعد ظهور الإسلام وورود كلمة "عرب" في القرآن مهدت لشعراء هذه الحقبة بظهور لفظة العرب في كثير من أشعارهم.

ولكن النقوش اليمنية القديمة تذكر لفظ "العرب" كما ترد في نقش "النمارة "لصاحبه امرئ القيس ملك الحيرة الذي دفن جنوبي دمشق عام 328 م حيث ترد عبارة" ملك العرب" ويقصد بها الأعراب ( البدو) كما نجدها في لقب تبع الأكبر ملك اليمن الحميري الذي تسميه النقوش اليمنية ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وعربهم في الجبال وتهامة[4].

## 5- الطرق والمسالك:

إن تضاريس الجزيرة العربية قد اتصفت بالتنوع، إلى جانب الصحاري القاحلة، كصحراء الربع الخالي، توجد الأقاليم الخصبة كبلاد اليمن وغيرها وإلى جانب البوادي الجافة، كانت توجد الوديان والآبار التي تتواجد فيها المياه وتقام حولها المزارع، وقد مكن هذا الواقع الجغرافي العرب من العيش وفق نمطين من أنماط المعيشة، وهما نمط الحياة البدوية، ونمط الحياة الحضرية[5].

---

[1]- هيرودوت،تاريخ هيرودوت، بدون طبعة، تر: عبد الإله الملاح، **المجتمع الثقافي أبوظبي**، الإمارات العربية المتحدة 1996، فقرة، 219.

[2]- القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية 3.

[3]- القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية7 .

[4]- أحمد أرحيم هبو، **معالم حضارة الساميين وتاريخهم**، ط1، دار الرافعي، سوريا 2003، ص 72.

[5]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 19.

كما ساعد هذا الواقع على وجود طرق للقوافل تقطع شبه الجزيرة العربية في كل اتجاه:

## 1- الطرق البرية:

من نتائج غلبة الطبيعة الصحراوية على أرض جزيرة العرب أن انحصر امتداد شرايين المواصلات فيها في أماكن خططتها الطبيعة نفسها للإنسان، فجعلتها تسير بمحاذاة الأودية، ومواضع المياه والآبار، وهي السبل الوحيدة التي يستطيع المسافر ورجال القوافل أن يستريحوا في مواضع منها، ويحملون منها الماء، وتنتهي هذه الطرق بالعراق وبلاد الشام في الشمال وبالعربية الجنوبية وموانئها في الجنوب، وهناك طرق أخرى امتدت من العربية الشرقية إلى العربية الغربية ولها مراكز اتصال بالطرق الطولية الممتدة من الشمال إلى الجنوب في الغالب، وقد أقيمت في مواضع من هذه الطرق سكنى ذات مياه وآبار فصارت منازل مريحة لرجال القوافل يحمدون آلهتهم عليها، وفي العقد الحساسة من هذه الطرق نشأت المستوطنات ومواطن السكنى القديمة، انتشرت في أماكن متباعدة بعضها عن بعض، فكان لهذا التوزيع أثر كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية[1].(أنظر الخريطة رقم 05)

وتعد نجران من أهم المواضع الحساسة في شبكة المواصلات البرية، ففيها تلتقي طرق المواصلات الممتدة في الجنوب، وفيها يتصل الطريق البري التجاري المهم الممتد إلى بلاد الشام فيلتقي العربية الجنوبية، ومنها يسير الطريق المار إلى الدواسر، فالأفلاج، فاليمامة أو ساحل الخليج ومنه إلى العراق[2].(أنظر الخريطة رقم 06)

إن هذه القوافل لم تكن تحمل فقط البضائع وإنما كانت تحمل أيضا تجارا مزودين بثقافتهم المحلية مما سيحدث تفاعلا حضاريا مع الأقوام التي يتصلون بها، ويكون بذلك هذا التفاعل متبادلا.

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 220.

[2]- نفسه، ص 221.

## 2- الطرق البحرية:

رغم وقوع شبه الجزيرة العربية على مساحات مائية شاسعة إلا أنها لم تستفد منها، ويرجع ذلك لعدة عوامل منها الشعب المرجانية على شواطئ البحر الأحمر وبخاصة الشمالية منه، كما أن الخليج العربي تعوز سواحله المياه الصالحة للشرب مما عطل إمكانية استخدام هذه الشواطئ في العصور القديمة، يضاف إلى ذلك عدم وجود الأخشاب الصلبة الطويلة لبناء السفن في شبه الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى عدم وجود نشاط بحري عربي في شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، وقد بدأ النشاط البحري لدول شبه الجزيرة العربية بعد إنشاء مدينة الإسكندرية، ولذلك فالنشاط البحري في هذه المنطقة بدأ متأخرا فظهر نشاط تجاري بحري بين مدينة جوهاء على ساحل الخليج العربي وبلاد الرافدين، كما وجد نشاط بحري تجاري بين شرق الجزيرة والصين، أما النشاط التجاري في البحر الأحمر فقد ازداد خلال عصر البطالمة واستمر خلال العصر الروماني[1].(أنظر الخريطة رقم 06)

ويلاحظ أن أهم المنتجات التي استخدمت في التبادل التجاري بين الأطراف التي عملت بالتجارة فهي: بتر الذهب، الصمغ، العاج، ريش النعام، البخور واللبان والمر، وهي المواد المصدرة من الجنوب إلى الشمال، أما أهم الصادرات الشمال إلى الجنوب فهي الأقمشة والآلات والأدوات والمعادن والملح[2].

## 6- حيوانات ونباتات الجزيرة العربية:

**1- حيوانات الجزيرة العربية:** كانت أهم الحيوانات التي عرفتها الجزيرة العربية وورد ذكرها كثيرا في الشعر القديم تتمثل في النمر والفهد والضبع والذئب، والثعلب والأسد، والذي اشتهر بنحو مائة مرادف لاسمه عند العرب، وكانت الحيوانات الأليفة التي اعتمد عليها العربي في حياته هي الغنم والماعز وكلاب الحراسة والحصان والجمل[3].

---

[1]- أحمد أمين سليم، **معالم تاريخ العرب قبل الإسلام**، بدون طبعة، مكتبة كريرية إخوان، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص، ص 33،34.

[2]- أحمد أمين سليم، **جوانب**، المرجع السابق، ص 19.

[3]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 22.

وقد يصعب تصور الصحراء صالحة للعيش بدون الإبل فهي قوام أهل البداوة ومطية تنقلهم ووسيلة معاملاتهم، فمهر المرأة ودية القتيل وثروة الشيخ كل أولئك تحسب بعدد الإبل، والإبل هي رفيقة البدوي التي لا تفارقه ومعينه، يشرب لبنها ويتلذذ بأطايب لحمها ويلبس جلودها[1].

وقد تغنى الشعراء القدامى للعرب بالجمل والناقة لما كان هذا الحيوان من الصبر لعبور القفار الخطرة في الصحراء، وهذا طرفة بن العبد يصف ناقته قائلا:

وَإِنِي لاُ مْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ ... بِعَـوْجَاءَ مِـرْقَالٍ تَـرُوحُ وَتَغْتَـدِي
أَمـونٍ كَأَلْـوَاحِ الإِرانِ نَصَأتُـها ... علـى لاحِـبٍ كأَنّـهُ ظَهْـرُ بُرْجُـد
تُبارِي عِتَاقاً ناجِياتٍ وَأَتْبَعَـتْ ... وَظيـفاً وَظيـفاً فَـوْقَ مَـوْرٍ مُعَبَّد
تَرَبَّعَتِ الْقُفّيْنِ فِي الشَّـوْلِ تَرْتَعِـي ... حَدَائِـقَ مَـوْليَّ الأسِـرَّة أَغْيَـد
تَرِيعُ إِلىَ صَوْتِ الْمهِيـبِ وَتَتَّقـي ... ذي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكلَفَ مُلْبِدِ[2]

ويرى العلماء أن الإنسان ذلل الجمل حتى صيره أليفا مطيعا في الألف الثانية قبل الميلاد، وقد ذهب بعضهم أن العربية الشرقية كانت الموطن الذي ذلل فيه هذا الحيوان في الشرق الأدنى[3].

إن البداوة الحقيقية لم تظهر في الجزيرة العربية إلا في أواخر النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد، وذلك بتدجين الإنسان للجمل لخدمة أغراضه، فتفتح له بذلك أبواب البوادي وتمكن من التوغل فيها واجتيازها، أما قبل الجمل فقد كان العربي لا يستطيع اجتياز البوادي واختراقها لأن حماره لا يتحمل ولوج البادية ولا يستطيع أن يعيش[4] فيها، وأن يصبر

---

(1)- فيليب حتي، **العرب تاريخ موجز**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1991، ص 20.

(2)- إيفاد قاجز، **الشعر العربي القديم**، ط 2 تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010، ص 192.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 197.

(4)- نفسه، ص 198.

على شرب الماء، أو الأكل صبر الجمل، فالجمل هو الذي فتح لأهل الجزيرة آفاق البداوة ووسعها عندهم حتى جعلها عالما خاصا يقابل عالم الحضارة في الجزيرة العربية[1].

أما الخيل فإن تاريخ دخولها إلى هذه المنطقة كان متأخرا، أما اقتناء هذه الخيول فقد كان مقتصرا على الأثرياء نظرا لما تحتاج إليه هذه الحيوانات من العناية، ما لم يكن للبدو من غير الأغنياء طاقة عليه[2]. وقد حضيت الخيل بمرتبة عالية عند هذه الفئة من العرب ورد وصف لها وسرعتها في كثير من أشعارهم، وأشهر ما جاء على لسانهم في وصف هذا الحيوان ما قاله امرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجردٍ قيد الأوابد هيكلي
مكرٍّ، مفرّ، مقبلٍ، مدبرٍمعاً ... كجلمودِ صخرٍ حطّه السيل من عل
كُمَيْتٍ يَزِل اللبْدَ عن حاذ متْن ... كما زَلت الصّفْواءُ بالمُتَنَزّلِ
على الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهتزامَهُ ... إذا جاشَ فيهِ حميُهُ غَليُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إذا ما السَّابحاتُ على الوَنَى ... أَثَرْنَ الْغُبارَ بالكَديدِ المرَكلِ[3]

والبقر من الحيوانات القديمة في بلاد العرب وهي من الحيوانات الملازمة لأهل الحضر في الغالب، ولاسيما أهل الريف، أما البدو فإن استفادتهم منها غير ممكنة، وكان يستفاد من ألبانها ولحومها وجلودها كما يستفاد منها في حرث الأرض، وفي سحب الماء من الآبار وفي جر العربات[4].

---

[1]- جراد علي، المرجع السابق، ص 198.

[2]- ديزيره سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت لبنان 1995، ص 16.

[3]- لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2010، ص-ص، 12-25.

[4]- أحمد أمين سليم، **جوانب**، المرجع السابق، ص، ص، 17، 18.

## 2- نباتات الجزيرة العربية:

اشتهرت شبه الجزيرة بزراعة النخيل في الحجاز، والقمح والشعير والذرة والأرز في اليمن وعمان والحساء ومن مزروعات اليمن الشهيرة اللبان والمر، وبعض الأشجار الأخرى التي يستخرج منها الصمغ والبخور، كما اشتهرت لدى عرب الجزيرة أنواع من النباتات الصحراوية كشجر السنط، والآثل والغضا الذي ينتج منه الفحم والطلع الذي يستخرج منه الصمغ، وكان العرب يزرعون في الواحات الرمان، التفاح، المشمش، اللوز والليمون، البطيخ ( وكان كما يروى محبب للرسول صلى الله عليه وسلم ) بالإضافة إلى زراعة الموز[1].

وقد دخلت أشجار الكرمة إلى شبه الجزيرة العربية في حوالي القرن الرابع الميلادي وأشهر مناطق الكرمة في الطائف، ويستخرج منها الشراب المعروف بنبيذ الزبيب، ويعتقد البعض أن اليهود هم الذين أدخلوا زراعة هذه الفواكه إلى شبه الجزيرة العربية[2].

## 7- تأثير العوامل الجغرافية على حياة سكان شبه الجزيرة العربية:

نستنتج مما سبق ومما تم عرضه أن الجزيرة العربية ذات طبيعة صحراوية وذات مناخ جاف في أغلب أرجائها، فكانت للأوضاع الجغرافية والتضاريس تأثير كبير على سكانها فأدى هذا إلى ظهور:

### 1- البداوة والحضارة:

إن ندرة المياه في الجزيرة العربية ونزولها على الأطراف منها أدى إلى ظهور نمطين من المعيشة في هذه الجزيرة: البدو والحضر، بينما الصنف الأول غلبت عليه حياة الترحال والتجوال، طلبا للماء والمرعى.

فضل الصنف الثاني من السكان الاستقرار لتوفر المياه التي تساعد على ممارسة الزراعة وأنشطة أخرى كالتجارة والصناعة، فاختلفت بذلك الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تقوم

---

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 35.

[2]- نبيه عاقل، **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**، ط3، دار الفكر، دمشق، سوريا 1983، ص 26.

عليها حياة القسمين، هذا الاختلاف أدى بالبدو إلى الاكتفاء بمتطلبات العيش الضرورية للحياة.

بينما الحضر فقد تجاوزوا هذه المتطلبات إلى الوصول إلى الكماليات، وكونوا بذلك مجتمعات متحضرة ذات نظم تختلف عن مجتمعات البداوة، وكان الفارق الكبير بين الطرفين هو الاستقرار الذي أوجد مجتمعا منظما أساسه اقتصادي وانعدام هذا النظام الاقتصادي (الزراعي- التجاري- الصناعي ) لدى البدو وحرمهم من تأسيس كيانات سياسية كما كانت توجد في الأطراف أو حتى في وسط شبه الجزيرة العربية.

**2-** إن وجود القوافل التجارية في الجزيرة العربية، والتي كانت تربط بين أجزائها المختلفة أدى إلى نوع من التأثر والتأثير فإلى جانب البضائع التي كانت تحملها هذه القوافل، كانت تحمل أيضا الأفكار والعقائد والعادات المختلفة مما سيؤدي إلى نوع من التفاعل المتبادل و بتدجين الجمل سفينة الصحراء أصبح البدوي ينتقل في أرجاء الجزيرة وأصبح يمارس التجارة، مما أدى إلى تغيير في نوع النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه سابقا، وأصبح على احتكاك متواصل بأطراف الجزيرة أين تأسست المراكز الحضارية الكبرى في ذلك الوقت، وبتشكل المدن في طرق القوافل التجارية التي كانت تربط شمال الجزيرة بجنوبها أدى هذا إلى تبادل تجاري وحضاري وخروج البدوي من حالة العزلة التي كان يعيشها واتصاله بالثقافات العديدة التي كانت في ذلك الوقت.

**3-** ثم إن الهجرات الكبيرة لسكان الجزيرة العربية تحت تأثير العوامل الطبيعية خاصة الجفاف وندرة المياه، وحتى النزاعات الداخلية أدى هذا كله إلى الاتصال بالأقوام المتحضرة أوحتى الاستقرار في مناطق تحتوي على المياه مما أدى بها إلى تأسيس حضارات عديدة تركت بصماتها في تاريخ الإنسانية على غرار الحضارة الرافدية التي اشتهرت بأقدم التشريعات في التاريخ من خلال تشريعات حمورابي وكذلك الحضارة الفينيقية التي ابتكرت الأبجدية والتي تفرعت منها الأبجديات القديمة، وكان أصول هذه الأقوام من شبه الجزيرة العربية والتي تحمل في جذورها الأصل السامي.

# الفصل الأول

## النظام السياسي في الجزيرة العربية قراءة في المفاهيم وعوامل النشوء

# محتويات الفصل

1- **المبحث الأول**: القبيلة

2- **المبحث الثاني**: العصبية القبلية

3- **المبحث الثالث**: مصطلح الدولة

4- **المبحث الرابع**: الدين والدولة في الجزيرة العربية

# المبحث الأول: القبيلة

## 1- تعريفها:

### أ- لغة:

سميت القبيلة قبيلة لتقابل بعضها واستوائها في العدد، وهي بمنزلة الصدر من الجسد، وهي دون الشعب، والشعب الذي يجمع القبائل وتتشعب منه، ويشبه الرأس من الجسد[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [2].

### ب- اصطلاحا:

القبيلة أسرة كبيرة تتكون من أبنائها الذين يؤمنون بالانضمام إليها ويحترمون عرفها المتفق عليه فيما بينهم ويتعصبون لها ويدافعون عنها ويبذلون في سبيلها كل غال ونفيس[3].

قام المجتمع العربي على أساس قبلي، وكان الفرد العربي في القديم يخضع لقبيلته ويخدمها بحكم عصبيته ورابطة الدم والولاء ولا يمكن لأحد أن يتسامح في هذه المسألة مع أي من الأفراد يقول دريد بن الصمة:

ومَا أنَا إلا من غزيه إنْ غوَتْ غوَيْتُ وإنْ تَرشُدْ غزَّيَةُ أَرْشُدِ

وكانت القبيلة بالمقابل تؤمن لأفرادها الحماية، وتذود عنهم وتنصرهم ظالمين أو كمظلومين ومن هنا قيل أنصر أخاك ظالما كان أو مظلوما[4].

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، ط1، تح: مفيد قمحية، حسن نور الدين ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2004، ص 303.

[2]- القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

[3]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 49.

[4]- ديزيره سقال، المرجع السابق، ص 84.

## 2- طبقات العرب:

وبقيام المجتمع العربي القديم على أساسا قبلي، فقد عني العرب بأنسابهم عناية كبيرة، ولم تكن عنايتهم بالأنساب وقفا على أنساب الناس وقبائلهم، وإنما تجاوزت ذلك للحيوان، إذ صنف القدماء كتب في أنساب[1] الخيل وسلالاتها ككتاب أنساب الخيل لابن الكلبي[2].
**(أنظر صورة الكتاب ص ...)**

ويكاد الرواة والإخباريون يتفقون على أن العرب قسمان:

### 1- العرب البائدة:

ويطلقون عليهم العرب العاربة، على التأكيد للمبالغة كما يقال ليل لائل، صوم صائم[3]، وهي مجموعات بشرية لا نعلم عن أحوالها إلا القليل، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعضها.

ورغم أن الكثير من المستشرقين قد شككوا في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة، وخاصة حين عجزوا عن العثور عن أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أوفي الكتب الكلاسيكية.[4] لكن تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها، ومن حل رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابة الثمودية، وقد اتضح أن بعض هذه الأقوام أو أكثرها قد عاشوا بعد المسيح، ولم يكونوا موغلين في القدم على نحو ما تصوره الرواة، ولعل هذا كان السبب في رسوخ أسمائها في مخيلة الإخباريين[5].

ومن أشهر القبائل العربية القديمة المكونة لهذه الطبقة:

---

(1)- عبد العزيز نبوي، **دراسات في الأدب الجاهلي**، ط3، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، 2004، ص 22.
(2)- نفسه، ص 22.
(3)- مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1999، ص 49.
(4)- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 23.
(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 299.

**أ- قبيلة عاد:** وقد ذهب الإخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد هما[1]:

## 1- عاد الأولى:

وتنسب هذه القبيلة إلى عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانت عاد الأولى في زعم أهل الأخبار من أعظم الأمم بطشا وقوة، وكانت مؤلفة من عدة بطون تزيد عن الألف منهم: رفد، زمل، ضدّ، العبود[2].

## 2- عاد الآخرة:

وهم من بني اللوذية المهدي (من قبيلة عاد) وبنو اللوذية بن هزال بن هزيل بن هزيلة ابنة بكر، وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ولم يكونوا مع عاد بأرضهم[3].

والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الإخباريين من الآية: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١﴾ [4]. وكانت أرض عاد وولده بالأقحاف[5]، وهي منطقة تمتد بين اليمن وعمان إلى حضرموت و الشحر[6]، وقد ورد ذكر قبيلة عاد في القرآن الكريم حيث قال تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٢١﴾ [7]

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 301

[2]- الطبري، **تاريخ الطبري**، تاريخ الأمم والملوك، ج1،ط1، مر : نواف الجراح، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003، ص 71.

[3]- نفسه، ص 73.

[4]- القرآن الكريم، سورة النجم، الآية 50 – 51.

[5]- المسعودي : **مروج الذهب**، ج2،ط1، مر :كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 2005، ص 41.

[6]- ابن خلدون، **كتاب العبر**، دون طبعة، تح: أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، دون تاريخ، ص 338.

[7]- القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية 21.

على أن النبي الذي بعث فيهم هو هود عليه السلام، ومن أهل الأنساب من يقول أن هودا هو عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[1]، وقد دعاهم للتوحيد ونبذ الأصنام لكن قوبل برفض مقاومة شديدة أدت إلى إنزال العذاب بهم، قال عز وجلّ:﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2].

قال عز وجلّ:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ [3] ﴿٨﴾.﴾

## ب- قبيلة ثمود:

وهي قبيلة مشهورة تنسب إلى ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك[4]. ويرد اسم ثمود في الكتب العربية مقرونا باسم عاد، والروايات العربية الواردة عنهم لا تعرف عن تاريخهم شيئا، إنما وردت عنهم قصصا أوردتها ما ذكر عنهم في القرآن الكريم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير، وقد جاء اسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم منفرد أو جاء مقرونا باسم شعوب أخرى مثل قوم نوح

[1]- المسعودي، المرجع السابق، ص 71.

[2]- القرآن الكريم، سورة هود، الآية 53 -54.

[3]- القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية 6، 7، 8.

[4]- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 1، ط2، مر : محمد ناصر الدين الألباني، دار الإمام مالك للكتاب، باب الوادي، الجزائر 2009، ص 183.

وعاد[1] . كما جاء في سورة هود، قال الله تعالى: .... وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ [2]﴾.

كما ذكرت ثمود مع عاد في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3]. كما ذكرهم القرآن الكريم مع أقوام أخرى كقوم فرعون كما جاء في سورة الفجر في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ [4] .﴾

كما صور لنا القرآن نهاية هذه القبيلة بعدما عصوا نبيهم الذي بعث إليهم وهوالنبي صالح بن أسف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جائر بن إرم بن سام بن نوح[5]. قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ [6]﴾.

وإنّ أهل التوراة يقولون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا هود ولا صالح في التوراة، وإن أقوام كل من عاد وثمود عند العرب في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه[7]، وقد وردت أسماء

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 322.

[2]- القرآن الكريم، سورة هود، الآية، 50، 53.

[3]- القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية 13.

[4]- القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية 6، 7، 9، 10.

[5]- الطبري المرجع السابق،ج1، ص 75.

[6]- القرآن الكريم، سورة القمر، الآية 31.

[7]- الطبري المرجع السابق،ج1، ص 77.

هاتين القبيلتين في أشعار الجاهليين على سبيل التمثيل بمصيرهم التعس كدليل على معرفة أقوام العرب الجاهليين لهذه الأمم فقد قال الأعشى:

ألـــم تــرْوَا إرَمًا وعــادا أودى بـــها الليلُ والنهارُ

بادوفلــما أن تـــآدوا قفى على إثرهم قدارا [1]

وقال حباب بن عمرو، وكان ممن اعتزل قومه من المؤمنين، وبن عن ديارهم:

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة ما إن يـضام لهم في الناس من جار

لا يرهبون من الأعداء حولهم وقـــع السيـــوف ولا نــزعا بأوتــار

فأهلكوا ناقة كانــت لربهـــم قــد أنـــذروها وكانــوا غيـــر أبـــرار

نادوا قدارا ولحم السّقب بينهم هل للعجـول وهـل للسقـب من ثـار

لم يرعيا صالحا في عقر ناقته وأخفـروا العهـــد هذيـا أي خـــفار

فصادفوا عنده من ربه حرسا فشد خوا رؤوسهم شد خا بأحجار[2]

ويذكر المسعودي أن منازلهم منحوتة في الجبال، ورسومهم باقية بادية وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار ومساكنهم على قدر أهل عصرنا، وهذا ما يدل على أن أجسامنا على قدر أجسامهم دون ما يخبر به القصّاص[3].

[1]- الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، دون طبعة، شرح : محمد حسني، مكتبة الأدب مصر، دون تاريخ، ص 281.

[2]- المسعودي، المرجع السابق، ج 2، ص 35.

[3]- المسعودي، المرجع السابق، ص 33.

وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات الكلاسيكية، فوجدوا اسم ثمود في النصوص الأشورية، حيث وجدوه في نصوص سرجون الثاني وقد دعوا (Tamudi) و(Thamudi)، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الأشوريين وبين هذه الشعوب وقد انتصر فيها الأشوريون، كما وجدوه في الكتابات والنصوص الثمودية، وقد عثر عليها في مواضع متعددة في جزيرة العرب، وفي النصوص الكلاسيكية حيث عرفوا باسم ( Thamudini) و( Thamudenai)[1].

وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد كبير من النقوش الثمودية في أرض تبوك ومدائن صالح بتيماء، وفي جبل رم وفي الطائف[2].

## ج- طسم وجديس:

هما قبيلتان من قبائل العرب البائدة، يرتفع نسبها إلى لاوذ بن إرم[3]، ولم يرد لهاتين القبيلتين ذكر في القرآن الكريم.

ويذكر علماء العرب أن طسم و جديس كانوا من ساكني اليمامة، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرا، لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة، وكان عليها ملك من طسم ظلوم غشوم يقال له عملوق مضرا بجديس مستذلا لهم، وكان من ظلمه أن لا تهدي بكر من جديس إلى زوجها حتى تدخل إليه فيفترعها[4].

وكانت هناك امرأة من جديس تدعى الشموس وهي ابنة غفار وهومن رؤساء جديس، فافتضها عملوق، فقال الأسود بن غفار وهومن رؤساء جديس: " قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار، أطيعوني أدعوكم إلى عز الدهر، فقالوا: وما ذاك، قال: أصنع للملك وقومه طعاما، فإذا جاءوا نهضنا إليهم فنقتلهم، فأجمعوا على ذلك، ودفنوا سيوفهم في الرمل، ودعوا

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 324.

[2]- موسل، **شمال الحجاز**، دون طبعة، تر: عبد المحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دون تاريخ، ص 131.

[3]- المسعودي، المرجع السابق، ج 2، ص 42.

[4]- الطبري، المرجع السابق، ج1، ص 216.

عملوق وقومه، فلما حضروا قتلوهم، وقتل الأسود عملوق[1]. فهرب رجل من طسم يقال له رباح بن مرة حتى أتى حسان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستجار به فخرج حسان في حمير يريد جديس فأصبحهم فأبادهم، وخرب بلادهم، وهدم قصورهم وحصونهم[2].

وقد ذكرت هاتين القبيلتين في أشعار الجاهليين، حيث قال الأعشى[*]:

وقبلهم غالت النايا طمسا ولم ينجما الحذار

وحل من جديس يوم من الشر مستطار [3]

## د- أميم وعبيل:

### 1- أميم:

وهي قبيلة عربية تنسب إلى أميم بن لاوذ بن إرم[4]، ويزعم الإخباريون أن أميم قد نزل بأرض فارس، ويطلق الفرس على أميم اسم كيومرث، وهي تعتز بالانتماء إليه[5]، ويذكر أنهم أول من بنى البنيا، واتخذ البيوت والأطام من الحجارة، وسقفوا بالخشب، وكانوا من شعوبهم وبار بن أميم، نزلوا رمل عالج بين اليمامة والشحر، وسالت عليهم الريح فهلكوا[6].

### 2- عبيل:

تنسب هذه القبيلة إلى عبيل بن عوص أخي عاد، وقد نزلوا يثرب[7]، فاختطوها، وتمّ ذلك على يد رجل منهم هو يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل، وأقامت عبيل بيثرب إلى أن أبادهم العماليق[8]. وقد ذكر في التوراة ولد من أولاد يقطان وهو: عوبال[9]، أوعيبال[10]،

---

(1)- ابن خلدون، المرجع السابق، ص 340.

(2)- الطبري، المرجع السابق، ج1، ص 217.

(*)- الأعشى: أنظر: وهو ميمون بن قيس بن حيذل بن سراجيل بن عوف، شاعر جاهلي.

(3)- الأعشى، المرجع السابق، ص281.

(4)- المسعودي، المرجع السابق، ج 1، ص 34.

(5)- نفسه، ص 168.

(6)- ابن خلدون، المرجع السابق، ص 342.

(7)- المسعودي، المرجع السابق، ج 1، ص 42.

(8)- نفسه، ص 42

(9)- التوراة، سفر التكوين، إصحاح 10، الآية 29، ص 8.

(10)- التوراة، **أخبار الأيام الأول**، الإصحاح الأول، الآية 22، ص 320.

ولعل المقصود بهذا عبيل المذكور في المصادر العربية. ثمّ إنّ قسما من العماليق انحدروا إلى يثرب فاخرجوا منها عبيلا، فنزلوا موضعا، فاقبل سيل فاجتحفتهم فذهب بهم، فسمي هذا الموقع الجحفة[1] .

## 3- جرهم:

وتنسب هذه القبيلة إلى جرهم بن عابر بن سبأ، وهو بن أرفخشد بن سام بن نوح[2]، ويرى الإخباريون أن هناك أمّتان، أمة على عهد عاد وقد هلكت، وأمة من ولد جرهم بن قحطان، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن، ملك أخوه جرهم الحجاز، وإنما نزلوا هذا الموضع لقحط أصاب اليمن[3]، حيث نزلوا بمكة وما حولها، وسمّوها صلاحا، ثمّ إنّهم استخفوا بحرمة البيت وأضاعوا حقه، فوقع فيهم طاعون أهلك أكثرهم، حتى قويت خزاعة عليهم، وغلبت على البيت وأخرجتهم، فنزلوا بين مكة ويثرب فهلكوا بداء العدسة إلا ما سقط منهم في نواحي البلاد[4].ومن القبائل العربية البائدة، قبيلة عبد ضخم بن إرم بن نوح الذين نزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر، فاندثروا وذكرتهم الشعراء، وفيهم يقول الأزدي:

وعيد ضخم إذا نسبتهم أبيض أهل الحي بالنسب

ابتدعوا منطقا يجمعهم فبين الحظ قحة العرب

وذكروا أن هؤلاء أول من كتب بالعربية، ووضعوا حروف المعجم[5]، ومنهم أيضا بنوحضورا، وقد تنازع الناس في موقع ديارهم، فمنهم من رأى أنهم كانت بأرض السماوة، ومنهم من رأى أنها كانت بأرض الشام[6].

---

(1)- ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير**، ط 1، تح : علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 2001، ص 28.

(2)- البلازري، **انساب الأشراف**، ج 1، دون طبعة تح: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، دون تاريخ، ص 4.

(3)- ابن خلدون المرجع السابق، ص 343.

(4)- البلاذري، المرجع السابق،ج1، ص 7.

(5)- المسعودي، المرجع السابق، ج 2، ص 111.

(6)- نفسه، ص 117.

وبعث إليهم نبي اسمه شعيب بن مهرع فكذبوه، وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم[1]. ويعتقد بعض العلماء[2]، أنّ حضورا هم نفسهم هدورام بن يقضان المذكور في التوراة[3]، ومنهم قوم حنظلة بن صفوان العبسي وهو نبي بعثه الله إليهم، وهذه القبيلة ترجع في نسبها إلى ولد سام بن نوح، من بني إرم بن سام وهو من ولده عوص بن إرم، ومنهم بنو داسر بأرض السماوة وكانت ديارهم بالجولان وجازر من أرض نوى من بلاد حوران والبثينة[4].

**أ- العرب الباقية:** ويقسم الإخباريون هذه الطبقة إلى قسمين:

**1- العرب العاربة:** ويقال أن قحطان أومن تكلم بالعربية، وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب البائدة ومظاهرين لهم، ومجتمعين معهم في مجالات البادية، وكان يعرب بن قحطان من أعظم ملوك العرب[5] .

وتنسب هذه الطبقة إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[6]، واسم قحطان في التوراة يقضان بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح[7].

وقد اختلف الناس في قحطان هذا، فقال بعضهم أنه يقضان المذكور في التوراة، وقال آخرون هو قحطان بن هود عليه السلام، بينما ذهب آخرون إلى أنه قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار وهو قيدر، وكان صاحب إبل إسماعيل، وهو ابن إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم [8].

---

[1]- ابن خلدون، **كتاب العبر**، المرجع السابق، ص 342

[2]- Caussin de Perceval, **Essai Sur L'Histoire Des Arabes**, T1, Librairie dekiruindido frères, Paris 1987, P 30.

[3]- التوراة، سفر التكوين: الإصحاح العاشر، الآية 28، ص 8.

[4]- المسعودي، المرجع السابق، ج2،ص41

[5]- ابن خلدون، المرجع السابق، ص، ص 349، 350.

[6]- الطبري، المرجع السابق، ج1، ص 69.

[7]- التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الآية 26، ص 8.

[8]- البلاذري، المرجع السابق، ج1،ص، ص 4، .5.

## 2- موطن القحطانيين:

موطنهم الأصلي جنوب الجزيرة العربية، حيث نزل القحطانيون موضعا فسمي اليمن لتيمنهم إليها[1]، ومنهم ملوك اليمن، وقبائل سبأ وحمير، وقد خرجت منهم جماعات وقبائل في ظروف متعددة، ونزلت بأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، ومن هؤلاء اللخميون الذين نزلوا الحيرة وكونوا ثمّة مملكة هي المناذرة، ومنهم أبناء جفنة ملوك الغساسنة، ومنهم ملوك كندة، كما أن منهم قبيلة الأزد الذين تفرع عنهم الأوس والخزرج[2] .

## ب- العرب المستعربة:

وأطلق عليهم هذا الاسم لأنهم ليسوا صرحاء في العروبة، بل هم استعربوا بانتقال الصفات العربية إليهم ممن قبلهم[3]، وهم عرب الحجاز من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام[4].

وهم ينسبون إلى عدنان بن أدد من ولد نابت بن الهميسع بن تيمن بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام[5]. وقد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عليه السلام لما نزل مكة، كان يتكلم العبرانية، وأنه أصبح يتكلم العربية وهو ابن 13 سنة[6]، وذلك لما أسكن إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر وكان من ظمأ هاجر وخبرها ما كان، إلى أن أنبع الله لهما زمزم، وأقحط اليمن والشحر فتفرق العماليق وجرهم، فيمنت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى، فاستأذنوا هاجر في النزول، فأذنت لهم، وتكلم إسماعيل

(1)- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 28.
(2)- سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 118.
(3)- مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق،ج1، ص 118.
(4)- ابن كثير، المرجع السابق، ج1، ص 621.
(5)- البلاذري، المرجع السابق،ج1، ص 12.
(6)- إبن سعد، المرجع السابق،ج1، ص 34.

العربية خلاف أبيه، وتسامعت جرهم بنزول العماليق مكة فبادروا نحوها، ونزلوها واستوطنوها مع إسماعيل والعماليق[1].

## 1- موطن الإسماعيليين:

ويبدأ تاريخهم في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ومنازلهم شمالي بلاد اليمن في تهامة والحجاز ونجد وما وراء ذلك شمالا إلى مشارف الشام والعراق[2].

ومن أهم أولاد إسماعيل عدنان والذي تنسب إليه العدنانية، ويجيء بعد عدنان ابنه معد وبه يكنى، ثم نزار بن معد، ولنزار هذا فرعان هامان يتبعان ولديه: ربيعة ومضر، ومن أشهر قبائل ربيعة ( عبد قيس، بكر، تغلب، حنيفة )، ومن أشهر قبائل مضر ( هوازن وغطفان، تميم وقريش )[3]، لم يذكر هذا الانقسام القرآن الكريم، ولم يفرق بين العدنانيين والقحطانيين، لكن أشار القرآن في هذا الشأن إلى أنّ العرب ينتمون إلى جد واحد هو إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم في قوله تعالى :﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ [4].﴾

---

[1]- المسعودي، المرجع السابق، ج2، ص، ص، 36، 37.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق،ج1، ص 52.

[3]- البلاذري، المرجع السابق،ج1، ص، ص، 13، 14، 23.

[4]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 78.

كما لم يرد هذا الانقسام في أشعار الجاهليين، وكل ما قيل فيه أبيات قيلت في التفاخر بقحطان أو عدنان بقول جرير بن عطية التّميمي[1] وهو من معد بن عدنان مفتخر لنزار على اليمن :

أبونا خليل الله لا تنكرون فأكرم بإبراهيم جدا وفخـرا

وكقول بعض النزارية:

إذا افتخـرت يـوما بـسؤدد أفي فخـرنا أعـلى عليـها وأسـودا

ملكناهم بدء بإسحاق عمنا وكانوا لنا عونا على الدهر اعبد[2]

وقد يرجع هذا التقسيم إلى ما ورد في التوراة في سفر التكوين، ومنه أخذ الإخباريون والنسابون بهذا التقسيم، وأصل هذا العداء على ما يظهر بين البداوة والحضارة وهو نزاع طبيعي لوجود عدة فوارق حقيقة بين القسمين:

– أن القسم الجنوبي كان يعيش عيشة استقرار، وغلب عليه الحضارة[3]، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ [4].﴾

[1]– المسعودي، **التنبيه والإشراف**، دون طبعة، مر: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية،مصر،1938 م،ص94.

[2]– نفسه، ص95.

[3]– أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ط 10، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1969،ص 5.

[4]– القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 15.

– أنهم مختلفون في اللغة، فلغة اليمن تتصل باللغة الحبشية والأكادية، ولغة الحجاز أكثر اتصالا باللغة العبرية والنبطية، أنهم مختلفون في درجة الثقافة العقلية، لتمايزهم من حيث المعيشية البدوية والحضرية وباختلافاتهم في اللغة والأمم المخالطة[1].

مع أن التفصيلات والأسماء الواردة في كتب النسب، أو الأخبار والتواريخ، فهي من روايات الإسلاميين، ثم إن في الشعر الجاهلي ما لا يصح أن يكون جاهليا، ومنه ما قيل قبيل الإسلام، ولا نجد في الشعر الجاهلي سلسلة نسب قحطان أو عدنان، والنزاع بين القحطانيين والعدنانيين إنما هو نزاع حزبي عند العرب في الإسلام، أراد مثيروه إرجاعه إلى الماضي البعيد ووضع تاريخ له، واللذين قاموا بتسجيل الأنساب وتدوينها وتثبيتها في الكتب، كانوا هم أنفسهم من أصحاب العصبية لنزار أو لليمن.[2]

## 3– طبقات القبائل:

تعتبر المحافظة على الأنساب والتعلق بها وفي حفظها من أساسيات الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية، سواء قبل أوفي صدر الإسلام، ذلك أن غريزة المحافظة على النفس والدفاع عن الحقوق حملتهم على التمسك بعصبية النسب ليتمكنوا من المحافظة على الأمن والسلامة والمصالح المشتركة.[3]

لذلك فقد رتب علماء الأنساب قبائل العرب إلى:

**أ– الجذم**: وهو الأصل إما إلى عدنان أو إلى قحطان، والجذم وهو القطع وذلك لما كثر الاختلاف في عدد الآباء.

**ب– الجماهير**: التجمهر، الاجتماع والكثرة.[4]

---

[1]– أحمد أمين،المرجع السابق، ص 5.

[2]– جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 474، 493.

[3]– نفسه، ص 471.

[4]– جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 471.

ج- **الشعوب**: واحدها شِعْبٌ ويقال شَعْب.

د. **القبيلة**: وهي دون الشعب.

هـ- **العمائر**: واحدة عمارة، وهي دون القبائل، وهي تجمع البطون.

و- **البطون**: واحدها بطن وهي تجمع الأفخاذ.

ز- **الأفخاذ**: واحدها فخذ، وهي أصغر من البطن والبطن تجمع العشائر.

ح- **العشائر**: احدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة باء.

ط- **الفصائل**: واحدها فصيلة، وهم أهل بيت الرجل وخاصته.

ك- **الرهط**: والرهط دون العشرة، وهم رهط الرجل وأسرته والأسرة أكثر من ذلك[1]

وقد ذهب بعض النسابين إلى نحو آخر من الترتيب: شعب ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة، فالشعب مثل عدنان وقحطان، والقبيلة مثل ربيعة أو مضر، والعمارة مثل قريش وكنانة والبطن مثل بني عبد مناف وبني مخزوم، الفصيلة مثل أبي طالب وبني العباس[2].

وأكثر هذه المصطلحات لم ترد في الكتابات الجاهلية ولا في أشعار الجاهليين ويعتقد أن البطن والحي هما أساس أقدم أشكال المجتمعات السياسية عند الساميين.[3].

إن أول من أثار الشك في جداول الأنساب العربية، المستشرق " نولدكه"[4] الذي يعتقد أن النسابين العرب قد تأثروا بأنساب التوراة، مع إدراك هؤلاء أن النسابين العرب قد أخذوا

---

[1]- النويري، المرجع السابق، ص، ص، 296، 302.

[2]- ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج3، ط3، تح :أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر 1969، ص 383.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 511.

[4]- نولدكه، المرجع السابق، ص 135.

عن طريق الروايات الشفوية، والوثائق طائفة كبيرة من الأخبار الثابتة لكنها في نظرهم لم تكن كافية للقيام بمهمتهم، كما وجه المستشرقين عنايتهم إلى مسألة انقسام العرب إلى قحطانيين وعدنانيين، حيث قامت طائفة منهم بدراسة بعض جماجم القبائل العربية الجنوبية والشمالية، فلم يتوصلوا إلى وجود فرق بين التركيب الجسماني بين الطائفتين، ومنهم من رجّح وجود فروق أساسية وخلافات جوهرية بينهما[1].

وكذلك اعتمد المستشرقون في شكوكهم على ما توصل إليه الباحثون الغربيون على أن المجتمعات البدائية قائمة على نظرية الأمومة وهذا عكس ما توصل إليه الباحثون العرب في الأنساب الذين يرجعون النسب إلى جد أعلى[2].

إذا نظرنا إلى الكتب المقدسة نجد الأنساب تعتمد على الذكور لا الإناث منذ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والعلماء العرب القدماء لا يقبلون من الأنساب ما جاوز عدنان الذي عاش بعد إسماعيل عليه السلام، وهنا ينبغي التفريق بين الأمرين:

1- سلاسل أنساب الرجال قد يسقط منها بعض الأجزاء، وقد يضاف إليها عن طريق الخطأ أو التعمد، إذ لا يعوق دراسة شاعر كامرئ القيس أن يوجد اختلاف بين الرواة في جزء من سلسلة نسبه التي تصله إلى كندة.[3]

2- إن التقسيم المجرد للقبائل أو البطون، دون الخوض في سلاسل أنساب الرجل الواحد هو تقسيم حفظته الذاكرة العربية، التي لم يستعص عليها حفظ الكثير من قصائد الشعر الجاهلي والإسلامي، وإن القبائل العربية وبطونها كانت تتحرك سلما وحربا على هدى من الشعور بالانتماء إلى رجل واحد قد يكون أصلا للقبيلة أو البطن أو العشيرة[4].

---

[1]- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 25.

[2]- فريديريك أنجلز، **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**، دون طبعة، تر: إلياس شاهين، دون تاريخ، ص 37.

[3]- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 26.

[4]- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص، ص 26، 27.

## المبحث الثاني: العصبية القبلية:

تعد العصبية القبلية أساس القبلية العربية.

### 1- تعريفها:

**أ- لغة:**

العصبية مشتقة من الفعل عصب، يعصب، عصبا فيقال عصب الشيء أي شده بمعنى طواه، فيقال عصب الشجرة أي ضم ما تفرق من أغصانها ثم خبطها ليسقط ورقها، ومنه جاءت كلمة عصبة، وهي الجماعة من الناس أو الحيوان والجمع عصب[1] .

قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ [2]﴾.

وعصبة الرجل وقرابته، وعصبة الرجل أولياؤه الذكور من الورثة، سموا عصبة لأنهم عصبوا بنسبه أو استكفى به، والجمع العصبيات، والعرب تسمي قرابة الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القربات. وعصبت بنسبه، سموا عصبة، وكل شيء استدار فقد عصب به، يقال عصب القوم بفلان أي استكفوا حوله، و العصائب جمع عصابة وهي ما بين العشرة إلى أربعين[3].

**ب- اصطلاحا:**

هي رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد وجماعات[4].

وهي الالتحام الذي يكون بين الأقارب أو القبائل أو العشائر الذي يدفع إلى المناصرة والمطالبة ويدخل فيه الحلف والولاء وطول المعاشرة.[5] .

---

[1]- علي بن هادية، **القاموس الجديد للطلاب**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص،ص676،677.

[2]- القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 14.

[3]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1988، ص 706.

[4]- محمد عابد الجابري، **العصبية والولاة**، ط 8، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،2001 م، ص 193.

[5]- ابن خلدون، **المقدمة**، دون طبعة، ضبط : خليل شحادة، مر : سهيل زكار، دار الفكر، لبنان 2001، ص 193.

من الظاهر أن العرب القدامى كانوا يتمسكون بأنسابهم وورثها أبناؤهم عنهم في الإسلام، وكأنهم رأوا في النسب ما نراه نحن في الوطن، فكل قبيلة تؤمن بنسبها وتعتز به وبأنها تعود إلى أصل واحد، وكان الرابط الذي يوثق الصلة بين أفراد القبيلة هو العصبية[1]، هي عصبية قبلية، ليس فيها شعور واضح بالجنس العربي العام[2].

والقبيلة هي المجتمع الأكبر بالنسبة لأهل البادية، فليس فوقها مجتمع عندهم، وهي في معنى شعب عندنا في المصطلحات الحديثة، وتتفرع عن القبيلة فروع وأغصان هي دون القبيلة[3]، وينطبق هذا التنظيم القبلي وبناء الأنساب عند أهل الحضر خاصة حضر الحجاز[4]، وتكونت عندهم عدة إمارات في الشمال، ولكنها ظلت تقوم على أساس العصبية القبلية، حتى وإن تميزت بشعور ضئيل بالوحدة [5].

غير أنهم لم يتمكنوا من ترك النظم البدوية القائمة على مراعاة قواعد النسب وهي تقسيمات أوجدتها طبيعة الحياة في البادية[6]، فلم يكن هدف الإمارات العربية تحقيق وحدة الجنس العربي، وإنما كل ما هنالك اتحاد قبلي، ذلك أن هذه المجتمعات الحضرية كانت أصلا مجتمعات بدوية اعتمدت في معاشها على ما هو ضروري فقط، فإن البدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما، ولأن أول من مطالب الإنسان الضروري ومن ثم ينتهي إلى الكمال فتأتي بذلك رقة الحضارة بعد خشونة البداوة[7] .

وهذه الأخيرة لها مبادئها الخاصة التي تعتمد أساسا على العصبية القبلية المعتمدة بدورها على النسب كرابطة تجمعها والنسب كناية عن حلف يجمع قبائل توحدت مصالحها واشتركت

---

(1)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 57

(2)- نفسه، ص 57.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 511.

(4)-نفسه، ص 512.

(5)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 57.

(6)- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 135.

(7)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 514.

منافعها، فاتفقت على عقد حلف فيما بينها، احتمى الضعيف منها بالقوي، حيث لما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافس الناس في الماء والكلأ، والتماسهم المعاش فيه، وغلبة بعضهم بعضا على البلاد والمعاش، واستضعاف القوي الضعيف أنظم الذليل منهم إلى العزيز وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم وانتشر القوم فيما يليهم[1].

وقد يطول عهد الحلف بين قبيلتين أو يقصر بحسب دوام المصلحة التي دعت إلى عقده، ويكون للقبيلة حق زعامة الحلف، وربما يتفكك هذا الحلف بسب(الإخلال بأحد الشروط المتفق عليها، وربما دام الحلف زمنا طويلا بحيث تندمج القبيلتان المتحالفتان في نسب واحد مع الزمن، ويضرب مثلا على ذلك الاندماج الذي بين القبائل المختلفة – من مضرية ومعدية ويمنية – والتي تجمعت في البحرين ثم تحالفت وتعاقدت على التناصر والتآزر، واندمجت بمرور الزمن اندماجا تاما، واتخذت اسم " تنوخ " وتولدت من المجموع قوة ووحدة للدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول، وهذه الرابطة تنتهي إلى، حيث يشعر أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد[2]، وبمجرد أن تدخل القبيلة في حلف يصبح على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها ويردّون كيدهم عنها، وقد تنفصل بعض القبائل عن الحلف لتنضم إلى حلف آخر يحقق مصالحها، وهناك قبائل لم تدخل في أحلاف ولذلك سميت بجمرات العرب لما كان فيها من شجعان يكفونها في الحروب، على أن هذا كثيرا ما يؤول بها إلى أن تنهك في المعارك[3] .

ومن أهم الأحلاف التي عرفها العرب القدامى:

**أ– حلف المطيبين:** وهو حلف كان بين زعماء قريش، حيث شبّ نزاع بين بني عبد مناف، وبني عبد الدار، حيث دخل بنو أسد وبنو تميم وبنو الحارث في حلف مع بني

---

[1]– البكري، **معجم ماستعجم من أسماء البلد والمواضع**، ج 1 دون طبعة، تح : مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 53.

[2]– جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 514.

[3]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 58.

عبد مناف، أما بنو مخزوم وبنو سلمى وبنو جمح وبنو عدي فمع بني عبد الدار، ويسمى هذا الحلف بحلف المطيبين [1] لأن بعض نساء بني عبد مناف أخرجن جفنة مملوءة طيبا فغمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم[2] .

**ب- حلف الفضول**: وهو حلف تداعت إليه قبائل من قريش على رأسه بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه[3].

ومن الأحلاف العربية المشهورة أيضا حلف الرّباب، وضم خمس قبائل: ضبة وثول وعكل وتيم وعدي، وحلف عبس وعامر جد ذبيان وأحلافها من تميم وأسد، وكذا حلف الحمس بين قريش وكنانة وخزاعة[4].

وقد عرفت مثل هذه الأحلاف عند سائر الشعوب السامية كالعبرانيين مثلا والتي كانت تنتهي كما عند العرب إلى نسب حيث يشعر المتحالفون أنهم من أسرة واحدة[5]، فلم يكن بذلك هدف القبائل العربية الدفاع عن الجزيرة العربية، حيث كان يقوم نظامها على العصبية القبلية فوطن القبيلة مرتبط بالمكان الذي تحل فيه، فإن رحلت إلى مكان آخر أصبح وطنها الجديد، وهذا كان سببا وعائقا في تأسيس كيانات سياسية خاصة في البادية.

ونفس التنظيم القبلي ينطبق على عرب الجنوب فرغم أنهم غلبت عليهم حياة السكن والاستقرار فإنهم لم يستطيعوا الابتعاد عن الاحتماء بالعصبية القبلية فالطبيعة إذ ذاك حتمت

---

[1]- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج 1، دون طبعة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، دون تاريخ ص، ص، 262، 263.

[2]- نفسه، ص 263.

[3]- نفسه، ص 264.

[4]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 59.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 415.

على الناس التمسك بتلك النظم لحماية أنفسهم والدفاع عن أموالهم حيث لا حقّ يحمي المرء غير حق العصبية القبلية القائم على أساس النسب والدم[1].

تعتبر العصبية القبلية هي المحرك للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية في الجزيرة العربية، وهي تعتمد على رابطة النسب، وهي أساس الحياة في البادية، وكانت من العوائق التي ساهمت في استحالة إقامة الكيانات السياسية فيها، وذلك لمحدودية تفكير رؤساء القبائل، وارتباط حياتهم الاقتصادية على المرعى والبحث عن الكلأ .

وهي أيضا أساس الحياة الحضرية لكن الشعور بها يصبح ضئيلا وقد يتلاشى مع مرور الزمن، ويصبح الولاء ليس للقبيلة، وإنما للدولة أو المملكة أو الإمارة الناشئة في هذه المناطق الحضرية.

وباعتبار أن القبيلة تقوم على نظام حربي فقد تطورت عبر مراحل هي:

**2- مراحل تطور القبيلة:**

**1- القبيلة:** والتي تتكون من فرعها وأغصانها.

**2- العصبية القبلية:** وفيها اتحدت عدة قبائل والتفت حول مبدأ واحد أو قيادة واحدة[2] وذلك عن طريق:

**أ- تحالف فردي:** الذي يتعهد به الفرد وحده، حيث ينظم إلى جماعة أجنبية لسبب من الأسباب، ينتهي به الأمر على الرغم من أنه ينظم إلى جماعة لكنه ينظر إليه كما ينظر إلى الدخيل في البداية، ثم يمتصه المجتمع الذي تبناه وذلك بفضل ذريته بعد وفاته.[3]

---

[1]-جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 513.

[2]- نفسه.

[3]- محمد بن حسن، **القبائل والأرياف في العصر الوسيط**، دون طبعة، دار الرياح الأربع للنشر، تونس 1986، ص 1.

**ب- الحلف الجماعي**: الذي يعقد بين قبيلتين أو أكثر في آن واحد، يظل الفرد فيها محتفظا بانتسابه الأصلي، في حين أنه يتضامن مع القبيلة الحليفة، أو مع قبيلة الولاء، فالفرد والجماعة بعدما كانا منكمشين على ذاتيهما قد أصبحا منفتحين على الخارج[1] .

**ج- تكوين الدول**: يكون تأسيس الدولة طموحا لتلك العصبيات القوية والتي تخضع لرئاستها، ويتم الوصول إلى الملك الذي هو أمر زائد على الرئاسة، وكذا ظهور العمران[2].

ونأخذ كمثال على ذلك قبيلة كندة، التي هي في الأصل قبيلة يمنية، هاجرت إلى أرض معد، بسبب خلافها مع حضرموت، واستقرت في الجهة الجنوبية الغربية من نجد على مسافة مسير يومين من مكة[3]، وتعتبر هذه القبيلة في عرف النسابين قبيلة قحطانية، إلا أن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان، وقد ملّكوا أولادهم على القبائل[4]، وفي عهد الملك " حجر بن عمر " الذي يلقب ( بأكل المرار ) والذي قيل في سبب توليه الحكم، أن " تبع بن مكرب "كان سائرا إلى العراق فنزل بأرض " مُعَدْ " فأقام عليهم حجر هذا[5]، ولم يعين تبع حجر بن عمر إلا لأنه من عصبته وهنا يظهر جليا دور العصبية القبلية، حالف بين كندة وربيعة وتولى الملك، وكانت هذه القبيلة على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة إلى معد، وكانت كندة قبل هذا الملك بغير ملك، فأكل القوي الضعيف، فلما ملك " حجر بن عمر" وساساها أحسن سياسة، وتوسع على حساب أرض " بكر بن وائل " ( اللخميين )[6]، إن اجتماع هذه القبائل بقيادة آكل المرار لهو المحاولة الأولى في قلب الجزيرة العربية في توحيد

---

[1]- عبد الله المغربي، **الفكر السيكولوجي عند ابن خلدون**، دون طبعة، تح : محمد الشريف بن دالي حسين، دار القصبة، الجزائر 2009، ص 152.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 153.

[3]- نبية عاقل، المرجع السابق، ص 61.

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 315.

[5]- الاصفهاني، **تاريخ ملوك الأرض والانبياء**، دون طبعة، مطبعة مظهر العجائب، مصر 1922، ص 122.

[6]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص، ص، 320، 321.

صفوفهم وراء زعيم واحد ومشترك[1]، وهذا يجعلنا نقول أن هذه الدولة لم تكن في الواقع سوى تحالف أو اتحاد يجمع عدة قبائل تخضع لرئيس إذ اتخذ لقب ملك، ويبدو من الأخبار المروية عن بعض ملوكها أنهم بسطوا نفوذهم على هذه القبائل سواء بالأحلاف أو بالمصاهرة أو القوة، وقد قام الملك حجر بن عمرو بعد توليه الملك بحملات توسع بها في أطراف نجد، إذ هاجم قبائل الحجاز وشمالي شبه الجزيرة العربية، وجهات البحرين بعد أن بسط سيطرته على أرض اليمامة[2].

## 3- هجرة القبائل العربية:

يرى كثير من المؤرخين والمستشرقين أن المجتمع العربي القديم، كان يقوم أساسا على الروح القبلية، وبما ستتبعه من عصبيات، حتى لقد استقر في كثير من الأذهان أن هذا المجتمع إنما هو مجموعة عصبيات متناحرة تقوم على خلافات القبائل وانقسامها، وأن هذه القبائل كانت وكأنها كل واحدة منها أمة مستقلة لوحدها، تنفرد عن القبائل الأخرى وتعيش في إطارها الخاص وفي جوها المتميز، لا يكاد يكون بينها وبين ما حولها إلا الغارات، وأن هذا المجتمع كان من التباعد بحيث تبدو هذه القبائل كأنها وحدات متحجرة.

لكن في الواقع هذا غير صحيح، لأن هناك في الواقع حركة متحركة تسوق هذه القبائل وتقارب بينها، يجمع بينها النسب والحلف، وإنما كانت القبائل متصلة ومتداخلة.

فقد تنازع النسابة العرب في نسب كل من أنمار وإياد أنهما من اليمن أومن نزار، واستشهاد من ألحق إيادا بنزار بقول أبي داوود جويرية بن الحجاج الإيادي [3] بقوله:

وفتوحسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

---

[1]- أغناطيوس غويدي، **محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام**، ط 1، تر : ابراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1987، ص 43.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص ص 153 - 154.

[3]- المسعودي، **التنبيه والإشراف**، المرجع السابق، ص 159.

ويقول الكميت بن زيد الأسدي:

إياد حين تنسب من معد وإن أرغمت أنوف الراغمينا[1]

وقول نسابة اليمن إنه إياد بن أحاظة بن سعد من حمير، واستشهاد من ألحق أنمار بنزار بقول الكميت:

وأنمار وإن رغمت أنوف معديـــو العمومـــة والـخؤول

لهم لغة تبين من أبيهم مع الخر الشوادخ ذي الحجول[2]

وكانت هناك حركة نشيطة فيما بين أفراد القبائل، وهناك حركة أيضا فيما بين القبائل نفسها داخل الجزيرة، تلتقي وتفترق، و تتساعد وتجتمع ويؤلف بينها الجوار وتباعد بينها العداوات، حيث لم تكن تبعية الأفراد للقبائل في مثل هذه الصرامة التي استقرت في أذهاننا، وإنما يبدو أن هناك حرية واسعة يستطيع معها الأفراد من قبيلة أن يغادروا قبيلتهم إلى أخرى فينزلون عليها، وينتمون إليها ويبنون بناء منها، وتكون لهم هذه القبيلة مجتمعا جديدا مخالفا[3]، عن مجتمعهم السابق، ولم يكن التنقل مثار المسبة أو وصفا للانتقاص وإنما يكون ظاهرة من ظواهر المجتمع العربي القديم[4]. فحاتم الطائي اعتزل الحرب التي كانت بين الغوث بن طيء وجديلة بن سعد بن فطرة بن طيء بجبلي طيء ( أجا وسلمى )، وقد كره حربهم بعد أن تطاولت، ولحق ببني بدر بن عمروبن جوبة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي فنزل عليهم وقال يمدحهم:

---

[1]- المسعودي، **التنبيه والإشراف**، المرجع السابق، ص 159.

[2]- نفسه.

[3]- شكري فيصل، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، ط 3، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1973، ص 23، 24.

[4]- نفسه.

إذا كانت كارهة لعيشتنا هاتي فحلي في بني بدر

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحي في السراء والضراء[1]

ولم يكن خروج الأفراد من قبائلهم وانتسابهم إلى أخرى عار أو أن صاحبها قد ارتكب إثما، ولعل هذا يدل على نوع من التقارب بين القبائل كرابطة بينها هي أشبه بالعرق الذي تختزن فيه الحياة، وتمتد منه في جسم هذه القبائل لتوحد فيما بينها[2]

ونفس الشيء ينطبق على لقبائل التي لم تكن تعترف بالحدود فيما بينها، وإنما كانت وسيلة للتواصل والتقارب والاندماج، وينتج عن هذا الالتقاء مجموعات جديدة تجمع بين الأصلين وتنفرد عنهما، وأشهر هذه المجموعات بعد انهيار سد مأرب وتفرق قبيلة الأزد التي كانت مواطنها في جنوب الجزيرة العربية، وكانت الهجرة مثالا للتمازج القبلي، حيث كان قد تعرض سد مأرب لسيل العرم الجارف والذي ذكر في القرآن الكريم كما ذكرنا سابقا، وكذلك كان له ذكر في الشعر القديم، حيث يقول الأعشى:

فَفي ذَاك للمُؤتَسِي أُسْوَةٌ ومأربُ قفّى عليها العرمْ

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ إذَا جَاءَهُ مَاؤهُمْ لَمْ يَرِمْ

فطارَ القيولُ وقيلاتها بيهماءَ فيها سرابٌ يطمْ

فطاروا سراعاً وما يقدرو نَ منهُ لشربِ صبيٍّ فطمْ[3]

[1]- المسعودي، **التنبيه والاشراق**، المرجع السابق، ص 177.

[2]- شكري فيصل، المرجع السابق، ص 24.

[3]- الأعشى، المرجع السابق، ص116

وفي أثر هذه النكبة، خرج عمرو مزيقاء بن عامر ماء السماء هو ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد، وظهر إلى مخلاف خولان وأرض عنس وحقول صنعاء، فاقبلوا لا يمرون جهاء إلا انزفوه ولا بكلأ إلا سحقوه، لما فيهم من العَدد والعُدد والخيل والإبل والشاه والبقر، وغيرها من أخباس السوام وفي ذلك تخرب لهم الرواء في البلاد تلتمس لهم الماء والمرعى وكان من روادهم رجل من بني عمرو بن الخوث خرج لهم رائد إلى بلاد إخوتهم همدان، وكان من روادهم رجل خرج لهم رائد إلى بلاد إخوتهم حمير ثم أقاموا بأزال وجانب بلاد همدان في جوار ملك حمير في ذلك العصر حتى استحجرت خيلهم ونعمهم وماشيتهم وصلح لهم طلوع الجبال، فطلعوها من ناحية سهام ورمح وهبطوا منها على ذؤال، وغلبوا غافقا عليها وأقاموا بتهامة ما أقاموا حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عك، فساروا إلى الحجاز فرقا فصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السّروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق، ومنهم من سار إلى الشّام، ومنهم من رمى قصد عمان واليمامة والبحرين ... ولحق كثير ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلاد فارس[1] .

أكيد أن تفرق قبيلة الأزد في أرض الجزيرة العربية واحتكاكها بالقبائل العربية سيحدث تأثر وتأثير، وهذه أشهر الهجرات العربية من الجنوب إلى الشمال ولكنها ليست الوحيدة، كذلك كانت الحركة لدى القبائل العربية نشيطة، وأن قبائل الشمال لها هجرات أيضا في مختلف ربوع أراضي الجزيرة، ويدل على ذلك تاريخ بنو إسماعيل من بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها هي قضاعة وهم سعد ونهد، وجهينة بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته.[2]

---

[1]- الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ط1، تح : محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن 1990، ص 326، 330

[2]- المسعودي، **التنبيه والإشراف**، المرجع السابق، ص 178 .

إذا لم تكن هذه القبائل تعيش منعزلة تفصل بينها الحدود، وكثير ما تجمع هذه القبائل أحلاف أو مصاهرات، وتتخذ هذه القبائل أرض تعيش عليها هو الوطن بالمفهوم الحديث، وقد يتغير هذا الوطن ويحدث هذا لدى القبائل البدوية، وأما القبائل الحضرية فإن الدولة والوطن عندها يتطلب الاستقرار الدائم والذود عن الأرض التي يسكنوها وفي كل ذلك كان هذا يحدث التمازج والتفاعل.

وليس هذا التداخل مقتصرا على القبائل داخل الجزيرة العربية وإنما يتعداه إلى أطرافها، فقد كان هناك تمدد لا ينقطع نحو الأطراف الشمالية بوجه خاص، وكان هذا التمدد بطيئا أحيانا حتى لا يحس، وواضحا أحيانا حتى يثير النزاع والخصومات، ولكنه كان متصلا دائما، وقد يشتد ولكنه قلّ أن يتوقف[1]، ومثال على ذلك دولة الغساسنة وهي من قبائل الأزد والتي هاجرت من اليمن ( بسبب انهيار سد مأرب )، وسموا غسان نسبة إلى عين ماء تدعى غسان أقاموا حولها[2]، ومن جملة قبائل الأزد التي هاجرت عند ماء غسان الأوس والخزرج وخزاعة وجفنة[3]، ويظهر أن الغساسنة عبارة عن تحالف قبلي نشأت نواته الأولى قرب ماء غسان، ثم استقر ابناؤه في الشام حيث نجحوا في إقامة دولة لهم تحت حكم ملوك من آل جفنة، وكانت الشام قبلهم تحت حكم قبيلة عربية من قضاعة هم بنو ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح، وكانت متحالفة مع الروم[4]، وكذلك بالنسبة لهجرة قبائل تنوخ ( وهي من القبائل الجنوبية، وقد نزلت في أول الأمر في البحرين، وأخذت هذه القبائل تتطلع للاستقرار في مشارف العراق، مستغلة الحرب الأهلية في بلاد فارس في أواخر عصر الدولة البارثنية، وهاجرت إلى منطقة الحيرة والأنبار مؤسسين بذلك دولة المناذرة[5].

---

[1]- شكري فيصل، المرجع السابق، ص 26.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 245.

[3]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص203.

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 245.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 214.

وكذلك في الحرب التي كانت بين الغوث بن طيء وجديلة بن سعد تفرق السلميون من طيء فلحقوا بحاضر قنسوين من أعمال حلب إلى هذا الوقت وتزوجوا فيهم[1] .

وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم ديار ومراعي مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وبهراء، وتنوخ من اليمن بأرض الشام[2].

فهذه القبائل العربية لم تكن مجتمعات منعزلة، وإنما كانت هناك حركة دائمة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات وذلك لضرورات الحياة ومطالب العيش، وكان هذا سواء داخل الجزيرة أوفي أطرافها، مما سيؤدي إلى تغيير في مناحي الحياة المختلفة، السياسية ببروز أنظمة جديدة تحكم هذه القبائل، الاقتصادية بظهور أنماط جديدة للعيش والانتقال من البداوة التي تعتمد على ضروريات العيش إلى الحضارة وما يتبعها من منشآت عمرانية كبيرة وهي مرحلة من مراحل بناء الدولة، وإلى المجال الديني وما يتبعه من تأثير وتأثر وبروز طقوس وعادات وتقاليد في المجتمعات الجديدة .

وهذه الحركة التي كان يتميز بها المجتمع العربي القديم كان لها انعكاسها في الحياة اللغوية والأدبية على السواء، فمن المؤكد أن نقلة الأفراد وهجرة القبائل وائتلافها في أحلاف متحدة لم يكن من الحوادث السياسية العارضة التي تذبل مع ذبول أسبابها، وإنما كان يخلف آثاره العميقة في لغات هذه القبائل، وفي تقريب فيما بين لهجاتها، وكان يدفع هذه القبائل نحو هذه اللغة الأدبية الموحدة في مجال الأدب، وفي مجال الحديث اليومي[3].

وعلى الرغم من تشتت العرب السياسي في الظاهر لكن ربطت بينهم وحدة معينة هي لغة الشعر التي تستمد مفرداتها من جميع لهجات القبائل المختلفة[4]، فنشأ بينهم التنافس

---

[1]- المسعودي، **التنبيه والإشراف**، المرجع السابق 96

[2]- ابن حوقل، **المسالك والممالك**، دون طبعة، مطبعة بريل، لندن، 1873، ص 18.

[3]- شكري فيصل، المرجع السابق، ص 28، 29.

[4]- كارل بركلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ط5، تر : عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص 42.

في إحكام اللغة والمفاخرة بالبيان، وساعدتهم على ذلك مواقعهم وأيامهم وأسواقهم التي يقصدونها للتسوق والمنافرة والبياعات، وغيرها مما هو من طبيعة المخالطة[1] .

## المبحث الثالث: مصطلح الدولة

### أ- تعريف الدولة:

### 1- لغة:

الدَوْلَة والدَولة – العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُولَة بالضم في المال والدَوْلَة بالفتح في الحرب، وقيل هما سواء فيهما يضمان ويفتحان، وقيلج بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا وقيل هما لغتان فيهما والجمع دُولُ ودِوَلٌ، يذكر الجوهري الدولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدَولةُ، والجمع الدُولُ، والدُولةُ بالضم في المال، يقال صار الفيء دولة بينهم يتداولون مرة لهذا ومرة لذاك الجمع دولات ودول، والدولة بالفتح الفعل والانتقال من حال إلى حال[2].

والدولة الغلبة يقال كانت عليهم الدولة، أي الغلبة ( صارت النقود دولة بينهم ) أي تداولونها بينهم وجمعه دولات[3].

### 2- اصطلاحا:

ليس من السهل العثور على تعريف محدد وشامل للدولة، ذلك أن هذه التعريفات قد أسهم بوضعها عدة كتاب ينتمون إلى متخصصات مختلفة، القانون، السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، الفلسفة، الدين ... الخ. وأهم هذه التعريفات ما يلي:

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ج 1، ص 92.

[2]- ابن منظور، المرجع السابق، ج1،ص302.

[3]- محمد فريد وجدي، **دائرة المعارف القرن 20**، مج 4، دار الفكر، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 94.

### 3- تعريف الدولة من الناحية السياسية:

هي عبارة عن مجموعة دائمة ومستقلة من الأفراد يملكون إقليما معينا، وتربطهم سياسة مصدرها الاشتراك في الخضوع لسلطة مركزية تكفل لكل فرد منهم التمتع بحريته ومباشرة حقوقه[1].

### 4- تعريف ماكيفر:

هو الذي يرى أن الدولة عبارة عن جمعية أو رابطة (Association) تعمل من خلال القانون الذي تعلنه، وتقوم به الحكومة والتي تملك قوة قسرية تحمي بمقتضاها أسس النظام في نطاق الجماعة المقيمة في حدود هذه الدولة، فالدولة عند ماكيفر والذي ينتمي إلى الفكر البرجوازي هي تنظيم أو جهاز يتمتع بقوة قسرية، من خلالها تعمل على فرض وحماية القانون[2] والنظام للجماعة، وأن جوهر هذا الفكر حول الدولة يتركز على ما يلي:

- التأكيد على شرعية سلطة الدولة.
- التأكيد على ضرورة وحتمية قبول سلطتها.
- التأكيد على أنها جهاز محايد أو حكم بين الأطراف المختلفة في المجتمع[3].

### 5- نظرية التطور العائلي:

تعرف هذه النظرية الدولة على أنها عبارة عن نظام طبيعي عضوي، خاضع للتطور من الشكل البسيط إلى المركب، ويرى أصحاب هذه النظرية أن العقل هو الذي يكشف قوانين ذلك الكائن العضوي، نتيجة للغريزة الاجتماعية المركبة في الإنسان، ويستدلون في ذلك بمقولة أرسطو: الإنسان كائن سياسي بالطبع[4].

---

[1]- محمد علي محمد، **علم الاجتماع السياسي**، ط1، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية،1975، ص 155.

[2]- قائد الشرجي، **القرية والدولة في المجتمع اليمني**، ط1، دار التضامن، بيروت، لبنان 1990، ص 18.

[3]- نفسه.

[4]- بوزيان الدراجي، **العصبية القبلية**، ط3، دار الكتاب العربي، الجزائر2003،ص 52.

### 6- النظرية الدينية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الدولة هي ذلك النظام القدسي الذي فرضه الله لتحقيق الغاية من الحياة الاجتماعية، ولا يحق لأحد الخروج عنه، أو القيام بأي نوع من أنواع التغيير، كما يتمتع الحاكم بقدسية لأنه يمثل عندهم ظل الله في الأرض ويتركز مفهوم الدولة لدى أصحاب هذه النظرية على ثلاث أوجه:

**أ- تأليه الحاكم**: وتلزم الرعية بعبادته، كما جرى في مصر القديمة، والصين القديمة وروما.

**ب- الحق الإلهي المقدس**: جاء نتيجة للصراع الذي كان دائر بين الكنيسة وقياصرة روما، حول فكرة الإلوهية التي يدعيها القياصرة.

**ج- التفويض الإلهي**: أو الحق الإلهي، وقد ظهر هذا الاتجاه عند قيام الإمبراطورية المقدسة[1].

### 7- تعريف الدولة من خلال الفكر الماركسي:

يعرف إنجلز الدولة بقوله: بأنها ليست بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه، الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره، الدولة هي إفصاح عن واقع أن هذا المجتمع في تناقض مع ذاته لا يمكن حله، عن واقع أن هذا المجتمع قد انقسم إلى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها، ولكي لا تقوم هذه المتضادات، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة باتهام بعضها البعض [2]، والمجتمع في نضال عقيم، لهذا اقتضى الأمر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود النظام، إن هذه القوة المنبثقة من المجتمع، والتي هي نفسها، مع ذلك، فوقه وتنفصل عنه أكثر فأكثر هي الدولة[3].

---

[1]- شعبان طاهر الأسود، **علم الاجتماع السياسي**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 2001، ص-ص82-83.

[2]- فريدريك إنجلز، المرجع السابق، ص 116.

[3]- نفسه.

فالدولة هي خلاصة المعارك العملية التي خاضتها البشرية، فالدولة السياسية تعتبر إذن ( من الناحية السياسية ) وفي حدود ما يسمح به شكلها عن كل المعارك والاحتياجات والمصالح الاجتماعية[1].

إن اكتشاف الزراعة ساعد الإنسان على الاستقرار والتجمع، حيث تقتضي الزراعة الإقامة الطويلة في مكان ثابت لا يتغير، كما أنها ترتب فكرة التملك الجماعي أو الفردي، ولقد كانت الزراعة تقتضي وجود حدود لملكية الفرد أو الجماعة، وهي بذلك تكون قد ساعدت مع مرور السنين على ظهور جماعات إنسانية متميزة استقرت كل منها في نطاق مساحة إقليمية محددة، وخضعت لسلطة عليا واحدة، وأن مثل تلك الجماعات الإنسانية قد تطور بعضها ليشكل فيما بعد الدولة والحضارات التي شهدها العصر القديم[2].

**ب- نشأة الدولة:**

اختلف العلماء والمفكرون على مر العصور حول أصل الدولة وعوامل ظهورها، ومن أجل هذا الغرض صيغت عدة نظريات حول نشأة الدولة، ذلك أنه من العسير تتبع نشأة ظاهرة من الظواهر، خاصة إذا كانت ظاهرة اجتماعية وأهم النظريات التي صيغت في هذا المجال:

**1- نظرية التطور العائلي:**

يرجع البعض أصول هذه النظرية إلى أرسطو في السياسة ويرى أصحاب هذه النظرية أن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، وأنها تنشأ تلبية لحاجات أصلية في الإنسان، ثم اتساع نطاق الأسرة وكثرة عددها، تتكون العشائر وباتساع هذه العشائر تتكون القبائل ثم القرى، فالمدن السياسية، ذلك أن الدولة ما هي إلا أسرة تطورت ونمت بشكل تدريجي[3].

---

[1]- نيكولاس مولانتزاس، **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية**، ط2، تر: عادل غنيم،، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان 1983، ص 50.

[2]- بن عامر تونسي، **قانون المجتمع الدولي المعاصر**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998، ص 9.

[3]- محمد علي محمد، المرجع السابق، ص 167.

## 2- نظرية العقد الاجتماعي:

السفسطائيين من الإغريق وعلى رأسها أبو قراط يرى أصحاب هذه النظرية أن الدولة ليست من عند الله، بل صنعها الإنسان لغرض تنظيم حياته، والتوفيق بين مطالبه ومطالب الآخرين من جهة وبين حقوقه وواجباته من جهة أخرى، فتصبح الدولة عبارة عن اتفاق وعقد يتم بين الحاكم والمحكومين وهذا ما يعرف بالعقد الاجتماعي[1].

## 3- نظرية القوة:

استخلص البعض أن القوة كانت وراء نشأة الدولة، وذلك من خلال نشوب الحروب بين العشائر والقبائل قديما، ومقدرة رئيس القبيلة على تأسيس وسيطرته وسلطته على منطقة معينة، وهناك أيضا الحاجة المستمرة والملحة للقوة من قبل الدولة لحماية نفسها في الداخل والخارج، غير أن البعض يرى أن القوة ليست بالضرورة مادية، بل قد تكون مادية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية،...الخ[2].

## 4- النظرية التطورية:

ترى هذه النظرية أن الدولة ليست من صنع العناية الإلهية وليست نتاجا لغلبة القوة، ولا هي من خلق الاعتقاد وليست مجرد اتساع وتطور للأسرة ولقد أوضح علماء الاجتماع في العصر الحديث أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها بالإضافة إلى عامل واحد.[3]

والدولة شأنها شأن أي ظاهرة أخرى في الحياة الاجتماعية قد مرت خلال مراحل النمو والتطور فإذن هي نتاج للعملية التطورية التي شارك فيها أكثر من عامل واحد، وخلال مراحل التطور هذه أخذت أشكالا وصورا متعددة، وهي أكثر النظريات قبولا عن أصل الدولة[4].

---

[1]- بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص 83.

[2]- قائد الشرجبي، المرجع السابق، ص 26.

[3]- محمد علي محمد، المرجع السابق، ص 182.

[4]- نفسه.

## 5- نشأة الدولة في الفكر الماركسي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن تزايد كثافة السكان يجبر على المزيد من التلاحم سواء في الداخل أوفي الخارج، وأدى هذا إلى ضمور القبيلة ثم الاتحاد القبلي القائم على رابطة القربى، ويحدث بالتالي اندماج فيما بين القبائل وبالتالي دمج مختلف أراضيها في أرض واحدة، فيتحول النظام العشائري. فمن تنظيم للقبائل وتصريف شؤونها إلى تنظيم لأجل نهب الجيران، وتتحول هيئاته من أدوات لإدارة الشعب إلى هيئة مستقلة للسيطرة والاستبداد، وهذا كان نتيجة انقسام المجتمع البدائي إلى فئات بفعل ظهور الملكية الخاصة، هذا ما أدى إلى ظهور مؤسسة لهذا الغرض وهي الدولة[1].

كما يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الدولة لم توجد منذ الأزل، فقد وجدت مجتمعات كانت في غنى عن الدولة، ولم يكن لديها أي فكرة عن الدولة وسلطتها، وبانقسام المجتمع إلى طبقات نتيجة التطور الاقتصادي أصبحت الدولة بحكم هذا الانقسام أمرا ضروريا، وبزوال هذه الطبقات بالضرورة كما نشأت ستزول هذه الدولة بالضرورة [2].

إن هذه الفرضية يمكن أن تنطبق على المجتمعات التي عرفت شكل الملكية الفردية، مثل مجتمع أثينا وروما، وهي لا تصح بالنسبة للمجتمعات التي لم تعرف هذا النوع من الملكية مثل المجتمعات الشرقية.

## 6- نشأة الدولة الشرقية ( الأسيوية ):

إن أول سمة تتميز بها المجتمعات الشرقية المناخ الحار والجاف، هذه الظروف الطبيعية والمناخية استلزمت الحاجة إلى ري اصطناعي الذي أصبح شرطا هاما للزراعة، وتطلب هذا النوع من الري إقامة منشآت ضخمة: سدود، أحواض، قنوات، جسور، مراقبة فنية وإدارية....إلخ، ومثل هذه المشاريع يصعب أن يقوم بها الأفراد أنفسهم، لذا تطلب هذا وجود

[1]- فريدريك انجلز، المرجع السابق، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص، ص 17، 18.

هيئة مركزية تملك إمكانيات مالية وإدارية فنية ضخمة لتقوم بالتخطيط والإشراف والتنفيذ، هذه الهيئة هي الدولة [1].

وبما أن المجتمع يتكون من تجمعات قروية، شكلت هذه التجمعات والقرى القاعدة الاجتماعية والاقتصادية التي قامت عليها الدولة المركزية، وهناك على قمة الدولة ملك أو حاكم يعتبر موحدا لتلك التجمعات والقرى وعادة ما يكون هذا الحاكم من رجال الدين، أو ملكا مؤهلا، أو وكيلا عن الآلهة أو واقع تحت رجال الدين[2].

## 7- نشأة الدولة عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون إنما نشأت عبر المراحل التالية:

**أ- الاجتماع البشري ( الإنساني )**: حيث يرى أن الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي يقتضي وجود العمران، وأن بقاؤه مرهون بالغذاء، ولا يستطيع لوحده توفير كل غذائه أو الدفاع عن نفسه، فكان التعاون ضروري للجنس البشري [3]، ويقتضي هذا الاجتماع البشري وجود الوازع أو الحاكم والذي يصد العدوان وتحقيق العدالة، وهو يحتاج إلى مساعدة ليستطيع قهرهم بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية، فالوازع والمجموعة التي تساعده تشكل هيئة سياسية هي الدولة.[4]

**ب- ابن خلدون:**

يقول "والسبب الطبيعي الأول في ذلك علة الجملة أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة والشكل الحافظ بنوعه لوجودها."

---

[1]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 50.

[2]- نفسه، ص ص، 50، 51.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 115.

[4]- ابن خلدون، ص 115.

وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر، فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك، تتعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع، فتتعين السياسة لذلك، أما الشرعية أو الملكية وهو معنى الدولة.[1]

كما يرى ابن خلدون أن الدولة لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص، حيث أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال، فالجيل الأول لا يزال على خلق البداوة فتبقى صورة العصبية محفوظة فيهم، والجيل الثاني فيتحول حالهم من الملك والترف، من البداوة والحضارة، والجيل الثالث فينسى عهد البداوة والخشونة، ويفقد حلاوة العصبية ويبلغ الترف فيه غايته من النعيم، فهذه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة [2].

مما سبق نستطيع أن نقول حتى لو كان هناك اختلاف في تعريف الدولة، فإن هذا الاختلاف جاء نتيجة التخصصات المختلفة لأصحابها ( سياسة، فلسفة، دين، اجتماع، اقتصاد،.....)، لكن الأكيد أن نشوء الدولة لا يرتبط بعامل واحد فقط، وإنما اجتماع عدة عوامل: كالقرابة، الدين، الاقتصاد، الوعي السياسي هذا الأخير يتطور مع مرور الزمن، خاصة في ظل وجود المصالح المشتركة التي تربط بين الأفراد، وأن هذه العوامل متداخلة فيما بينها.

كما أن نشوء الدولة في الجزيرة العربية ( المنطقة الشرقية ) تخضع لنوع من الخصوصية خاصة من الناحية الطبيعية والمناخية، وباعتبارها دول زراعية قامت أساسا على وجود وتوفر المياه مما أدى إلى الاستقرار الدائم، في ظل المناخ الحار والجاف، وتعد الزراعة المصدر الأساسي في اقتصاد هذه الدول، والتي سيكون لها شكل آخر من التنظيمات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والدينية.

[1]-ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص ص 113 - 114.

[2]- نفسه

## ج- أركان الدولة:

باعتبار الدولة تعبر عن إرادة ما، إرادة الله، إرادة الشعب، إرادة الجماعة الحاكمة، أو إرادة الحزب، أو إرادة الأفراد، وهي بهذا المعنى تتوفر على مجموعة من الأركان:

**1- السكان ( الشعب )**: الدولة نظام إنساني، وهذا بدوره ما يجعل السكان أو الرعية هي العنصر الأساسي لهذا النظام، ووجود الشعب الذي يخضع لسلطان الدولة ويتمتع بجنسيتها يمثل واقعة طبيعية ومن ثم فهو يفرض بذاته وجود الدولة [1].

**2- الأرض**: التي يقطنها الشعب وتمارس فيها الدولة سيادتها وسلطتها.

**3- السيادة**: فلا دولة بلا سيادة على أرضها وشعبها، وتكون السيادة داخلية وخارجية.[2]

وتنبثق عن هذه السيادة سياسة يخضع لها المواطنون في أرض الدولة، والسلطة السياسية تتمثل في القانون والمؤسسات الشرعية وأجهزة الدولة، وهذه العناصر يغلب عليها الطابع القانوني، وإذا كانت هذه الأركان تنطبق على الدولة في التاريخ الحديث، إلا أنها قد تنطبق أيضا إلى حد ما على ما قبلها، ذلك أنه توجد مجموعة من الخصائص تتصف بها الدولة أيا كان شكلها.[3]

- أنها تمارس السلطة وفقا لمبدأ السيادة على إقليم معين.
- هي تقيم لنفسها قوة مستقلة، فهي تجهز نفسها بجهاز عسكري قوي ومستقل.
- تفرض شكلا من أشكال الضريبة على المواطنين.

تعمل من خلال مجموعة من الموظفين الرسميين[4].

---

[1]- محمد علي محمد، المرجع السابق، ص 161.

[2]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 23.

[3]- علي مزهر العكيلي، **النظام السياسي في الإسلام**، دون طبعة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2014، ص 108.

[4]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 24.

إذا أسقطنا هذه الأركان على أرض الجزيرة العربية، ونحن نعلم أن سكانها ينقسمون إلى بدو وحضر، نستطيع أن نقول أنه قامت في هذه المنطقة عدة دول، وأن الاختلاف بينها يكمن في صغر أو كبر هذه الدول، فقد تكون الدولة حكومة قرية مثل يثرب أو مكة، وتكون حكومة قبيلة، وقد تكون أوسع من ذلك مثل دولة الحيرة ودولة الغساسنة ودول اليمن[1].

فنجد أركان الدولة عند كل من البدو والحضر كالتالي:

**1- البدو:**

**أ- الشعب:** وهذا هو أساس الدولة في الجزيرة العربية ونواتها، وهو القبيلة والتي تقوم على رابطة الدم، أي فكرة أن القبيلة من صلب رجل عاش حقا ومات ويرتبط أفرادها برابطة الدم.

**ب- الوطن ( الأرض ):** فهي التي نشأت فيها القبيلة، وهي الأرض التي هي عليها.

**ج- السلطة السياسية:** والتي يمثلها ويمارسها سيد القبيلة باعتباره سلطة معنوية يتمتع بها شيخهم المختار الذي يحيط به أشراف القوم.

**2- الحضر:** تختلف الدولة باختلاف درجة التحضر.

**أ- الشعب:** يتكون من أبناء عدة قبائل يجمعهم نوع من التحالف الذي تفرضه المصالح المشتركة، وأدى هذا إلى ظهور " جماعة " يتجاوز في تكوينها حدود القبيلة لتتألف من مجموعة من القبائل[2].

**ب- الأرض:** وهي تلك التي استقرت عليها تلك القبائل والغنية بخيراتها ذات الماء الغزير، فوسعت رقعتها وطمعت في غيرها[3].

**ج- السلطة السياسية:** وتتمثل في حاكم قد يكون كاهنا، وقد يكون ملكا، وقد يكون أميرا، وقد يكون سيد قبيلة، واجبه حكم رعيته وإرشادهم وقيادتهم في السلم والحرب[4].

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 178.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 57.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج5،ص 187.

[4]- نفسه، ص 185.

## المبحث الرابع: دور الدين في القبيلة والدولة العربية:

الدين هو الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة، ويتجسّد بطقوس وعبادات يستمسك بها، وهو يتوقف على عقلية الناس وحالة الأفراد[1].

ولم يكن الدين عمل فردي أو محاولة شخصية لإظهار الروح الإنسانية، بل هو عملية حيّة متبادلة بين الإنسان والقوى فوق الطبيعة، وتتعلّق الأديان القديمة بالقبيلة كلها، فالإله هو للقبيلة يحميها، ويشمل برعايته كافة أفرادها جميعا، أما إذا اختلطت القبائل ذات الآلهة المختلفة، فإن هذا الاختلاط يؤدي إلى اختلاط الآلهة [2].

وبالرغم من أن الشعور الديني في قلب البدوي كان سطحيّا[3]، إلا أنه كان لكل قبيلة ولكل مدينة آلهتها، ومعابدها وطقوس عبادتها الخاصة بها، ففي مكة وحدها، التي كانت تعتبر مركز الحياة الوطنية في بلاد العرب، كان ينتصب حول الكعبة 260 صنما وهي تمثل جميع الآلهة التي كان العرب يعبدونها، كما أن تقديم القرابين البشرية لهذه الأصنام لم يكن أمرا نادر الوقوع[4].

ولما كانت الآلهة آلهة قبائل، كان نبذ الفرد لهذه الآلهة هو نبذ لقبيلته، وخروجه على إجماعها، فلا يسع شخصا أن يغيّر عبادة إله القبيلة، إلا إذا خرج على قبيلته وتعبد لإله آخر، فالصنم دين وهو رمز لقبيلته، والمحامي المدافع عن شعبه والرابطة التي تربط بين الأفراد، فالخروج عليه معناه الخروج على إرادة الشعب، وتفكيك لوحدته[5].

فالدول التي قامت في جنوب وشمال الجزيرة العربية يجمع شملها ويقويها ثلاثة أركان: إله أو آلهة، حاكم قد يكون كاهنا وقد يكون ملكا أو أميرا، أو سيدا، ورعية طيعة تدين بالولاء للآلهة والحاكم وليس لها الحق في الاعتراض على الحاكم لأن حكمه إلهي مقرر،

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 162.

[2]- نفسه، ص 162.

[3]- فليب حتى، المرجع السابق، ص 19.

[4]- سيد أمير علي، **مختصر تاريخ العرب**، ط1،تر: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1961 م، ص، 8، 9.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 65.

ومن دلائل الإخلاص ذكر أسماء الآلهة للتقرب بها، وذكر أسماء الحاكم في الكتابات والمناسبات تعبيرا عن ولاء صاحب الكتابة وإخلاصه للحاكم، أما عن أصول الحكم فإنه يلاحظ بعض الآثار الدينية، فالكتابات المسندة تؤكد أن نظام الحكم قبل الفترة الملكية كان مزدوجا جمع بين السلطة الدنيوية والدينية[1].

فالدين في الجزيرة العربية لعب دور الموحد للنظام السياسي سواء داخل القبيلة أو المدينة أو الدولة، وكان له شأن كبير في الحياة الاقتصادية، ونأخذ كمثال على ذلك مكة باعتبارها مركزا روحيا لأهل الجزيرة العربية، وهذه المكانة قد انعكست على الحياة الاقتصادية فيها، حيث أصبحت من أهم المراكز التجارية في الجزيرة العربية.

كما تدل النقوش الكثيرة التي عثر عليها، أن للدين شأنا كبير في حياة المجتمع اليمني القديم روحيا وسياسيا واقتصاديا، فروحيا: إله القبيلة هو الرابط المقدّس الذي يربط شملها، والشعب عبيد الإله والناس أبناؤه، أما سياسيا فإن العديد من الباحثين يتفقون على هيمنة السلطة الدينية على المجتمع والدولة، وربما يكون أول ظهور للسلطة في دولة سبأ كان ذو اتجاه ديني تمثل في جمع الصفتين الدينية والزمنية للحاكم[2].

وقد كان للعرب وفقا للمفهوم العام للدين حياة دينية متنوعة تمتد جذورها إلى فترات تاريخية قديمة، وقد اتخذت صورا وأشكالا مختلفة تبعا لتطورهم الثقافي، وكان مرتبطا أساسا بالحياة الاجتماعية وكذا الاقتصادية في الجزيرة العربية وكان أبرز هذه الأديان:

## 1- الوثنية والشرك:

ومن المصادر التي أشارت إلى هذه العبادات القرآن الكريم حيث ذكر أنواع الشرك التي كانت سائدة في المجتمع العربي منها: عبادة الأصنام المصنوعة من الحجارة أو الخشب أو المعدن، مما لا روح فيه، قال الله تعالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ

[1]- محمد بيومي مهران، **الحضارة العربية القديمة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995 م، ص 200.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 183.

مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ [1]﴾، ومن أبرز الأصنام التي عبدها العرب القدامى:

**أ- هبل:** وقد كان من أعظم أصنام قريش، ومن ثم كان من أعظم الأصنام في الكعبة، وقد اتخذت منها العرب مقرا لأصنامها وأوثانها، وقد وضع إلى جانب صنم هبل الأزلام، وهي القداح أو السهام، والتي كان العرب يستقسمون بها[2]، وقد روى أهل الأخبار أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فرآهم يعبدون الأصنام فسألهم عن سر عبادتها، فأخبروه بأنهم يعبدونها للنصرة والاستسقاء، فطلب منهم إعطاءه صنما يعود به إلى أرض العرب ليعبده أهلها، فأعطوه هبل، فعاد إلى مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[3].

**ب- اللات:** كانت عبادة الصنم اللات شائعة بين العرب جميعا في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وهو عبارة عن صخرة مربعة بيضاء بالطائف بنت عليها ثقيف بيتا جعلت فيه حرما يقصده الناس يتقربون إليه ويقدّمون لها الذبائح[4].

أما عن سبب عبادته، ذلك أن عمرو بن لحي، ولما غلبت خزاعة على البيت، كان في الطائف رجل يدعى اللات يصنع الطعام للحجيج على صخرة معروفة تسمى" صخرة اللات"، فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة، ثمّ أمرهم بعبادتها[5].

**ج- العزى:** وهي شجرة كانت بنخلة عنده وثن تعبده غطفان، والعزى هي تأنيث الأعز وهي أحدث من اللات، وكان الذي اتخذ العزى ظالم بن أسعد، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح[6].

---

(1)- القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 3.

(2)- أحمد أمين سليم، **معالم تاريخ العرب**، المرجع السابق، ص 200.

(3)- السهيلي، **الروض الأنف**، ج 1، دون طبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008 م، ص 101.

(4)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 171.

(5)- السهيلي، المرجع السابق،ج1، ص 102.

(6)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 116.

**د- مناة:** وكانت مناة للأوس والخزرج وقبائل الأزد وغسان يعظمونها ويقدّمون لها النذور والقرابين، وقد شاركتهم قريش وعامة عرب الحجاز في تعظيم واحترام مناة وهي عبارة عن صخرة مربعة، توجد في منطقة قديد من ناحية الشمال على ساحل البحر الأحمر في موضع يقع في منتصف الطرق بين مكة ويثرب[1].

بالإضافة إلى هذه الآلهة فقد عرف العرب أصناما على شاكلة إساف ونائلة وهما رجل وامرأة من جرهم، فمسخهما الله حجرين لبغيهما، وغيرها من الأوثان، كما اتخذت العرب من الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، تهدي لها الهدايا كما تهدي للكعبة، ويطاف بها كطواف الكعبة وينحر عندها، وفضلها دون الكعبة[2].

وقد عبد العرب القوى الطبيعية مثل الكواكب، التي عرفتها العربية الجنوبية بوجه خاص وهذه الكواكب هي الثالوث الذي يمثله القمر، الشمس والزهرة[3]، وعلى كل حال فإن عبادة الكواكب في بلاد العرب لم تكن مقصورة على هذا الثالوث المشهور، وإنما عبد العرب كذلك وبخاصة قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش" الشعرى العبور"، وقد سمّيت كذلك لأنها تعبر السماء عرضا، وهناك كذلك ما يشير إلى أن بعض العرب قد عبدوا الثريا والنجم، بدليل وجود أسماء مثل: عبد الثريا، عبد نجم، كما أن البعض الآخر عبد المريخ وسهيلا، وعطارد وزحل[4]، ويلاحظ أن هناك ارتباط بين عبادة هذه الأجرام السماوية وعبادة الأصنام، وذلك لأن الناس صنعوا الأصنام لتكون صورة أو رمزا يذكرهم بالإله أو الآلهة التي يعبدونها، وقد مثلت الأصنام في نظرهم قوة عليا هي فوق الطبيعة، واعتقد عابدوها أنها قد حلّت فيها روح آلهتهم المقدّسة[5].

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 402.

[2]- ابن هشام، المرجع السابق، ج1،ص 208، 209.

[3]- محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، ط 5، دار النفائس، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 24.

[4]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 207.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 68، 69.

وللأرواح في اعتقاد العرب القدامى قدرة على الظهور للإنسان بأشكال مختلفة ولذا فإنهم قدّسوها بل عبدوها، واعتقدوا أنها تحل في بعض الحيوانات، فنشأت عندهم فكرة التشاؤم والتفاؤل والخوف من بعض الحيوانات، كالغراب، البومة، الحيات والعقارب، لزعمهم بأنها حيوانات لها أثر في حياة الإنسان تجلب له الخير والشر[1].

كما اعتقدوا أن الأرواح تحل في بعض الأشجار، فنظروا إليها نظرة تقديس، ويعرضون عن إلحاق الأذى بها أو قطعها، خوفا من انتقام الأرواح التي حلّت فيها منهم، وكانوا يقدّمون لها القرابين وينذرون النذر، ويتّخذون مواضعها حرما مقدّسا يحجون إليه في بعض الأحيان، وأشهر هذه الأشجار نخلة نجران وشجرة ذات أنواط[2].

كما عبد العرب الجن والملائكة، ومارسوا عبادة الطوطم، وهذه الأخيرة عبارة عن عقائد دينية قديمة تقوم على أساس الجماعة والقبيلة، يرتبط أفرادها برباط ديني مقدّس هو رباط الطوطم، رمز الجماعة، فالعرب كانوا يتسمّون بأسماء حيوانات مثل: بنو أسد، وأسماء نباتات مثل: حنظله، وأسماء طيور مثل: نسر، وتشير هذه التسميات إلى تقديس العرب للحيوانات والنباتات[3].

## 2- الحنيفية:

بالرغم من أن المجتمع العربي القديم مجتمع وثني في عبادته، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور فئة من الناس اعتزلت عبادة الأصنام، وكان لها موقف محايد ليس بالوثني ولا يهودي، ولا نصراني، بل رؤية تأملية متفردة فطنوا من خلالها إلى سوء حالتهم الدينية، فحاولوا الارتقاء عن الوضع المعاش، ويعرف هؤلاء بالأحناف، وهي جمع لحنيف (صفة إبراهيم عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ

---

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 286.

[2]- نفسه، ص 287.

[3]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 25.

مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾[1] ﴾، وفي قوله :﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ [2]﴾.

ومن أشهر المتحنفين: قيس بن ساعدة الأيادي، زيد بن عمرو بن نفيل، أمية بن أبي الصلت، سويد بن عامر المصطلقي، أسعد أبو كرب الحميري وورقة بن نوفل القرشي وزهير بن أبي سلمى وكعب بن لؤي بن غالب، وعثمان بن الحارث، وقد كان معظم هؤلاء نساكا تشككوا في عبادة الأصنام، وساحوا في الأرض بحثا عن الدين الصحيح دين إبراهيم، وزهدوا في المجتمعات الوثنية واعتزلوا الناس في الكهوف للتأمل والعبادة والصلاة، واعتقدوا بوحدانية الله خالصة كالوحدانية التي نادى بها إبراهيم عليه السلام[3].

وقد امتاز هؤلاء الأحناف بالسمو العقلي والأخلاقي، والحنكة السياسية، والثقافة العالية نسبيا، غير أنهم لم يكونوا متماثلين رأيا واعتقادا، كما لم يكونوا على صلة ترابط وتلاق بينهم، لكنهم مع ذلك يلتقون عفويا على مبدأ واحد وهو رفض عبادة الأصنام، وتعدّد الآلهة، والإيمان بوجود إله واحد، بالإضافة إلى الجانب السلوكي الذي اشتهروا به من تجنبهم للناس، وطواف بعضهم في الأرض بحثا عن دين إبراهيم الحنيف، كما كان من بينهم من قرأ الكتب اليهودية والنصرانية، ونادوا بنبذ العادات السيئة، كوأد البنات، وشرب الخمر، واستباحة النساء[4].

وقد كان لهذه الأفكار أعظم الأثر في تقويض الوثنية في شبه جزيرة العرب، وانتشر سب الآلهة والإعراض عنها، كما حدث للشاعر امرؤ القيس لما قتل أبوه، وأراد طلب ثأره، استقسم

---

[1]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 135.

[2]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 67.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 435.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 24.

عند أحد الأصنام والذي يدعى "ذي الخلصة "بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك، فسبّ الصنم وكسر القدح، وضرب بها وجه الصنم، وانشد قائلا:

لو كنت يا ذا الخلص الموت ورا مثلـي وكان شيـخ كالمقبـورا
لم تنـه عن قتـل العـداة زورا[1]

وقد أنف المتحنفون عبادة الأصنام ودعوا إلى التوحيد، وفي ذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل عندما تحنّف وترك الأصنام[2]:

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعـل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمـي بنيي عمـرو أزور
ولا هبـلا أزور وكـان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير

وكان كعب ابن لؤي بن غالب، أحد أجداد الرسول متحنفا، يأمر قريش بالتفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، ويحثّهم على صلة الأرحام، وحفظ العهد، ويذكرهم بالموت وأهواله، ويبشرهم بمبعث رسول الله[3].

**3- اليهودية:**

تعتبر الجزيرة العربية مهد الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، المسيحية، الإسلام، ويعتبر إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء حيث نشأ في العراق وهاجر إلى الشام، وقد حمل أبناؤه من بعده رسالة التوحيد التي كان يدعو إليها[4]، وقد اقترنت الديانة اليهودية بالنبي

---

[1]- ابن الكلبي، **الأصنام**، ط 3، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1995 م، ص 35.
[2]- نفسه، ص 22.
[3]- الألوسي، **بلوغ الأرب**، ط1، ج 2، تح: إبراهيم السامرائي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، العراق، 1982 م، ص 282.
[4]- الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 233.

موسى عليه السلام، وهو من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان ليعقوب اسم آخر هو إسرائيل، لذا فقد دعي أبناؤه ببني إسرائيل[1].

وكان موطن بني إسرائيل مصر، حيث زاد عددهم، ونشأت خلافات بينهم وبين المصريين، فتولى موسى قيادتهم وإخراجهم من مصر إلى أرض فلسطين عبر جزيرة سيناء[2].

وكانت التعاليم التي نزلت على موسى عليه السلام تدعو إلى التوحيد، وانتشرت في بعض مناطق بلاد الشام والعراق واليمن والحجاز، وقد تعرضت اليهودية إلى كثير من التطورات والتحولات نتيجة احتكاكها وصراعها مع الأديان الأخرى، مما أكسب اليهود بعض المواصفات التي ميزتهم عن أقوام شبه الجزيرة نتيجة للظروف التاريخية التي مروا بها، وكان أبرزها ميلهم إلى الانغلاق والعزلة واعتقادهم أنهم شعب الله المختار[3].

أما عن انتشار اليهودية في مناطق شبه جزيرة العرب وقبائلها إما عن طريق هجرة اليهود إليها أو اعتناق بعضهم لها[4]، كما ذكر أن اليمن بأسرها قد تهوّدت، وتهود قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم يهود خيبر، وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام[5].

وقد تحدّثت التوراة من خلال نصوصها عن تجارة القوافل بين شبه الجزيرة العربية وفلسطين، فقد اعتبرت التوراة شبه الجزيرة العربية مصدرا للمواد الكمالية الفاخرة التي يستخدمها المترفون وأولوا النعمة، كالذهب، العطور، والبخور والتوابل واللؤلؤ[6]، وأكيد أن التجارة هي وسيلة من وسائل انتشار الديانة اليهودية في شبه الجزيرة العربية.

---

(1)-الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 236.

(2)- المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع السابق، ج 1، ص 43، 46.

(3)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 408.

(4)- اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج 1، ط 1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2010 م، ص 257.

(5)- سيد أحمد الناصري، **تأملات ومشكلات تاريخ الجزيرة العربية**، مجلة الدارة، العدد 2، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1991 م، ص 21، 22.

(6)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 181، 182.

لم تستطع اليهودية اكتساح الوثنية العربية لأن الكثير من أحكامها شاق على العرب ولأنها لا تبيح الانتفاع بغنائم الأعداء، بل يجب إحراقها، والعربي يقاتل ليثأر ويغنم بالمال والأسرى، وقد كان أثر اليهود في العرب ضعيفا سواء من الناحية النظرية أومن الناحية العملية فمن الناحية النظرية لم يجتهدوا في نشر دينهم بين العرب الوثنيين واعتبروه دينا قوميا، ومن الناحية العملية فكان لهم أثر سيء في بلاد العرب، لأنهم انصرفوا إلى كسب المال بطرق مشروعة وغير مشروعة، فكانوا يعملون في الربا الفاحش، وإثارة الفتن بين القبائل، كما فعلوا بين الأوس والخزرج[1]، وهذا لا يمنع أن اليهود قد تأثروا بدورهم بالعرب لطول إقامتهم بينهم، فاكتسبوا اللغة العربية وكثيرا من العادات والتقاليد العربية.

## 4- الديانة المسيحية (النصرانية):

إن الديانة اليهودية لم تكن الوحيدة التي وجدت لها طريق إلى شبه الجزيرة العربية، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقها إلى جزيرة العرب، هي الديانة المسيحية، وهي ديانة أحدث عهدا من الديانة الأولى، فبينما اليهودية حبست نفسها في بني إسرائيل وجعلت إلهها بني إسرائيل وأنها شعب الله المختار، جعلت النصرانية ديانتها عالمية جاءت لجميع البشر [2]، وبينما قيد اليهود اليهودية وأبناءها بقيود تكاد تكون تضبط حركاتهم وسكناتهم وفرضت عليهم فروض ثقيلة فإن النصرانية أكثر تساهلا وتسامحا، فلم تقيد أبنائها بقيود شديدة، ولم تفرض عليهم أحكاما اشترطت عليهم وجوب تنفيذها، وقد قام رجال الدين النصارى منذ أول نشأتها بالتبشير بها وبنشرها بين الشعوب، وبذلك تميّزت عن اليهودية التي جمدت واقتصرت على بني إسرائيل[3].

إنه من الصعب تحديد الزمن الذي دخلت فيه النصرانية إلى شبه الجزيرة العربية، وتحاول مؤلفات الكنائس رد ذلك التاريخ إلى الأيام الأولى من التاريخ النصراني، ولكن أغلب المؤرخين

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 409.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 582، 587.

[3]- نفسه، ص 582، 587.

لا يقرون بذلك وفي البحث العلمي فإنه يجب التقيد بالأدلة العلمية كالوثائق المكتوبة وكل ذلك يتطلب المزيد من البحث، وإن كانت اليهودية قد دخلت الجزيرة العربية بالهجرة والتجارة، فإن دخول النصرانية إليها كان بالتبشير وبدخول بعض النساك والرهبان فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، وكذلك بفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم، ومن قوة المنطق ووسائل الإقناع، وكيفية التأثير في النفوس وكذلك فإنهم لم يعبئوا بما اعترضهم من مشاق حيث أنهم رافقوا البدو، وسكنوا الخيام، وعرفوا بأساقفة الخيام، وبأساقفة البادية، ولقد دخل أناس من العرب النصرانية باتصالهم بالتجار النصارى، وبمجالستهم لهم، ودخلت النصرانية جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج، وهي تجارة الرقيق المستورد من الروم والفرس[1].

ولقد انتشرت المسيحية من ثلاث مراكز مسيحية مجاورة، سوريا في الشمال الغربي، والعراق في الشمال الشرقي، والحبشة في الجنوب الغربي عن طريق البحر الأحمر، وفي الجنوب عن طريق اليمن. ولقد كانت الكنيسة السورية من أهم دعائم النصرانية بالمنطقة، حيث وصل تأثيرها نحو الصحراء العربية، وخلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين أصبحت المسيحية في بلاد سوريا في عهد الروم، وانتشرت في الشام في حماية دولة الروم (الغساسنة)، كذلك ساعدت مصالحة الإمبراطور جاستينيان للمذهب المونوفيزي- حتى لا يضعف الإمبراطورية الرومانية- ساعدت هذه المصالحة على انتشار المذهب اليعقوبي(*) في شبه الجزيرة العربية[2].

وقد انتشرت المسيحية بين عرب بلاد الشام، وكذا بين العديد من القبائل العربية على غرار قبيلة قضاعة وكلب وعاملة وجذام، وقد حارب الغساسنة إلى جانب الروم لدوافع دينية وسياسية ففي يوم اليرموك(**) كانوا في صفوف الروم، وكان رئيسهم جبلة ابن الأيهم

---

(1)- لويس شيخو، النصرانية وآدابها، ج 1، د ط، بيروت، لبنان، 1912 م، ص 35، 75.

(*)- المذهب اليعقوبي: هم أتباع يعقوب البرادعي: أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، دون طبعة، المكتبة العصرية، 2005 م، ص 190. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص 118.

(2)-. Richard Bell, **The Origine of Islam its Christian Environment**, London, 1926, PP 15,17

(**)-معركة وقعت بين المسلمين والروم، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الوادي الذي وقعت فيه، وهو وادي اليرموك و"اليرموك: نهر ينبع من جبال حوران، يجري قرب الحدود بين سوريا وفلسطين.

الغساني في مقدّمة الجيش الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي هرقل لمحاربة المسلمين، كذلك كانت عاملة ولخم وجذام من القبائل المتنصرة والتي ساعدت الروم[1]، وتعتبر قبائل إياد من جملة العرب المتنصرة، وسكن قوم منهم الشام، وخضعوا للغساسنة والروم وتنصروا، كذلك وجدت النصرانية طريقها بين العديد من رجالات قبائل طيئ[2].

وبالرغم من تبعية الحيرة للفرس، فقد انتشرت النصرانية بين أهل الحيرة فبينما كان نصارى الشام على المذهب اليعقوبي[3]، كان نصارى العراق من أتباع المذهب النسطوري[*][4]، وكان الاتصال ببلاد الحجاز بالحيرة وبلاد الشام، أن دخلت النصرانية إلى هذه البلاد، ومنها دومة الجندل وآيلة وتيماء، كما كان في يثرب ومكة والطائف قليل من المسيحيين، فدومة الجندل كانت على اتصال منذ القدم بالحيرة، وبذلك انتقلت إليها المسيحية، وكان صاحب آيلة قبل الإسلام يوحنا بن رؤية نصراني الديانة [5]، أما اليمامة فكان حاكمها هوذة بن علي، وكان نصرانيا من بني حنيفة[6].

وقد انتشرت المسيحية بالتبشير في نواحي الجزيرة الجنوبية، فدخلت اليمن على يد أحد المبشرين الصالحين واسمه "فيميون"، وكان من الزهاد السائحين في الأرض لنشر الدين المسيحي[7]، وتذكر روايات الإخباريين أن عبد بن كلال بن مثوب أحذ زعماء حمير هو الذي

---

[1]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج1، ص 192.

[2]- لويس شيخو، المرجع السابق، ص 132.

[3]- Philiby, **The Background of Islam**, Alexandria, p 112.

[*]- المذهب النسطوري: يشمل طائفة من المسخين بنتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية، أنظر: الشهرستاني، المرجع السابق، ص 182. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص 118.

[4]- اليعقوبي، المرجع السابق، ص 214.

[5]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 2، ص 191.

[6]- نفسه، ج 1، ص 379.

[7]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 5، ص 266.

أدخل النصرانية، ونشرها بين الحميريين وأنه أخذها عن رجل من غسان، كان قد قدم عليه من بلاد الشام[1].

وأصبح لليمن مكان في المجمعات الكنسية المسيحية، وقد أرسل قسطنطين الثاني سفارة مسيحية إلى الجنوب لإقناع ملوك اليمن بإقامة بعض الكنائس للمسيحيين هناك[2]، وكانت نجران أهم مواطن النصرانية في بلاد العرب الجنوبية، واشتهرت بإنشاء أكبر الكنائس وأفخمها في جزيرة العرب في عهد الأحباش، وعرفت بكعبة نجران أو بيعة نجران[3].

سار العرب المتنصرون في بلاد العرب وراء المبشرين، واعتقاداتهم الخرافية بمقدرتهم على شفاء المرضى والتوسط بينهم وبين الله، وقد تنصّر الكثير من العرب من أجل مصالحهم السياسية والاقتصادية، وإرضاء سادتهم من الروم واتضح ذلك من وجود مراكز الثقل النصراني في المواضع التي دان فيها العرب بالتبعية للإمبراطورية البيزنطية، ورغم أن النصرانية هي ديانة سماوية تدعو إلى التوحيد، غير أن النصرانيين قد اتخذوا التماثيل ووضعوها في كنائسهم، وأكلوا لحم الخنزير وشربوا الخمر[4]، وامتهنوا صناعة الأوثان للاتجار فيها، وبيعها للوثنيين في بلاد الشام[5]، وهذا كله مخالف لتعاليم المسيحية.

[1]- لويس شيخو، المرجع السابق، ج 1، 55.

[2]- نفسه، ص 56.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 65.

[4]- لويس شيخو، المرجع السابق، ج 1، ص 117.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 244.

# الفصل الثاني

## الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية

# محتويات الفصل

**المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية**

1- الحياة الاقتصادية عند البدو

**المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية**

1- مقومات المجتمع العربي

2- القبيلة العربية ونظامها

3- الحياة الاجتماعية

## المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

### 1- الحياة الاقتصادية عند البدو:

اعتمد البدو في معاشهم على:

**أ- الرعي** : وهو يعتمد على رعي الأغنام والأنعام، وهو من وسائل العيش في المجتمع البدوي، الذي يتسم بالبساطة والحرية التي لا تحدّه[1]، فكانت بذلك معيشتهم تقتصر على ما تنتجه مواشيهم من ألبان ولحوم، يتغذون بها ومن صوف ينسجون منه خيامهم ولباسهم، ومن جلود يستعملون منها قِربا أو أحذية يحتذونها[2].

ذلك أن البيئة التي يعيش فيها البدو ليس فيها غير الكلأ وعشب وشجيرات أو أشجار، تعلف أوراقها وأغصانها الإبل، ويحتطبها البدو لبيعها لأهل الحضر إذا كانوا على مقربة منهم أو لاستعماله وقودا لهم[3].

**ب- الغزو**: وباعتبار الرعي لا يساعد على ظهور رأس مال كبير، وعلى حدوث تطوير في الصناعة[4]، فقد لجأ البدو إلى الغزو ومعناه الإغارة والسلب، إذ يهاجم أفراد قبيلة عنوة قبيلة أخرى، ويسطون على أنعامها ويسبون نساءها وأولادها[5].

ولا يعتبر الغزو ضربا من ضروب اللصوصية، وإن شابهها، ولكنه بحكم عوامل حياة البداوة الاقتصادية والاجتماعية وضع من أوضاعها وركن من أركانها، ففي الصحراء حيث القتال غريزة ملازمة لطبيعة الفرد، يحسب الغزو خليقا بالرجال ورمزا للرجولة، ولم يقتصر ذلك على فريق دون آخر بل شمل العرب جميعا من نصارى وغيرهم[6] .

---

(1)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 77 .

(2)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 236 .

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 20 .

(4)- نفسه، ص 77 .

(5)- ديزيره سقال، المرجع السابق،ص 97 .

(6)- فيليب حتى، المرجع السابق، ص 522 .

وقد دفعت قساوة الطبيعة وشظف الحياة والذي اتسمت به الصحراء ومفازاتها وانحباس الأمطار، وقلة الموارد الطبيعية إلى الغزو[1]، وتحولت هذه الحياة الحربية من بعض وجوهها إلى مصدر من مصادر رزقهم[2].

نستنتج مما سبق أن البدو باعتمادهم هذا النمط للعيش أدّى هذا إلى تخلف اقتصادهم عن اقتصاد المستوطنات والقرى بدرجات كبيرة وأدى هذا بدوره إلى تخلفهم في مناحي الحياة الأخرى.

## 2- الحياة الاقتصادية عند الحضر:

### أ- الزراعة:

ترجع أهمية الزراعة إلى أنها توفر حاجة الإنسان من الغذاء وتؤمّن له المعاش وتمدّه بالثروة، وقد وجه أهل الطائف ويثرب وبلاد اليمن غايتهم إلى تنمية موارد الثروة الزراعية، فنشطوا في حفر الترع والقنوات وإقامة السدود، وقد نالت الأراضي الواقعة في جنوب الجزيرة العربية وشرقيها حظا وافرا من العناية، فامتدت بها شبكة واسعة النطاق من القنوات، فتحسّنت زراعتها كما في أقاليم اليمامة ونجد والتي عمرت بالقرى والضياع[3]، ومثال ذلك:

**1- الطائف**: أدّى توفر المياه في الطائف وخصوبة تربتها إلى قيام حياة زراعية متقدّمة فيها، وكانت الزراعة أساس الحياة الاقتصادية [4]، وقد أشار الإخباريون إلى أن الطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، وبها مياه جارية وأودية، وقد اشتهرت الطائف بزراعة الكروم حتى قيل " الطائف أكثر بلاد الله عنبا[5] "، وكانت صادراتها تتمثل خاصة في العنب والزبيب، ولم تخلو من زراعة النخيل بحكم انتشار زراعته في واحات شبه الجزيرة العربية[6]،

---

[1]- ديزيره سقال، المرجع السابق، ص 97 .

[2]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 78 .

[3]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 211.

[4]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 9.

[5]- الدميري، **المعطار**، ط2، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، 1984، ص 379.

[6]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 303.

وقد وردت بعض الإشارات على وجود زراعات أخرى كأشجار الزيتون والبقوليات من الثوم وغيره وذلك من خلال ما ورد في شعر أبو الصلت كقوله:

إلى خضارم مثال الليل متجئا فوما وقضبا وزيتونا ورمانا[1]

ومن مواضع الطائف الخصبة الوهط وهو واد في أرض مستوية فيه أكثر أنواع الأشجار المعروفة في الجزيرة، وقد اتخذه بستانا عمرو بن العاص، وقد عرف الوهط بكثرة كرومه وأنواع أعنابه[2]. ولاهتمام أهل الطائف وشغفهم بالزراعة وعنايتهم بغرس الأشجار وخاصة المثمرة منها عملوا على تحسين أنواعها وجلب أنواع جديدة لها، فقد استوردوا أشجارا من بلاد الشام ومن أماكن أخرى وغرسوها[3].

ولم يقتصر أهل الطائف في نشاطهم على الزراعة بل امتد إلى تربية بعض أنواع الحيوانات كتربية النحل والجمال والأغنام وغيرها، وكانت ثروتهم الحيوانية كبيرة، فقد ورد أن الغنائم التي تحصّل عليها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبيلة ثقيف وهوازن وحلفائهم في موقعة حنين في السنة 8 هـ كانت 2400 بعير، وكانت من الغنم ما لا يدري عددها، وقالوا 4000 آلاف أقل أو أكثر[4].

**2- يثرب**: تعتبر أرض يثرب من أخصب أراضي الحجاز، فهي أرض بركانية خصبة تتوافر فيها مياه الأودية والآبار والعيون، وأرض من هذا النوع تكون صالحة للزراعة وكان أهم مزروعات يثرب النخيل وعليه كان يعتمد سكانها[5]، بالإضافة إلى زراعة الشعير تحت أشجار النخيل في غالب الأحيان فكان محصوله المادة الغذائية الثانية بعد التمر[6]، وكان

---

(1)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5،ص 362.

(2)- الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج5، بدون طبعة، مطبعة حكومة الكويت، 1969 م، ص 243.

(3)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 202.

(4)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق،ص304.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 352.

(6)- البلاذري، المرجع السابق،ج1، ص 278.

يزرع أيضا القمح والكروم وفواكه أخرى كالرمان والموز، وحب البان ومنها كان يحمل إلى سائر البلدان[1].

وقد اشتغل أهل يثرب كذلك برعي الجمال والأغنام، وكانت المراعي تقع على أطراف مدينة يثرب في منطقة زغابة والغابة وكذلك في منطقة الربذة وكذا نقيع الخضمات[2] .

**3- اليمن**: اعتمد اليمنيون القدامى في حياتهم على الزراعة في المقام الأول حيث كانت العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة[3]، وقد تركزت الزراعة في الأدوار الأولى للحضارة في المنطقة الشرقية من اليمن والتي تحد الربع الخالي وبالتحديد في منطقة "صهيد" المعروفة اليوم بـ "رملة السبعتين" حيث مصب العديد من أودية اليمن الشرقية القادمة من المرتفعات المحيطة، هذا علاوة على وجود الزراعة في المرتفعات الجبلية، وقد اعتمدت الزراعة بشكل أساسي على الأمطار ومن هنا كانت الزراعة نشاطا فصليا (الصيف) بالدرجة الأولى، وهذه الأمطار قد تحتبس أعواما ولذلك فإن الإنتاج والفائض الزراعيين كانا فقيرين مقارنة بحضارات زراعية اعتمدت على الأنهار كالصين ومصر[4]. وقد استعملت آلات عديدة في الزراعة عند اليمنيين من الحديد والخشب والحجارة وبعضها متقدّم نوعا ما اعتمد على المسحاة وعلى آلات الحراثة التي تجرّها الحيوانات وتستعمل هذه الطريقة في حراثة المزارع الكبيرة، أمّا الحيوانات المستخدمة في الحراثة فهي الثيران والحمير والخيل والجمال[5] . وزرع اليمنيون مختلف أنواع الحبوب، وأشجار النخيل والبخور واللبان، وأشجار الفواكه (منها الأعناب التي تسمى بلغة المسند "وين") والخضروات[6].

---

(1)- ياقوت الحموي، المرجع السابق،ج5، ص 87.

(2)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 335.

(3)- ديتلف نيلسون وآخرون، **التاريخ العربي القديم**، ط3، تر: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978 م، ص 122.

(4)- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص119.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 76، 48.

(6)- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 120.

ومن الملاحظ أن الموقع الجغرافي الممتاز لليمن، فهي تطل من الغرب على البحر الأحمر ومن الجنوب على البحر العربي الذي هو جزء من المحيط الهندي، وكذلك من المعروف أن الكثير من مناطق اليمن في الشرق (ظفار) وفي الغرب (جبال اليمن العالية) تهبط عليها الأمطار الموسمية بكثرة[1] وغزارة، وفي كل أنحاء اليمن تنتشر الأودية التي تجري المياه في بعضها طوال السنة، ولا تزال آثار أعمال الري الواسعة القديمة منتشرة في بطون الأودية التي احتفظت بأسمائها القديمة في النقوش مثل أودية مأرب وبيجان ومرخه وجردان ووادي حضرموت الكبير[2].

كما مارست دول الشمال في الجزيرة العربية على غرار دولة الأنباط الذين أقاموا السدود والأحواض والصهاريج لحفظ الماء، كما حفروا القنوات والمجاري من أجل ري الأراضي واستصلاحها لأغراض الزراعة[3]، وقد استثمر التدمريون ينابيع المياه الموجودة في مدينتهم عن طريق إنشاء البساتين التي تزرع فيها أشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والتفاح والإجاص، كما أشار القانون التدمري إلى الحنطة والتبن المتبقي بعد الحصاد مما يدل على زراعتها في بعض المناطق في موسم سقوط الأمطار، كما اهتمّ التدمريون بتربية الحيوانات مثل الجمال والغنم والماعز، ووردت إشارات في القانون المالي التدمري إلى هذه الحيوانات وفرض بعض الرسوم الخفيفة على سمنها وجلودها[4] .

وقد مارس أهل الحيرة الزراعة والرعي، وهما حرفتان أملتهما طبيعة المكان الذي تقع عليه الحيرة، فوقوعها في أرض السواد وعلى نهر كافر جعلها تجمع بين حياة البداوة وحياة الاستقرار، وكانت مزارع النخيل والبساتين والجنان تمتد في نواحيها من النجف حتى الفرات[5].

---

[1]- محمد عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، دون طبعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985 م، ص 186.

[2]- نفسه، ص186.

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 130.

[4]- نفسه، ص 175.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 272.

**ب- الصناعة:**

لقد نتج عن ممارسة الزراعة إلى ظهور بعض الصناعات والحرف بين أهل الحضر، وكانت نتيجة حتمية لاستثمار موارد الزراعة وتربية الحيوانات وبالتالي إشباع حاجاتهم المختلفة، وقد اختلفت هذه الصناعات من منطقة إلى أخرى.

فقد أشير إلى أن أهل الطائف اشتهروا بصناعة تجفيف العنب وتحويله إلى زبيب ذلك أن زبيبها معروف يتجهز به إلى جميع الجهات[1]، وقد ارتبطت زراعة العنب بتحويله إلى خمور، وبتوفر الثروة الحيوانية أشتغل أهل الطائف بصناعة دبغ الجلود، فقد وصفت الطائف بأنها مدينة قديمة جاهلية، وهي بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية، المعروكة[2]. كما أن بناء سور حول الطائف وكذا وجود قصور لزعماء ثقيف، وبعض سادات العرب في الطائف تدلّ على أن عملية البناء كانت تتطلب وجود حرف مساعدة كالحدادة والنجارة وغيرها[3].

كما ظهرت بعض الصناعات في يثرب والتي تعتمد على الإنتاج الزراعي مثل صناعة الخمور من التمر، وصناعة القفف من سعف النخل، والنجارة من شجر الطرفاء والأثل وهو شجر يكثر في غابة يثرب، واختصت يثرب أيضا بصناعة التحف المصنوعة من المعادن كالحلي وأدوات الزينة، وبصناعة الأسلحة والدروع[4].

واليمن هي في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة، وهي الأولى في الإنتاج أيضا وقد عرفت منتجاتها في كل موضع من بلاد العرب، وهي المكان الوحيد الذي زادت صادراته عن وارداته، وكان المستوى المعيشي فيها أعلى من المستوى المعاشي لبقية أجزاء جزيرة العرب، وهي المكان الوحيد الذي نجد فيه التمايز الطبقي لتباين الظروف المعاشية التي عاشت فيها طبقات

---

(1)- الحميري، المرجع السابق، ص 379.

(2)- الهمذاني، المرجع السابق، ص 233.

(3)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 307.

(4)- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 353.

المجتمع[1]، واشتهرت اليمن ببضاعات كثيرة منها: المعادن والحديد، النسيج والنجارة، الدباغة والصباغة، الخمور وأنواع المرمر والفخار و الجص[2].

نلاحظ أن صناعة اليمن لم تبرز في نوع واحد أو صنف معين، بل برزت في كل نوع من أنواعها المعروفة في ذلك العهد، والتي دعت الحاجة إلى ظهورها، والتي وجدت موادها الأولية فيها[3]، وقد استعمل اليمنيون أدوات ما تزال كما هي تقريبا إلى اليوم[*]. كما ظهر في تدمر بعض الصناعات والحرف والخدمات المتنوعة من أجل إشباع حاجات المجتمع التدمري، فظهر أصحاب الدكاكين الذين يتاجرون بالجملة والمفرق وشتى البضائع والسلع كالأغذية والأواني الفخارية والزجاجية وغيرها، وظهر أصحاب صنائع وحرف كثيرون ذكرت النصوص أسماء بعضهم كالأطباء والعطّارين والنحاتين وصانعي الجلود والقرب، والحدّادين، وشغيلة الذهب والفضة، وكان لأصحاب هذه الحرف نقابات خاصة بهم وتدافع عنهم[4].

ولأن البتراء عاصمة دولة الأنباط وهي تعتبر محطة تجارية للقوافل وما تتطلبه هذه الأخيرة من خدمات، فقد ظهرت بعض الحرف فيها وفي غيرها من مدن الأنباط كالحدادة والنجارة، والتعامل بالمنسوجات، كما تطلب التعامل مع أصحاب القوافل نشاط المعاملات التجارية من بيع وشراء وإقراض و صيرفة وغيرها[5] وبلغت الصناعات درجة متطورة في دولة الحيرة حتى أصبحت الكثير من الصناعات تنسب إليها ومن أهم صناعاتها: صناعة النسيج وخاصة نسيج الحرير والكتان والصوف، ومن أزياء الحيريين التاج والطلسان والدخدار واليملق، واشتهرت الحيرة كذلك بصناعة الأسلحة من سيوف وسهام و نصال وكذا صناعة التحف والحلي، وذاعت شهرة الخزف الحيري وصناعة الجلود والدباغة والتحف المصنوعة من العاج[6] .

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص511.

[2]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 121.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص511.

[*]- لمعرفة هذه الأدوات أنظر: جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 511، 529، 543، 544.

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 175.

[5]- نفسه، ص 128.

[6]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 273.

**ج. التجارة:**

لما كانت الجزيرة العربية تتمتع بموقعها المتوسط بين قارات العالم المعروف وقتذاك، لذلك صارت سبيلا للصلة بين الشرق والغرب، كما أن إشرافها على سواحل البحر الأحمر (القلزم) والخليج العربي وبحر العرب هيّأ لها نشاطا تجاريا مرموقا لارتباطها بإفريقيا عن طريق باب المندب، وفارس والجزر الأسيوية وأوربا عن طريق البحر المتوسط (بحر الروم) وقد ازدهرت حركة القوافل التجارية في ظل الجو الصحراوي الجاف والجدب الزراعي[1] .

وقد حظيت التجارة في المجتمعات الحضرية بمكانة مميزة فاقبلوا عليها إقبالا شديدا إلى درجة أن المؤرخ اليوناني (سترابون) الذي اهتم بأحوال العرب القديمة، كان يرى أن كل عربي فيها تاجر أو دليل، ويرى بعض العلماء، أن العرب كانوا الرواد الأوائل للتجارة العالمية، ولم يكن باستطاعة الرومان القدماء الاستغناء عنهم في هذا الميدان، وبلغ من أهمية التجارة لديهم أن الملوك والزعماء كانوا أحيانا تجارا[2]، ومنذ القديم كانت جزيرة العرب طريقا عظيما للتجارة، فطوروا أساليب نقل غلاتها إلى ممالك أخرى كالشام ومصر، وطوروا تنقلها من بعض الممالك إلى البعض الآخر[3].

ازدهرت الحياة والحركة التجارية في الجزيرة العربية، ونمت الثروة، مما شجّع على البحث عن كيفية استثمارها، وقد عبّر عن ذلك كعب بن لؤي في قوله:" صلوا أرحامكم، وأحفظوا أصهاركم وأوفوا بعهودكم وثمروا أموالكم فإنها قوام مروءتكم وتصونها عما يجب عليكم[4] .

إنّ الموقع الجغرافي لمكة قد ساعدها على تأمين رزقها وذلك وقوعها في منتصف الطريق الذي يربط اليمن بكل من الشام والعراق، فغدت محطة لأصحاب القوافل يتوقفون فيها للحصول على الراحة والتزود بالمئونة والماء، فوجد أهل مكة فرصة جيدة لكسب معاشهم من خلال تقديم الخدمات لأصحاب القوافل وتعاطي التجارة معهم[5].

---

[1]- محمود عرف محمود، المرجع السابق، ص243.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 237.

[3]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 13.

[4]- البلاذري، المرجع السابق، ج 1، ص51.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 6.

وقد كانت مكة حرما أو منطقة مقدّسة وتعد بأنها نموذجا للجمع بين كونها مركزا للحج ومكانا للتسوق، ومن ناحية أخرى فهي محرمة، ولا يسمح فيها بإراقة الدماء وبسبب هذه الحقيقة استقطبت الأفراد للإقامة فيها والزوار لزيارتها على مدار السنة وأصبحت مركزا تجاريا لأنها غدت مكانا يمكن للأفراد الحضور إليه بدون أن ينتابهم شعور بالخوف والإزعاج[1] .

وقد كان أبناء القبائل العربية ينظرون إلى أبناء قبيلة قريش نظرة إكبار واحترام فيعدّونهم أهل الله وحماة بيته المقدّس مما سهل عليهم عقد أحلاف تجارية مع القبائل التي تقع مواطنها على طرق القوافل التجارية لضمان سلامة هذه القوافل تجاه الاعتداءات التي قد تتعرض لها من قبل أبناء تلك القبائل[2]، وقد دعيت تلك الأحلاف التجارية بالإيلاف[3] .

مارس القرشيون العمل التجاري كوسطاء في بادئ الأمر، ثمّ كتجار، وقد هيّأ الصراع المستمر بين الفرس والبيزنطيين أن تزدهر التجارة في مكة وقد كانت الطريق بين العراق والشام مقفلة بسبب العمليات العسكرية، وكانت أكثر تجارة الشمال والجنوب تنزل فيها[4]، وكانت السلع التي يتاجر بها في مكة تشترك في كونها عربية وإن ثلاثة منها كان يتم تصديرها للخارج وهي الفضة والذهب والعطور[5].

ونظم القرشيون رحلتين تجاريتين في العام، ففي فصل الصيف تقصد قوافلهم بلاد الشام حاملة بضائع الهند وتزور غزة وأيلة[*] وبصرى[**]، ثمّ تعود بعد أن تنفذ عملية البيع والشراء محملة بالبضائع من جديد، ومنها الحبوب، الزيت والخمور والأسلحة والمنسوجات والجواري،

---

[1]- باتريشيا كرون، **تجارة مكة، وظهور الإسلام**، ط1 تر: آمال محمد الروبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2008م، ص 289.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 277.

[3]- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 78.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 30.

[5]- باتريشيا كرون، المرجع السابق، ص 261.

[*]- أيلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 21.

[**]- بصرى: مدينة من أعمال دمشق، وهي مشهورة عند العرب قديما وحديثا، أنظر ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 1، ص 441.

وتقصد قوافلهم اليمن في فصل الشتاء، أما تجارتهم مع الحبشة فكانت تجري عن طريق البحر[1].

قد ورد ذكر لهاتين الرحلتين في القرآن الكريم، قال الله تعالى:﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ [2] ﴾.

وازداد ازدهار مكة التجاري بعد سقوط دولة سبأ في اليمن، وكان للتجارة أهمية كبيرة في حياة مكة، حيث أدّت إلى ثراء سكانها[3]، واستفاد القرشيون من التجارة، بما فرضوا من المكوس على البضائع والضرائب على القوافل المارة على أراضيهم، وقد شاركت كافة طبقات المجتمع في العمل التجاري ومن لم يساهم بماله كان يعمل دليلا، ونتج عن العمل التجاري الرّبا الذي هو مظهر من مظاهر الحركة التجارية، والدّين والرّهن، وتطلب هذا العمل تعلّم القراءة والكتابة لضبط الحسابات التجارية[4].

فرض التعامل التجاري الواسع تجار مكة تداول مختلف أنواع العملات، وكان من أبرزها الدينار البيزنطي وهو عملة ذهبية، والدرهم الساساني وهو عملة فضية، ونظرا لأنه لم يكن لأهل مكة عملة خاصة بهم، فإنهم كانوا يتعاملون بكلتى العملتين ويقدّرون قيمتها على أساس وزنها باعتبارها معدنا من المعادن، هذا الواقع الاقتصادي في مكة يفسّر لنا كثرة التعابير المالية والتجارية التي استعملها القرآن كالحساب والميزان والقسطاس والذرة والمثقال والقرض[5] .

وبالرغم من اشتغال أهل يثرب بالزراعة لوقوعها في منطقة خصبة تكثر فيها الوديان إلا أنه كان هناك حركة تجارية نشيطة لارتباطها بالزراعة ومنتجاتها ولوفرة المصنوعات الدقيقة التي

---

[1]- محمد سهيل قطوش، المرجع السابق، ص 30.

[2]- القرآن الكريم، سورة قريش، الآية 1-4.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 285.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 30.

[5]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 282.

اشتهرت بها يثرب[1]، كما لم تقتصر الحياة الاقتصادية في الطائف على الزراعة بل امتدّت إلى التجارة الداخلية عن طريق تبادل السلع بالبيع والشراء، وكذا التجارة الخارجية مع المدن المجاورة من خلال بيع الإنتاج الزراعي والصناعي، وكانت أشهر هذه المدن التي تتاجر مع أهل الطائف مدينة مكّة[2] وأدّى هذا إلى تخصص فئة من أهل الطائف بالتجارة حيث جاء في كتابات الإخباريين أن في الطائف تجار مياسير، وقد كان في الطائف طائفة من التجار اليهود والذين طردوا من يثرب واليمن فأقاموا بها للتجارة[3].

كان اهتمام اليمنيين بالتجارة بعد الزراعة من الناحية الاقتصادية، وتم استغلال الموقع الجغرافي الوسط (برا وبحرا) لليمن استغلالا جيدا في الربط بين العراق والهند وفارس وأقصى الشرق، وبين مصر والشام وحوض البحر المتوسط عموما[4].

وكان من أسباب الازدهار أيضا في اليمن الإقبال الكبير على مواد البخور وأهمها اللبان الذي تنتج اليمن أجود أنواعه، والمرّ الذي كان يدخل في صناعات حيوية لعل أهمها صناعة تحنيط الموتى في مصر القديمة[5]، وقد لعبت شبوة ( عاصمة السبئيين ) دورا هاما في تجارة البخور، كما اشتهرت ظفار بإنتاج اللبان[6]، وكانت الحياة الاقتصادية لليمن تقوم على التجارة الدولية فضلا عن مواردها الزراعية العظيمة، وكانت تصدّر بحرا عن طريق القوافل المؤدّية إلى أرض الرافدين وفلسطين، كما كانت مركزا أساسيا لتبادل السلع، وكان ميناء المحيط الهندي للتجارة مع البحر المتوسط، والقواعد التي أقامها السبئيون على سواحل الهند والصومال أتاحت لهم

---

[1]- محمود عرف محمود، المرجع السابق، ص 244.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 308.

[3]- الحميري، المرجع السابق، ص 379.

[4]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 120.

[5]- محمد عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 185.

[6]- نفسه، ص 174، 175.

احتكار تجارة الذهب والبخور والمر وأخشاب الزينة التي تصدّرها تللك المناطق إلى الشمال[1]، واستطاع اليمنيون بلوغ البلاد القصيّة دون أيّ فتح سياسي كبير بفضل استيطانهم وتجارتهم[2].

وقد اهتمّت الممالك اليمنية بالتجارة لذلك سعت لسنّ قوانين وتشريعات تنظّم التجارة وتحصل الضرائب ومن جملة النصوص، نص أصدره الملك ( شهر هلال بن يدع أب ) القباني والمعروف بقانون سوق تمنع والذي ينظم التجارة وكيفية الاتجار، وقد كتب ونشر ليطلع عليه الناس كما تفعل الدول في الوقت الحاضر[3] .

واشتغل أهل الحيرة بالتجارة، فقد كان قرب الحيرة من الفرات، يتيح لأهلها أن يركبوا السفن في الفرات حتى الأبله[*] ثمّ يركبوا السفن الضّخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة المشرق وإلى البحرين وعدن من جهة الغرب[4]، وكانت تتوارد على الحيرة المتاجر العظام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرها[5]، ومن الحيرة كانت القوافل تحمل تجارة الهند والصين وعمان والبحرين إلى تدمر وحوران، وترتب عن هذه الحرفة تدفق الثروات على أهل الحيرة، فأقاموا القصور واستمتعوا بالحياة[6].

كما كان لموقع تدمر الممتاز أثر في تأمين طريق القوافل وتنظيم التجارة، وإقرار الضرائب المقررة على التجارة وعلى تجارة العبور، وكان تجار تدمر وعلى رأسهم الأسرة الحاكمة يتعاملون في منتجات جزيرة العرب وبضائعها من الذهب واللبان والصمغ ولؤلؤ الخليج العربي، وفي حرير الصين وتوابل الهند من البهار والقرنفل والعاج[7].

---

[1]- سبتيندو موسكاني، **الحضارات السامية القديمة**، دون طبعة،تر: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 197.

[2]- نفسه، ص198

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 231.

[*]- الأبله: مدينة تقع في جنوب العراق. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج1، ص87.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 272.

[5]- البكري، المرجع السابق، ج2، ص 478.

[6]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 272.

[7]- عبد الحكيم الكعبي، المرجع السابق، ص 89.

والتجارة أساس حضارة دولة الأنباط، ذلك أن بلادهم تقع على طريق التجارة الدولية التي تربط الشرق بالغرب، فكانت تجارة الهند المتجهة إلى البحر المتوسط تمر ببلادهم، وبخاصة إذا سلكت الطريق الذي يمر باليمن والحجاز، البتراء ومنها إلى غزة أو غيره من موانئ البحر المتوسط، وقد نشأت البتراء في الأساس كمحطة للطرق التجارية، فلا عجب أن تكون التجارة وخدمة القوافل العمل الرئيسي للأنباط والأساس الذي قامت عليه مدينتهم[1].

كانت التجارة عاملا هاما في نشوء دول شمال الجزيرة، وكان أثرها كبيرا على أوضاع دول الجنوب العربي، من حيث تذبذب عواصمها وانتقالها تباعا لانتقال الأهمية التجارية من مكان إلى آخر[2].

نشطت الحركة التجارية في الجزيرة العربية نشاطا كبيرا فكانت القوافل العربية تجوب الطرق والمسالك المنتشرة في بلاد العرب، وكان مما زاد في انتعاش التجارة معرفة العرب منازل النجوم الثابتة والسيّارة ومنازل القمر وتحركات السحاب والرياح، فكانوا يخرجون قوافلهم التجارية في أكثر الأوقات ملائمة صيفا وشتاءا[3]، وقد جاء في القرآن الكريم من الآيات ما يدل على معرفتهم بالكواكب والنجوم، قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ [4].﴾

كما أن بعض الطرق التجارية تزدان بأشجار وارفة فتمدّ ظلالها على القوافل، وكانت الجبال والأودية تنبت السمرات العالية في الطرق من مكة إلى يثرب فضلا عن وجود آبار في منازل معروفة لدى أدِلّاء القوافل[5].

---

[1]- هاشم يحي الملاح المرجع السابق،ص128.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 237.

[3]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 245.

[4]- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية115

[5]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 245.

استتبع العمل التجاري والصناعي قيام أسواق موسمية تعقد في مواسم معينة وأشهرها: دومة الجندل، هجر، المشقر، ذي المجان[1]، وكانت سوق عكاظ أعظم أسواق العرب، اتخذت سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة ولا يخفى أن مثل هذا الاجتماع حال من أحوال الحضارة[2]، يتمّ فيه التبادل التجاري والصناعي بالإضافة إلى التبادل الثقافي والفكري، وهنا يظهر عامل التأثر والتأثير، حيث كان الشعراء ينشدون قصائدهم ويلقي الخطباء خطبهم، التي أدّت إلى نوع من الوحدة اللغوية، في ظل غياب الوحدة السياسية.

## المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

### 1- مقومات المجتمع العربي:

تجدر الإشارة إلى أن المجتمع العربي القديم جمعته مقوّمات ثلاثة أساسية جمعت العرب من حولها:

**أ- وحدة اللغة:**

وذلك أن لغات القبائل في اختلافها إنما هي درجات تاريخية في سلّم النمو والارتقاء، لأنّ هذه اللغات جرت في أول عهدها على اندماج النوع الأدنى في النوع الأرقى، واستمر ذلك بين العرب، فكلما انتشرت لغة أو لغات لقوم دون قوم عمت الكل، وبهذا جعلت القبائل تتدرّج في سبيل الوحدة اللغوية[3].

**ب- وحدة الجنس:**

العرب جميعا من الجنس السامي، بل إن معظم الباحثين يكادون يتفقون على أن الموطن الأصلي للساميين هو شبه الجزيرة العربية مع اختلافهم حول المكان الأصلي فيها[4].

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 20.

[2]- مصطفى صادق الرفاعي، المرجع السابق، ج 1، ص 96.

[3]- نفسه، ص 135.

[4]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 23.

**ج- شبه وحدة دينية:**

ذلك أن العرب في معظمهم كانوا يدينون بالوثنية[1].وعلى كل فإن الباحثين اعتادوا على تقسيم المجتمع العربي القديم إلى بدو وحضر أهل وبر وأهل مدر.

## 2- القبيلة العربية ونظامها:

كان المجتمع العربي عماده القبيلة، وعلى هذا النحول م تكن للمجتمع العربي القديم نزعة قومية شاملة، لأن الوعي السياسي فيه كان ضيقا محدودا لا يتجاوز حدود القبيلة أو حدود القبائل المنتمية إلى الجدّ، فقوميتها قومية ضيّقة، وجنسيتها جنسية النّسب من انتمى إليها بنسب كان منها، ومن لم يمت إلى نسبها عدّ غريبا عنها فلا تشمله العصبية[2].

ومن الملاحظ أن احتفاظ القبائل ببداوتها ووحشيتها يضمن لها الاحتفاظ بقوّتها والتّغلّب على غيرها وذلك لأنها تعتمد في حياة البادية على العصبية مصدر قوّتها أما إذا اختلطت هذه القبائل بمناطق متحضّرة، فإن خشونتها لا تلبث أن تتلاشى وتزول[3]، والسّبب في ذلك يرجع إلى عوامل منها : الزواج من أعجميات أو بالنقلة من قبيلة إلى أخرى أو بالاستلحاق أي انتساب عبد من العبيد إلى القبيلة عن طريق زواجه بامرأة من نسائها أوعن طريق إلحاق أبناء أم أو ولد بنسب رجل عربي، ومن هذه العوامل أيضا الولاء ومنها أيضا الحلف، وهو تحالف فريقين من قبيلتين مختلفتين وتعايشهما وانصهار أحدهما وهو الأضعف في الفريق الآخر وهو الأقوى، وبرغم اعتزاز أهل القبيلة في البادية بفرديّتهم، فإنها فردية منسجمة ومتماسكة مع الجماعة، بحكم رابطة العصبية[4].

وإنما هذا التدرج من السلطة المعنوي إلى السلطة المادية ناتج عن اختلاف المعاش بين البدو والحضر، في حين تتميز الحياة البدوية بالبساطة واليسر، تتسم الحياة في الحضر بالتعقيد

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 162.

[2]- جواد علي المرجع السابق، ج 1، ص 212.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 152

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 361.

فالوازع في الحياة البدوية يتمثل في سلطة المشايخ والكبراء، والتي لا تستند على القهر والتغلب فالرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه[1].

**أ- صفات سيد القبيلة:**

كان لكل قبيلة رئيس يسمى شيخ القبيلة وهو ممثلهم ولسانهم الناطق باسمهم، وحاميهم في الملمات، وقد عرف هاشم بن المغيرة بـ ( رب قريش )، ونسبت قريش إليه في القديم، فقال الشاعر:

أحاديث شاعت من معد وحمير وخيرها الركبان حي هاشم[2]

ولكي يتولى رئاسة القبيلة لا بد أن تتوفر فيه بعض الصفات المثلى الضرورية للمجتمعات القبلية، والتي يحقق بها مصالح القبيلة وأن يسودها فقد قال عامر بن الطفيل العامري وكان سيد قومه[3]:

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودت في عامر عن راثة أبى الله أن أسمو بجد ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

فكانت أبرز هذه الصفات:

**1- الشجاعة** : فباعتبار أن المجتمع مجتمع نزاع دائم وغزو مستمر فالشجاعة من أولى الصفات التي يجن أن تتوفر في شيخ القبيلة[4].

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص - ص، 140، 153 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 188 .

[3]- ابن عبد ربه، المرجع السابق،ج2، ص، 291 .

[4]- توفيق برو، المرجع السابق، ص، 196.

**2- الثروة والكرم**: فهما ميزتان ضروريتان في بيئة فقيرة إذ لا بدّ للرئيس أن يكون على شيء من الغنى فلا تستقيم الرئاسة والغنى مع البخل[1].

فقد قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغني عنه ويُذمَمِ[2]

**3- الحلم**: وهو من الصفات التي تجعل الرئيس موضع تقديس في مجتمع فرضت ظروفه طبعا حادّا ومزاجا عصبيا، كان " سلم بن نوفل " سيد بني كنانة، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأتى به فقال : ما أمَنَكَ من انتقامي ؟، قال: فلمّ سودناك إذا إلا أن تكتم الغيظ، وتحمل عن الجاهل، وتحتمل المكروه فخلّى سبيله، فقال الشاعر:

يُسَوّد أقوام وليسوا بسادة بل السيد الصنديد سلم بن نوفل[3]

**4- الحنكة السياسية والعدل**: فهو شيخ القبيلة وسيدها ويجب أن يتمتع بالحنكة والحكمة وسداد الرأي، وهو الذي يقود القبيلة في حروبها، ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل الأخرى، ويعقد الصلح، والأحلاف ويقيم الضيافات[4]، فعلى الشيخ أن يحافظ على وحدة قبيلته، فيراعي مكانة وجهاء قبيلته ورؤساء بطونها، وأن يكون عادلا ليتحلى بالاحترام من طرف الجميع، باعتباره في كثير من الأحيان الحكم الذي يرجع إليه في المنازعات[5].
وقد قيل لقيس بن عاصم : بما سؤدك قومك ؟ قال : بكف الأذى، وبذل الندى ونصر المولى، وقال رجل للأحنف بن قيس: بما سودك قومك، وما أنت بأشرفهم بيتا، ولا أصبحهم

---

[1]-توفيق برو، المرجع السابق، ص، 196.
[2]- نفسه، ص 197.
[3]- ابن عبد ربه، المرجع السابق،ج2، ص، 288 .
[4]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 9 .
[5]- توفيق برو، المرجع السابق، ص، 197 .

وجها، وأحسنهم خلقا، قال: بخلاف ما فيك يا بن أخي، قال: ما ذاك ؟ قال: بتركي من أمرك مالا يعنيني، كما عناك من أمري مالا يعنيك، ويقال أيضا: يسود الرجل بأربعة أشياء: العقل والأدب والعلم والمال[1].

وإن توفر هذه الصفات مجملة في شيخ واحد، هي مسألة نسبية فقد تتخلف صفة من هذه الصفات فيه، ولكن رغم هذا يسوده قومه، أكيد لتحلّيه بصفات أخرى والتي غطت عن الصفة المفقودة والتي من خلالها يحظى باحترام قومه، ويكون بذلك جدير بالرئاسة.

**ب- اختيار سيد القبيلة:**

يتأثر أسلوب العرب في اختيار رئيس القبيلة بطبيعة القبيلة، وتكوينها والقبيلة ذات طبيعة أبوية تربط أفرادها بعضها ببعض رابطة عصبية الدم، حيث يقول ابن خلدون:" أعلم أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم عصبيات أخرى لأنساب خاصّة هي أشدّ التحاما من النسب العام لهم، مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو أخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين"[2].

فالعصبية داخل الأسرة الواحدة أقوى من العصبية تجاه الأسر الأخرى داخل القبيلة، لذا يشترط أن يكون شيخ القبيلة من أبنائها الصرحاء، ذلك أن القبيلة قد ينتمي إليها بعض الأفراد بالحلف والولاء، ولا يمكن لهؤلاء قيادة القبيلة لفقدانهم العصبية العائلية المساعدة على القيادة، فيشترط في سيد القبيلة أن يكون من أبنائها الصرحاء، ويشترط كذلك في ابن القبيلة الصريح أن يكون من عصبية قوية حيث يقول ابن خلدون:" وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغَلبُ إنما يكون بالعصبية كما قدمناه، فلا بدّ في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والإتباع"[3]، وأن ينتمي كذلك إلى بيت يتمتع بالشرف والأصالة

---

[1]- ابن عبد ربه، المرجع السابق،ج2، ص 286 .

[2]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 145.

[3]- نفسه

ومعنى البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرافا مذكورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته، لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم[1].

إن اختيار سيد القبيلة له شروط صارمة داخل المجتمع البدوي فبالإضافة إلى العصبية وقوتها داخل القبيلة، وكذلك الانتماء إلى البيت الشريف، لم يغفل أهل البدو الأخلاق الحميدة لسيد القبيلة من شجاعة وكرم وحلم ....، كما أنهم لم يأخذوا بنظام الوراثة المطلق في الاختيار، وهذا بالنظر إلى الأبيات التي قالها عامر بن الطفيل العامري والتي ذكرناها سابقا، كما لم يفسحوا المجال أمام بقية أفراد القبيلة لمنافسة هؤلاء السادة على هذا المنصب.

لكن السيادة عند العرب في الغالب تتبع نظام الإرث في اختيار رئيس القبيلة عند توافر شروط السيادة، إلا إذا حدث حادث يجعل أهل بيت السيادة يعرضون عن الابن الأكبر إلى غيره، كأن يكون الابن الأكبر معتوها أو سفيها، أو ضعيفا، وإخوته أو أقرباؤه أقوى منه[2]، ويرى ابن خلدون أن نهاية الحسب في البيت الواحد أربعة آباء[3].

ذلك أن المحافظة على الرئاسة في البيت الواحد أمر صعب، وذلك أن باني المجد عالم بما عان في بنائه، ومحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه، وابنه من بعده مباشر لأبيه فقد سمع منه ذلك وأخذه عنه إلا أنه مقصر.....ثمّ إذا جاء الثالث كان حظّه الاقتفاء والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المقلد، ثمّ إذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة وأوضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم إن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما أمر وجب منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة[4].

وقد نعت شيخ القبيلة بـ سيد العرب وبـ سيد مضر وبـ سيد أهل الوبر، وذلك للتعبير عن سلطانه ومكانته وعن حكمه لقبائل كثيرة عديدة، فقد نعت عمرو بن جعيد بـ سيد ربيعة

---

[1]-ابن خلدون، المرجع السابق، ص 147 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 198.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص 149 .

[4]- نفسه، ص 151 .

لرئاسته على ربيعة وعرف حذيفة بن بدر بـ سيد غطفان، وكان يقال له رب معد، وعرف قيس بن عاصم بن سنان المنقري بـ سيد أهل الوبر، فلما وفد على رسول الله وفد تميم، قال رسول الله " هذا سيد أهل الوبر"، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية [1].

**ج- مجلس القبيلة:**

رغم أنّ شيخ القبيلة وسيدها قد اختير من طرفها، لكنه لا يملك إلا بعض التأثير عليها، وهو في المقابل يحظى بالاحترام، ويستمع لنصائحه خاصة إذا كان فصيحا يجيد فن الخطابة والحديث، لكنه لا يملك حق إعطاء الأوامر فهو بذلك يملك سلطة معنوية على أتباعه، وفي كل ما يقوم به، فهو ملزم باستشارة مجلس القبيلة، الذي يتكون من مختلف رؤساء العائلات[2]، وهذا المجلس يعرف بالنادي وكان كل فرد يستطيع أن يحضره وأن يتحدّث فيه، ولم يكن له موعد معين، وفي العادة كان أعضاؤه يجتمعون مساءً، وكلما ظهر ما يدعو للاجتماع، فيتناقشون ويتحاورون وقد يخطبون أو يسمعون إلى بعض ما ينظمه شعراؤهم، وفي ذلك يدلي سادتهم بحكمهم وتجاربهم في الحياة[3].

يقول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان وقد كان سيد قومه:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأنديـــة ينتابـــها القـــول والفعـــل

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفي بأحلامها الجهل[4]

وكانت قرارات القبيلة في مجلسها نافذة فجميع أفرادها تذعن لها، وكانت الشورى إحدى السمات التي يتسم بها البدو في إدارة المجالس ومن الأقوال المأثورة في الأناة والتثبت، ما قاله

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 189 .

[2]- Dozy, **Histoire des musulmans d'Espagne.Leyde**, E ;J ;BRILL ;Imprimeur De L'université. 1861.P8.

[3]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 59.

[4]-ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج2،ص289

عامر بن الظرب[*] وهوحاكم العرب في زمانه : دعوا الرأي يغب حتى يختمر، وإياكم والرأي الفطير، يريد بذلك الرأي والتثبت فيه[1]، ومن الأمثال الشائعة عن العرب قولهم: لا رأي لمن لا يطاع، وقد قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم، قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأنّا ألف حازم، وقد قال الشاعر في الشورى:

الرأي كالليل مُسودّ جوانبه والليـــل لا ينجلـــي إلا بإصـــباح

فاضمم مصابيح أراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح[2]

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل، قول سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بن الوليد بهم: يا بني حنيفة بعدا لكم كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه، ولكنكم أبيتم، فأبيتم النصيحة، فاجتنيتم الندامة، وإني لما رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت منكم اليأس، وخفت عليكم البلاء[3].

يلاحظ مما سبق أن مجلس القبيلة هو صاحب السلطة العليا في إدارة شؤونها، وقراراته نافذة وملزمة للجميع لأنها تعبر عن إرادة هؤلاء، أي رؤساء القبائل والذين بدورهم يمثلون أفراد القبيلة .

وهنا يظهر المظهر السياسي للقبائل العربية، خاصة في حالة الحرب، حيث يشعر أفرادها بحاجتهم إلى التضامن والتماسك ونبذ الخلافات الداخلية فيما بينهم، فالتكتل ضرورة من أجل القوة والبقاء[4].

---

[*]- هو عامر بن الظرب بن عياذ بن يشكر العدواني، وكانت العرب لا يكون بينها الكائنة الشنيعة بين القوم، ولا عضلة في قضاء إلا أسند ذلك إليه، انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ج1،ص 254 .

[1]- ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج 1، ص 62.

[2]- نفسه، ص 63 .

[3]- نفسه.

[4]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 54.

إنّ مجلس القبيلة يعتبر أكثر ثباتا وتنظيما في المجتمعات الحضرية المستقرة عنه في المجتمعات البدوية، وكمثال على ذلك المجلس الذي أسسه قصي بن كلاب والذي يعرف بدار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها، قال الشاعر:

قصيّ لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

فما تنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءًا لحرب قوم من غيرهم إلا في داره[1].

ولا يختلف الأمر عن ذلك كثيرا في المجتمعات الحضرية، فالنظام القبلي كان دعامة الحياة السياسية في الممالك العربية والإمارات التي قامت في جنوب جزيرة العرب، وفي حواضر الحجاز، وفي الإمارات العربية على تخوم الشام والعراق، فلم تنصهر هذه القبائل التي نزلت في هذه المدن والحواضر في شعب واحد، كالشعب الروماني أو الشعب الفارسي، بل ظلّت تحتفظ بتنظيمها القبلي[2]، ومن المعروف أن مجتمع الحواضر ينقسم إلى قسمين:

**أ–** القبيلة أو الجماعة وهم جمهور القبيلة وعامتها.

**ب–** الملأ وهم علْية القوم وأشراف القبيلة وكبار أعيانها.[3]

وبالتالي فطبقات المجتمع العربي من الناحية الاجتماعية إذا أردنا ترتيبها فهي على النحو التالي:

**1– الصرحاء:** وهم الذين يجري في عروقهم دم القبيلة النقي، كما أنهم ينحدرون من الجد الذي تنسب إليه القبيلة، وهؤلاء هم الذين يسودون القبيلة[4]، وكانوا يهبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها[5].

---

[1]– ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 257 .

[2]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 361.

[3]– نفسه ص 362.

[4]– توفيق برو، المرجع السابق، ص 257.

[5]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 383.

**2- أبناء القبيلة بالنقلة**: وهم الذين انتقلوا من قبيلتهم الأصلية إلى قبيلة أخرى.

**3- أبناء القبيلة بالإستلحاق**: فقد تزوج القبيلة عبدا من عبيدها بامرأة من القبيلة، فيصبح مع الزمن فرد من أفرادها يحمل نسبها[1].

**4- العبيد**: وهم نوعان: عرب وأجانب، ومصدر الرقيق العربي، الحرب بين القبائل العربية، أما مصدر الرقيق الأجنبي فكان الشراء، حيث كان العرب يرتادون أسواق الروم وفارس يشترون الأرقّاء الذين كانت كل من دولتي الروم والفرس المتعاديتين تأسرهما من الأخرى[2]. وكانت طبقة الرقيق تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع العربي القديم، وكانت هذه الطبقة محرومة من الامتيازات وكانت مثقلة بالواجبات نحو سادتها، وكان يوكل إليهم بالأعمال التي يأنف العرب القيام بها مثل الرعي والحدادة والحجامة، والنجارة[3] .

**5- الموالي**: ويرجعون إلى مصدرين: الأول وهم الرقيق العتقاء، والذين فضّلوا البقاء في القبيلة، والثاني، وهوأن ينتسب فرد من إحدى القبائل إلى قبيلة أخرى بسبب خلع قبيلته له[4] .

وللتباين الطبقي في المجتمع العربي فقد أدّى هذا إلى ظهور فئتين تختلفان اختلافا كبيرا هما: فئة الأغنياء، حيث كان العرب فريق ينعم بالثراء والتّرف، وكانوا يشتغلون إما بالتجارة، فكونوا ثرواتهم من هذا الطريق، وإما يشتغلون بالزراعة في أطراف الصحراء العربية في اليمن والحيرة وفي مشارف الشام والواحات الداخلية وفي الحرات، أما الفئة الأخرى فهم الفقراء الذين كانوا يؤلفون جمهور سكان البادية، وهذه الفئة تعاني مرارة الفقر والبؤس[5].

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 257.

(2)- نفسه، ص 258.

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 385.

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 257.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 385.

## 3- الحياة الاجتماعية:

### أ- المرأة في المجتمع العربي:

تمتّعت المرأة في المجتمع بمكانة مهمّة لدى العرب في القديم، حيث كانت تؤدّي مهام عديدة سواء في الأعمال المنزلية أو الاهتمام بالماشية[1]، وكان هناك نوعان من النساء: إماء وَحُرَّات، وكانت الإماء كثيرات، وكان منهن العاهرات، كما كان منهن الجواري يخدمن الشريفات، وتدل دلائل كثيرة على أن بنات الأشراف والسادة كان لهن منزلة سامية، فكنّ يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن[2]، كما ذكر أهل الأخبار على مدى حرص أهل المرأة الشريفة على كرامتها وتزويجها لرجال أكفاء يحفظون لها ولعائلتها سمعتهم ومكانتهم الاجتماعية، ومن أهم هذه الأخبار ما ذكر عن خطبة عمرو بن حجر لأبنه ابنة عوف بن محلَّم الشيباني، أم إياس، فقال عوف: نعم أزوجها على أن أسمي بنيها وأزوج بناتها، فقال عمرو بن حجر: فأما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء أبنائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فينكحهن أكفاؤهن من الملوك، ولكن أصدقها عقارا في كندة وأمنحها حاجات قومها، لا تردّ لأحد منهم حاجة، فقبل ذلك منه أبوها وأنكحه إياها[3].

وقد مارست بعض النساء التجارة واستثمار الأموال، خير دليل على ذلك السيدة خديجة بنت خويلد، في حين تقلّدت نساء أخريات مراكز بارزة في المجتمع وصلت إلى حدّ تولي الحكم مثل زنوبيا ملكة تدمر وبلقيس ملكة اليمن، وظهرت شاعرات بارزات مثل الخنساء[4]، وكانت المرأة العربية تعدّ كجزء لا يتجزّأ من عرض الرجل العربي ولم يكن شيء يثيره كسبي النساء وهو بعيد عن الحي، كما تغنّى الشعراء بجمال المرأة وانطلق لسانهم بوصفه ووصف ما كنّ يتزيّن به من طيب وحلي وثياب على نحو ما تصور ذلك[5] معلقة أمرؤ القيس إذ يقول:

---

(1)- بشير رمضان التليسي، **تاريخ الحضارة العربي الإسلامية**، بدون طبعة، دار المدار الإسلامي، ليبيا، بدون تاريخ، ص 43.

(2)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 72.

(3)- ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج 6، ص 83.

(4)- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 43.

(5)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 74.

وَتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِهَا نَؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

كما اهتموا لجمالها المعنوي إلى جانب جمالها الحسي، وما تتحلى به شيم وخصال كريمة، على نحو ما يقول الشنفرى في زوجته أميمة:

تَبيتُ، بُعَيْدَ النَّوْمِ، تُهْدِي غَبُوقَها[*] لِجَارتِـها إذا الهَدِيَّـــةُ قَلَّـــتِ

أَمَيْمَةُ لا يُخزي نَثَاها[**] حَلِيلَـــها إذا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتْ[1]

وباعتبار النظام السائد في العائلة العربية هو نظام الأبوة وذلك أن تكون السيادة داخلها تخضع لسلطة الرجل لكن هذا لم يمنع أن يكون للمرأة دور بارز في المجتمع العربي القديم.

**ب- وأد البنات في المجتمع العربي:**

تفشّت في المجتمع العربي القديم عادة وأد البنات، عند بعض القبائل والتطير بهن، وقد صوّر القرآن الكريم هذه الحالة الاجتماعية بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ [2] .﴾

وكانت أسباب الوأد عديدة منها:

---

[*]- الغبوق: اللبن الذي يشرب في العشى.

[**]- النثا: الحديث عن الشخص.

[1]- المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص 110.

[2]- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 58، 59.

قالوا إن الخوف على المرأة إذا سبيت كان سببا للوأد، ذلك أن بني تميم كانوا قد منعوا الإتاوة عن النعمان، فحاربهم وانتصر عليهم، واستاق نعمهم، وسبى ذراريهم...ووفدت على النعمان وفودهم، وكلّموه في الذراري فحكم أن تخيّر النساء، فمن اختارت زوجها ردّت إليه[1].

لقد بدت المرأة في نظر البدوي كائنا ضعيفا يشكّل عبئا على عاتقه، ويتطلّب الحماية كي لا تقع فريسة لسبي الأعداء، وفي ذلك إهانة لمكانته وشرفه في قومه، لذلك كان العرب يفضّلون الذكور على الإناث[2] .

ومنهم من كان يئد البنات خشية الإملاق فقد جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [3] ﴾، وقد اشتهر هذا القتل في المناطق المجدبة. ومنهم من كان يئد البنات من كانت بها علامة زرقاء (بها علامة قبيحة) أو برشاء (بها نقط بيض) أو كسحاء (قعيدة) ظنّا منه أنها مصدر شؤم له وعلامة سوء في مستقبله[4]، ويذكر أن أشهر القبائل التي كانت تدفن البنات وهنّ أحياء : مضر وخزاعة، وأشدّهم في هذا تميم[5]، ولكن في المقابل فالوأد لم يكن عاما، بدليل بقاء النساء يلدن، ولم يستمر طويلا ونستند في ذلك على ما صحّ من الشعر الجاهلي الذي خلا من كلمة وأد، كما أن القرآن الكريم استعملها مرة واحدة في سورة التكوير[6] .

### ج- الزواج في المجتمع العربي:

إن الوحدة الاجتماعية في البادية والحضر هي القبيلة وركنها هو الأسرة والرجل عماد الأسرة وربها وصاحب نسبها، وقامت العلاقات بين أفرادها على التضامن الوثيق بين،

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 125.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 361.

[3]- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 31.

[4]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 361.

[5]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 361.

[6]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 127.

فالعلاقات في المجتمع العربي تقوم على أساس التضامن المتسلسل المتصاعد اعتبار أن أفراد الأسرة هم الأفخاذ فالبطون فالعشائر[1]، وكانت الأسرة العربية تقوم على الزواج، وقد عرف أقوام شبه الجزيرة العربية عدة أنواع منه:

**1- زواج الصداق أو البعولية:** ويتم بأن يخطب الخطيب ابنة الرجل بعد أن يتّفقا على مهر يعقد الزواج على أساسه، وهذا النوع من الزواج كان المفضل في مجتمع قريش والقبائل العربية[2].

**2- الزواج بالشراء:** كان هذا النوع من الزواج شائعا عند أقوام شبه الجزيرة العربية قديما، فكان الرجل يدفع إلى والد المرأة مبلغا من المال يدعى مهرا، ولم يكن هذا المهر هدية تقدّم إلى المرأة نفسها، وإنما كان يدفع إلى والدها يضاف إلى أمواله الخاصة[3].

**3- زواج الخيزن أو الميراث:** وهو أن يتزوج الابن امرأة أبيه بعد موته، كما قد يرث الرجل أرملة أخيه أو يرثها أقرب الرجال إلى زوجها وفي هذه الحالة لا يدفع الزوج مهرا[4].

**4- زواج الرهط أو المشاركة:** وهذا النوع يشترك فيه عدّة رجال بزوجة واحدة، ولعلّ أصل منشئه الأسرى وصعوبة توزيعهن، حيث تعطى فتاة من الأسرى يشتركون فيها، وقد يكون سببه الصعوبات المالية في الزواج فيشترك الإخوة في زوجة واحدة[5].

**5- زواج الشفار:** يتم هذا الزواج من غير مهر أو صداق وإنما يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه ابنته أو أخته[6].

**6- زواج الأسر:** وهو أن يتزوج الرجل السبية التي يأسرها، وكانت عادة سبي النساء شائعة في العصور القديمة[7].

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 264.

(2)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 128.

(3)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 350.

(4)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 75.

(5)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 128.

(6)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 352.

(7)- نفسه، ص 351.

**7- زواج المتعة أو الزواج المنقطع**: ويتم بين الرجل والمرأة إلى أجل مسمّى بالتراضي بينهما مقابل صداق معيّن، فإذا انقضت المدّة فليس له عليها سبيل[1].

**8- زواج الإماء**: النساء لا يحاربن ويتحوّلن في أغلب الأحيان إلى إماء والإنسان ببعض ما يترسّب في نفسه من غرائز حيوانية مفطور على إذلال خصمه والتشفي منه، ويظل أبناء الإماء عبيدا إلا إذا ألحقهم آباؤهم بهم[2].

**د- تعدّد الزوجات في المجتمع العربي:**

كان نظام تعدّد الزوجات معروفا عند العرب القدامى، ولم يكن عدد الزوجات محددا بل كان للعربي القديم أن يعدد من الزوجات ما يشاء، مدفوعا إلى ذلك بعوامل شتى، قد تكون شخصية بحتة أو إنسانية كأن يدخل في عصمته نساء لا معيل لهن، أو سياسية بأن يصهر إلى عدد كبير من القبائل[3]، تناصره وتؤيده عند الحاجة[4].

ويلاحظ أن هذا النظام لم يكن مقصورا على حقّ الرجل في اتخاذ زوجات فقط بل كان له أن يتّخذ إلى جانبهن ما شاء من الإماء أو الجواري بحسب رغبته وقدرته المالية، وقد أطلق على الإماء اللاتي يملكهن الرجل بـ " ملك اليمين "، لأنهن كن من الرقيق اللاتي ليس لهن الحق بالتمتع بحقوق الزوجات، وقد ساعد نظام تعدد الزوجات أقوام شبه الجزيرة العربية القدماء على زيادة النسل ومواجهة مشكلة العقم، كما أتاح نظام الزواج من الإماء (ملك اليمين) للرجل أن يتخذ له من النساء ما يشاء من غير أن يتحمل نفقات مالية كبيرة للزواج من حرائر النساء[5].

---

(1)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 129.

(2)- نفسه، ص 129.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 265.

(4)- نفسه، ص 266.

(5)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 355.

**هـ- الطلاق في المجتمع العربي:**

وقد عرف في الجاهلية الطلاق وكان من حق الرجل والمرأة على السواء، وكان على أنواع، منه الطلاق المعروف: ويتم الاتفاق بين الزوج وأبي الزوجة فيستردّ الزوج الصداق[1]، وكان العرف يقضي بأن الرجل إذا طلّق زوجته طلقة واحدة كان أحق الناس بها، أما إذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها على أن هناك من النسوة من كن يشترطن عند الزواج أن يكن لهن الحق في الطلاق إذا أردن، وكانت المرأة إذا أرادت أن تطلق زوجها غيرت باب قبانها، وإذا طلقت الزوجة أو مات عنها زوجها ألزمت بقضاء العدّة حتى يتبيّن ما إذا كانت حاملا أم غير حامل، خوفا من أن تختلط الأنساب فيما لو تزوّجت قبل انقضاء العدّة[2]، كما شاعت أنواع أخرى من الطلاق داخل المجتمع العربي القديم كطلاق الظهار وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي أو أختي فتحرم عليه، وكذلك طلاق الإيلاء وفيه يقسم الرجل يمينا بأن لا يمس زوجته[3].

**و- العادات والتقاليد العربية:**

لم يعرف العرب القدامى قانونا مكتوبا بل سادت لديهم مجموعة من الأعراف والتقاليد التي تمسكوا بها، ولم تظهر سلطة قضائية تقتص من الظالم، لذلك التجأ الناس إلى تنفيذ ما يعتقدون أنه حق لهم بأنفسهم ومن ذلك حالات القتل، أما العادات العربية، فقد تمسّك العرب بالعديد من الصفات الحميدة التي أشاد بها الإسلام فيما بعد وأقرها ومن أبرز هذه العادات[4]:

**1- المروءة:** وهي تقديم المساعدة لمن يحتاجها، وهي المثل الأعلى للعربي تغنّى بها في شعره وأدبه[5].

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 129.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 266.

[3]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص130.

[4]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 41.

[5]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 10.

**2- الوفاء**: وشدّد العرب على هذه الصفة واعتبروا الغدر عارا يصيب صاحبه، وشهّروا بالغدّار في مجالسهم العامة، وهناك العديد من الأمثلة على تمسّك العرب بالوفاء وحفظ[1] الأمانة منها قصّة السموأل الذي أمّنه الشاعر أمرؤ القيس على دروع له، ورفض تسليمها إلى الحارث الغساني على الرغم من تهديده بقتل ابنه، ورأى السموأل ابنه يقتل بسبب تمسّكه بالأمانة ورفضه تسليم الدروع[2].

**3- الشجاعة**: اتصف العرب بالشجاعة والبأس وعدم المبالاة بالموت إما دفاعا عن القبيلة التي ينتسبون إليها أو ذودا عن الحريم وصونًا لهن من المهانة وذلّ السبي، وعرب البادية أكثر شجاعة من أهل المدن حيث يقول ابن خلدون: "والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكّلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولّت حراستهم واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم، والحرز الذي يحول دونهم"[3].

وممّن اشتهر بالشجاعة عند العرب خالد بن جعفر بن كلاب العامري، وعتيبة بن الحارث، وعنترة العبسي، وزيد الخيل، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معد وعمرو بن كلثوم[4].

**4- الكرم**: ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية، وما فيها من جذب فكان الغنيّ فيهم يفضُل على الفقير، وكثيرا ما كان يذبح إبله في سنين القحط يطعمها قبيلته، أو يذبحها لضيوفه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصّحراء إليه، ومن سننهم أنهم كانوا يوقدون النّار ليلا على الكثبان، ليهتدي إليهم التائهون والضالون في الفيافي[5]، واشتهر بالكرم عند العرب الكثير منهم حاتم الطائي والذي ضرب به المثل[6].

---

(1)- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 42.

(2)- نفسه، ص 42.

(3)- ابن خلدون، **المقدّمة**، المرجع السابق، ص 137.

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 322.

(5)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 68.

(6)- نفسه.

**5- الحرية والإباء:** كان العربي مولعا بالحرية ويرفض الاستكانة لأي سلطة خارجية عليه، وأدّت البيئة الصحراوية دورا كبيرا في ذلك، حيث وجد العربي في الفضاء الواسع حوله الحافز على التمسك بالحرية ورفض الحياة الذليلة، وتفضيل الموت عليها[1].

**6- العفّة:** إذا كان هناك من العرب من انغمس في الملذّات وتغزّل بالنساء، فقد كان من العرب من اتصف بالعفّة وغضّ النظر عن نساء غيره، وكانت العفة من شروط السيادة، وقد افتخر الشّعراء بالعفة فهذا عنترة بن شداد يقول:

وأغضّ طرفي ما بدت جارتي حتّى يواري جارتي مأواها[2]

ومن الآفات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع العربي القديم، شرب الخمر، ففي مجتمع تسير فيه الحياة على وتيرة واحدة، والفراغ فيه أكثر من العمل، وطرق التسلية ومرافق اللهو قليلة، وتشغيل الفكر فيه محدود، وضيق في مثل هذا المجتمع كان إقبال أفراده على الخمر شديدا حتى أنهم آذوا نفوسهم به، يضحي شاربه بمركزه الاجتماعي في سبيل الحصول عليه، وكانوا يضعون الخمور في زق يحملونه معهم أينما رحلوا، أما في المدن والحواضر، فهناك خمّارات يقصدها السواح والغرباء للإستمتاع بها[3]، كما شاع في المجتمع العربي الميسر واستباحة النساء[4].

كما شدد العرب على عادة الأخذ بالثأر، ولم يكن يهدأ لهم بال إلاّ بعد الانتقام، وكانوا يبتعدون عن مباهج الحياة إن قتل أحدهم حتّى يأخذوا بثأره، ودخلت الخرافات والأوهام حين اعتقد العرب بأنه يخرج من جسم القتيل هامة تصرخ طالبة الثأر حتى يأخذ بحقّه[5].

---

(1)- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 42.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 392.

(3)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 148، 149.

(4)- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 23.

(5)- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 42.

**7- أيام العرب**: يقصد بأيام العرب الحروب والمناوشات التي وقعت بين بعض القبائل العربية، وكانت كلّ حرب من هذه الحروب تتكون من عدّة معارك تستغرق كلّ معركة منها غالبا يوما واحدا، أي نهارا واحدا، وتنقسم أيام العرب إلى قسمين[1]:

**أ- الأيام الداخلية**: وهي الحروب والمناوشات التي وقعت بين بعض القبائل العربية وبعضها الآخر وهي:

**1-** أيام ربيعة فيما بينها من مثل حرب البسوس، التي اشتعلت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي، وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب، وكان قد طغى واشتدّ بغيه على ناقة للبسوس خالة جسّاس بن مرة سيد بني بكر، إذ رمى ضرعها بسهم، ولما علم جساس بما حدث ثار لكرامته فقتل كليب، ودارت رحى الحرب أربعين سنة[2]، فكثرت أيامها مثل يوم عنيزة، وكانت الحرب سجالا بين الطرفين، ولما أنهكت هذه الطرفين لجأ إلى الحارث بن عمرو الكندي، فأصلح بينهما[3].

**2-** أيام مضر فيما بينها، أو قيس فيما بينها، مثل حرب داحس والغبراء، التي نشبت بين قبيلتي عبس وذبيان من قيس عيلان من مضر[4]، وقد حدثت في أواسط شبه الجزيرة العربية، وكان السبب في وقوعها خلاف بين أفراس لحذيفة بن فزارة سيد ذبيان، وأخرى لقيس بن زهير بن جذيمة سيد عبس وقد عرف هذا الأخير باسم (قيس الرأي) لحكمته وسداد رأيه، وكان قيس هذا نزل وقومه في جوار حذيفة، وكان لقيس أفراس لم يكن في العرب مثلها، فحسده حذيفة عليها[5]، وما لبث أن كره جواره، وأراد إخراجه، فما كان منه إلا أن جرّه إلى رهان على سباق بين فرسين لقيس، ذكر وأنثى وهما داحس والغبراء، ومثلهما له الحظّار والحنفاء[6]،

---

(1)- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 38.

(2)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 65.

(3)- شوقي ضيف، المرجع السابق،، ص 66.

(4)- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 38.

(5)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 216.

(6)- نفسه.

ولما أدرك حذيفة أفراسه في السباق عمد إلى استغلال حيلة لإعاقة خيل قيس عن الجري فأدركها قيس، فاختلف الطرفان وانتهى النزاع إلى حرب واستمرت طويلا[1].

**3-** أيام ربيعة ومضر، أو أيام ربيعة وتميم من مضر، مثل الحرب التي نشبت بين بني بكر من ربيعة وبين تميم من مضر[2].

**4-** أيام القحطانيين فيما بينهم، كان من أشهر أيام القحطانيين فيما بينهم تلك التي دارت بين المناذرة والغساسنة والتي من أهمها يوم عين أباغ(*)، ومرج حليمة(**)، ووقعت هذه الحرب بين المنذر ماء السماء والحارث بن جبلة الغساني، والسبب فيها يرجع إلى تحالف المناذرة مع الفرس ضدّ الروم وحلفائهم من الغساسنة فانتقلت عدوى الحروب من الدولتين الكبيرتين إلى الحليفتين العربيتين[3]، وتعتبر حروب الأوس والخزرج(***) من الوقائع التي دارت بين القحطانيين فيما بينهم، ولعلّ من أشهر الحروب التي دارت بين الطرفين حرب سُمَيْر[4].

**5-** أيام عدنان وقحطان، أو أيام بني معد بن عدنان، وقبائل اليمن القحطانية في الجنوب، ومن أشهرها: يوم خزاز(****)، وفي هذه الحرب انتصرت معد من عدنان على حمير والسبب فيها أنّ كلّ من قبيلة تغلب وبكر كانت تدفع الإتاوة لدولة حمير اليمنية، فكان عام أصابهم الجدب في أرضهم، فجاءهم رسول حمير يطلب الإتاوة فشكوا إليه حالهم

---

(1)-توفيق برو، المرجع السابق، ص 217.

(2)- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 38.

(*)-عين أباغ: واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، ياقوت الحموي، المرجع السابق، ح 1، ص 61.

(**)- مرج حليمة: يقع على الطريق الواصل بين حلب وحمص، وسمي بذلك لقيام حليمة بنت الحارث بن جبلة بدور كبير في تحميس رجال قبيلتها على القتال والانتصار ذلك اليوم، أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 2، ص 296.

(3)- ابن الأثير المرجع السابق، ج 1، ص 540، 542، النويري، المرجع السابق، ج 15، ص 43.

(***)- الأوس والخزرج: يرجع نسبهما إلى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف بن أمرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، انظر : ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 11.

(4)- ابن الأثير المرجع السابق، ج 1، ص 658.

(****)- خزاز: جبل بين البصرة ومكة، انظر :ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 2، ص 365.

وعجزهم، لكن دولة حمير أعدّت جيشا وغزت به بكر وتغلب وهزموهم فعظم ذلك على قبائل ربيعة فاتحدوا وانتصروا على اليمنيين[1].

**ب- الأيام الخارجية:** فهي الحروب التي وقعت بين القبائل العربية، وبعض الأمم المجاورة، ومن والاها من القبائل والبطون العربية مثل يوم ذي قار[2].

[1]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 84.

[2]- عبد العزيز نبوي، المرجع السابق، ص 39.

# الفصل الثالث

## اليمن من القبيلة إلى الدولة

# محتويات الفصل

**المبحث الأول: التعريف باليمن أرضا وسكانا**

1- البنية السكانية للمجتمع اليمني القديم

2- النظام الاجتماعي اليمني القديم

**المبحث الثاني: النظام الديني اليمني القديم**

**المبحث الثالث: نشأة الدولة اليمنية القديمة وبنيتها**

1- نشأة الدولة اليمنية القديمة وبنيتها

2- بنية الدولة اليمنية القديمة

3- النظام الإداري للدولة اليمنية القديمة

4- الموارد المالية للدولة اليمنية القديمة

5- وظائف الدول اليمنية القديمة

## المبحث الأول: التعريف باليمن ( أرضا وسكانا )

### 1- التعريف باليمن:

يذكر المؤرخون أن اليمن يكاد يشمل الجزيرة العربية، تلك المنطقة الواسعة التي عرفت لدى الكتاب القدامى باسم العربية الجنوبية أو العربية السعيدة، ولكن أكثرها شهرة هو اسم اليمن السعيد، ولقد اختلف الإخباريون في تفسير مدلول اليمن، وقد ورد اسم اليمن في نصوص سبأ القديمة باسم " يمنات ويمنت " وبديهي أنه اشتق من اسم اليمن الخضراء، وبلاد اليمن عرفت عند اليونان[1] باسم بلاد العرب السعيدة ( Arabia Felix)، (انظر الخريطة رقم ..) ويذهب معظم الدارسين أن ذلك لكثرة خيراتها ومحصولاتها الزراعية وتجارتها الرابحة[2].

والملاحظة أن الإخباريين اختلفوا في تفسير مدلول اليمن، حيث ذكر بعضهم أن اليمن سمي يمنا ليمنه، والشام شاما لشؤمه[3]. وذكر ابن عباس أن اليمن سميت يمنا لأنها تقع يمين الكعبة، وهو التيمن، وذلك بخلاف الشام الذي سمي شاما لوقوعه شمال الكعبة، ويرد ياقوت الحموي على ذلك بقوله: قولهم تيامن الناس فسموا اليمن فيه نظر لأن الكعبة مربعة، فلا يمين لها ولا يسار، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين، وكذلك الجهات الأربعة، إلا أن أريد بذلك من يستقبل الركن اليماني[4].

والمرجح أن تسميتها ترجع إلى كلمة يمنات المذكورة، ويحدد بالتالي اليمن السعيد فيما يعرف بجنوب شبه الجزيرة العربية كله، حيث تمتد المنطقة على سواحل المحيط الهندي جنوبا، ويحدها البحر الأحمر غربا، والخليج العربي شرقا، وهو ما يذهب إليه رأي آخر هو أن اليمن قطعة من جزيرة العرب، يحدها من الغرب بحر القلزم، ومن

---

(1)- Ptolmy, op.cit, vol v,v76 .

(2)- B.Thomas, **Arabia Felix**, N Y,1932, p87.

(3)- ابن الفقيه الهمداني: **مختصر كتاب البلدان**، طبعة لندن، 1985، ص 33 وكذلك أنظر: المسعودي: مروج الذهب المرجع السابق، ج 1، ص 69، وكذلك أنظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب،المرجع السابق ص، ص،50،51.

(4)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 5، (مادة يمن)، ص 447.

الجنوب بحر الهند، ومن الشرق بحر فارس، ومن الشمال حدود مكة، وهذا يتفق مع رأي عدد من الباحثين الذين حددوها بكل الرقعة الواقعة في جنوب الجزيرة العربية، تمتد إلى المحيط الهندي ومن البحر إلى الخليج[1].

من هنا يظهر أن اليمن كان يشمل كل دول جنوب شبه الجزيرة العربية محل الدراسة (معين، سبأ، حضرموت، أوسان، قتبان،...)[2].

ومن هنا فالعربية السعيدة هي أكبر الأقسام الثلاثة رقعة، وتشمل كل المناطق التي يقال لها جنوب شبه جزيرة العرب في الكتب العربية، وذلك كما يفهم من بعض المؤلفات، وليس لها حدود شمالية ثابتة لأنها كانت تتغير حسب الأوضاع السياسية ولكن يمكن القول أنها تبدأ في رأي أكثر الكتاب الإغريق والرومان، من مدينة هيروبوليس ( Heropolis ) على مقربة من خليج السويس الحالية، ثم تساير حدود العربية الحجرية الجنوبية، ثم تخترق الصحراء فتتصل بمناطق الأهوار، وقد أدخل بعض الكتاب هذه الحدود في جنوبها إلى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج، وتمر حدود العربية السعيدة الشمالية بالبادية الواسعة التي هي جزء من النفوذ، حيث عرفت عند الإغريق بـ: (Eromos)، وهي امتداد لبادية الشام[3].

ويلاحظ أن النصوص العربية الجنوبية لم تثبت حدود اليمن، وذكرت في نص يعود عهده إلى أيام (شمر يهر عش) المعروف عند المؤرخين المسلمين باسم (شمر يرعش)، بعد حضرموت في الترتيب على أنها منطقة صغيرة غامضة التحديد[4].

---

[1]- الترسيسي، **اليمن وحضارة العرب**، دون طبعة، القاهرة، م1981، ص، ص، 14، 16.

[2]- نفسه، ص 16.

[3]- الاصمعي، **البلدان**، ج 5، ص، ص،81، 82، ص 522 وما بعده، كذلك انظر، البكري المرجع السابق، ج 1، ص 16. وكذلك الهمداني، **صفة الجزيرة العربية**، المرجع السابق، ص، ص، ص،120، 175، 188.

[4]- الهمداني، **الاكليل**، ج 8، نشره نبيه فارس، بغداد 1931م، ص 108 وما بعدها. كذلك انظر، وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر أباد الدكن، 1347 هـ، ص 222.

وعلى هذا التحديد وردت أيضا في نص ( أبرهة ) نائب النجاشي على اليمن، ويعود عهده إلى سنة 543 م[1].

أما طبيعة بلاد اليمن، فإنها تمتاز بجبال شاهقة وشديدة الانحدار وغناها بالموارد المعدنية، وصعوبة المواصلات، تتفرع هذه الجبال من سلسلة جبال السراة المشهورة، إلى ثلاثة سلاسل تمتد السلسلة الأولى محاذية لمنطقة تهامة من الجهة الشرقية حتى تصل إلى الطائف، وتمتد السلسلة الثانية وسط المنطقة الجبلية من الجهة الغربية منه، وأشهر هذه الجبال في كل المنطقة الجبلية تبتدئ من الشمال هي: جبال صعدة ثم جبال بلاد الشرفين، وجبال حجة، وجبال كوكبان والخيمة، وآنس وحراز، وفي الجنوب صعدة، ثم جبال بلاد تعز، وتشمل جبال إب والعدين، شيام وحضرموت، هذه أهم جبال المنطقة، وبها تقع أشهر المدن ذات التاريخ المجيد مثل: صنعاء، ذمار، يريم وإب، وتعز والبيضاء وصعدة وحجة[2].

وتتخلل جبال السراة التي تخترق اليمن من الشمال إلى الجنوب حتى البحر، والأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار، وتمتد بين الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسايل مياه، وأنها من بقايا أنهار جفت وتسيل في بعضها المياه عند سقوط الأمطار[3].

أما اقليم ظفار فيمتد من سيحوت إلى حدود عمان، وهو هضبة يبلغ ارتفاعها 3000 قدم، تهب عليها الرياح الموسمية، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الإسلام، وتخترقها عرضا وطولا أودية تكسوها الأعشاب وتتخللها الأشجار، وتوجد بها عيون، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار[4].

---

(1)- جواد علي، **اليمن في العهد الحبشي**، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 2، مجلد 1، 1954م، ص 137.

(2)- علي عنان، **تاريخ اليمن القديم**، ط 1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1396 هـ، ص 14.

(3)- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج 1، ص، ص، 171، 172.

(4)- صلاح البكري، **تاريخ حضرموت السياسي**، ج 1، القاهرة 1354 هـ، ص 3.وكذلك:
Hight scott, in hight Yemen, London, 1947,P 25

وتتألف أرض عمان من أماكن جبلية وهضاب متموجة، وسهول ساحلية، وأكثر حجاراتها كلسية، وغرانيتية، وفيها أيضا حجارة بركانية، والظاهر أنها كانت من مناطق البراكين، وفي مناطق التلال عيون ومجاري مياه معدنية أكثرها ذات درجة حرارة مرتفعة، وتوجد بها آبار في المناطق المجاورة للصحراء، وفي الأقسام الشرقية من عمان بين الساحل، والأراضي الداخلية، ويتميز جوها بكونه حار استوائي، وتتجه الجبال في عمان من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وأعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأخضر، والأراضي المحيطة بهذا الجبل خصبة وقابلة للاستغلال، وفي عمان مدن قديمة منها: صحار، نزوة، دبا، أودما[1].

أما عن المناخ، فالرياح الحاملة للأمطار تمر بجو تهامة وتصطدم بسفوح الجبال الغربية، فترتفع وتسقط الأمطار على سائر الهضبة، ومعلوم أن اليمن يقع ضمن المناطق الموسمية ويبدأ موسم أمطار الصيف من أوائل شهر شباط (فبراير) ويستمر إلى نصف شهر نيسان (أفريل)، وأما أمطار الخريف فإنها تبدأ من أوائل شهر حزيران – يونيو) وتستمر إلى نهاية شهر أغسطس، ولا يسقط المطر في الشتاء الذي يبدأ من شهر أيلول ( سبتمبر ) كانون الأول إلا نادرا في بعض السنين[2].

أما درجات الحرارة في منطقة تهامة الممتدة على طول سواحل البحر الأحمر تتراوح ما بين 25 إلى 35 في الشتاء، ومن 35 إلى 45 في الصيف، ودرجة الرطوبة مرتفعة، ودرجة الحرارة في المنطقة الجبلية معدلها يتراوح بين 3 تحت الصفر إلى 2 فوق الصفر في فصل الشتاء، وما بين 11 إلى 27 صيفا، والرطوبة قليلة بالمنطقة الجبلية.[3]

واليمن تقع في المنطقة الحارة في خط عرض 14 شمال خط الاستواء ونظرا لارتفاع المنطقة الجبلية باليمن عن سطح البحر كجبال النبي شعيب غرب صنعاء بـ 750 م، وارتفاع العاصمة صنعاء بـ 2150 م، فإن المنطقة الجبلية معتدلة في الشتاء والصيف

---

[1]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 40، ج5، ص 339، ج8، ص 281، وكذلك انظر:
O'stten, **the sand kings of oman**, London, 1947,P :18

[2]- علي عنان: المرجع السابق، ص 15.

[3]- نفسه، ص 15.

وهي منطقة زراعة البن اليمني المشهور، وفي المناطق المرتفعة تزرع جميع أنواع الفاكهة، ومنها العنب (28 نوع)[1].

وأخيرا يمكننا القول أن جنوب شبه الجزيرة العربية لم تدرس دراسة علمية مستفيضة شاملة، رغم قيام بعثات علمية بالبحث والتنقيب في مختلف أنحاء المنطقة عن طبيعة تربتها للتوصل بذلك الى اكتشاف ما في باطنها من ثروات، فأرض الجزيرة العربية أرض واسعة تغطي الرمال أكثر مساحتها، فليس من السهل البحث فيها بحثا علميا عميقا عن تركيبها وتطورها في كل أنحائها.

## 2- البنية السكانية للمجتمع اليمني القديم:

### أ- التركيبة السكانية:

يذهب النسابة العرب إلى أن عرب اليمن مرسخي أصول العروبة، وأنهم أول من تكلم باللسان العربي، ويعتبرون يعرب بن قحطان، وبنوه من العرب العاربة[2]، ولقد ورد اضطراب كبير وخلط في الرواية العربية عن القحطانية الأوائل في اليمن فالذي تصر عليه الرواية العربية، هو أن يعرب بن قحطان كان أول من حيّاه قومه بتحية الملك في اليمن، وأنه قاتل بني حام ونفاهم من اليمن إلى غرب الأرض، وهزم إلى غير ذلك مما ذكرته روايات بن منبه، وباقي الرواة، في حين يذهب نفر من الباحثين إلى أن اليمن كانت موطنا لجميع الساميين حيث أن فليبي ذهب في دراسته المسهبة لأحوال جزيرة العرب إلى أن الأقسام الجنوبية منها الموطن الأصلي للساميين، وفي هذه المنطقة نبتت السامية، ومنها هاجرت بعد أن اضطرت إلى ترك مواطنها الأصلية القديمة لحلول الجفاف بها والذي ظهرت بوادره منذ عصر الباليولتيك، حيث هاجرت في رأيه في

---

[1]-علي عنان: المرجع السابق، ص، ص، 15،16.

[2]- نفسه، ص 15، وانظر كتاب : زغلول عبد الحميد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، دون طبعة، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص170

موجات متعاقبة، وسلكت الطرق البرية والبحرية حيث وصلت إلى المناطق التي استقرت فيها[1].

أما جواد علي فيؤكد أن فليبي أخذ رأيه من دراسات العلماء لأحوال الجزيرة العربية، ومن الحوادث التاريخية التي تشير إلى هجرات القبائل من اليمن نحو الشمال[2].

فاليمن في رأي فليبي[3]، وجماعة آخرين من المستشرقين هي مهد العرب، ومهد الساميين، وفي رأي بعضهم خزان العرب، وذلك لأنها أمدت الجزيرة العربية بعدد كبير من القبائل قبل الإسلام بأمد طويل وحتى بعد الإسلام[4].

والملاحظ من خلال دراسات ميدانية أن اليمن تحتفظ بأنسابها، وتفتخر بحفظ جدودها وفروعها، وهم من ولد سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان.[5]

إن ما يمكن رصده من ملاحظات حول التركيبة البشرية لجنوب شبه الجزيرة العربية هو أن أغلب الدراسات تجمع على أن سكان جنوب شبه الجزيرة العربية كانوا خليطا من الساميين، ومن بلاد الحبشة الذي كان لليمنيين معهم صلات وثيقة، إضافة إلى أن سواحل اليمن، وأسواقها التجارية العالمية جعلت مختلف العناصر تزدحم بالمنطقة، وأن تاريخ سكانها أقدم من الآثار التي بنى عليها المستشرقون كتاباتهم.[6]

كذلك يجب التريث في البت، وفي التأكيد على أن وطن الجنس السامي هو جنوب شبه الجزيرة العربية، حتى تتهيأ دراسات أخرى علمية دقيقة عنه، لأن الأخذ بالقياس وبمجرد الملاحظات والمشاهدات لا يمكن أن يكون دليلا علميا مقنعا في تثبيت الوطن الأول الذي ظهر فيه النسل السامي.

---

(1)- Philby (J.B), op.cit ,p9.

(2)- جواد علي: المرجع السابق، ج 1، ص 233.

وانظر كذلك: Philby, op. cit, p10.

(3) Montgomery, ( J.A**), <u>Arabia and the bible</u>**, Philadelphia, 1947, P: 126.

(4)- علي عنان: المرجع السابق، ص، ص، 18، 24.

(5)- إبن سعد، المرجع السابق، ح1، ص 28. 5

(6)- ديتلف نيلسون وآخرون، المرجع الساق، ص 267. 6

وان كانت دراسات عديدة تؤكد أن جزيرة العرب بما فيها اليمن قد أمدّت الأقسام العليا منها بفيض من الناس بصورة دائمة ومستمرة، فمسألة الموطن الأصلي للجنس السامي معقدة وكبرى، وأهم ما يمكن التأكد منه هو أن منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية شهدت استقرارا سكانيا هاما، لتوفر عوامل هذا الاستقرار من جغرافية، حيث مكنت القبائل الجنوبية من تأسيس حضارة راقية قطعت أشواطا هامة في التقدم.

## 3- النظام الاجتماعي اليمني القديم:

والملاحظ أن المجتمع اليمني القديم قد عرف تقسيمين اجتماعيين رئيسيين(*) حسب المختصين هما:

**أ- تقسيم أفقي**: انقسام السكان إلى عشائر وقبائل على أساس الدم والقرابة، سواء كانت حقيقة أم وهما.

**ب- تقسيم رأسي**: يتمثل في انقسام البنية الاجتماعية إلى شرائح، وفئات وجماعات اجتماعية على أسس متنوعة ( إقتصادية، مهنية، ثقافية، اجتماعية،.....إلخ )[1].

**التقسيم الأول: التقسيم القبلي:**

انقسم المجتمع إلى قبائل ومنها إلى بطون وأفخاذ.. حتى تصل إلى أدنى تقسيم داخلي وهو العائلة الممتدة إلى البيت أو القرية، ومن مجموع هذه التقسيمات تكوّن المجتمع وبالتالي الدولة، وعندما يشير الباحثون إلى القبيلة اليمنية القديمة فإنما يعنون بها الجماعات المستقرة في قرى وتزاول الزراعة كمهنة رئيسية.[2]

إلا أن الباحثين يؤكدون أن مفهوم القبيلة في اليمن لا ينبغي بالضرورة أن يقوم على صلة القرابة بالدم، والجد الواحد المشترك، كما استنتج بعض الباحثين من خلال تحليلهم للنقوش، فمثلا ( رودوكناكيس )[3]، فيذكر أن لفظة قبيلة كانت تستخدم

---

(*)- من التقسيمات الاخرى التي قد لا تقل أهمية: قبائل بدوية (بدو، رعاة)، مقابل قبائل مزارعة (مزارعون)، وسكان مدن مقابل سكان الريف، وأحرار وعبيد، وللمزيد أنظر: قائد الشرجي: المرجع السابق، ص 123.

(1)- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 123.

(2)-نفسه.

(3)- رودوكناكيس، **الحياة العامة في العربية الجنوبية**، المرجع السابق، ص17

للتعبير عن نظام خاص، هذا النظام يقوم على أساس الروابط الاقتصادية أو روابط العمل، حيث إن الحالة الاقتصادية والسياسية هي التي تقرر وظيفة الجماعة، وهذه تسمى قبيلة، أما جواد علي فيشير إلى أن القبيلة في اليمن قد تكون من قبائل وعشائر مختلفة، ومن جماعات عمل تمثل مختلف الحرف، انضمت إلى قبيلة كبيرة أو إلى مالك كبير للعمل في أرضه أو لأداء خدمات له، ونتيجة لطول بقائها اندمجت في القبيلة الكبيرة، أوفي قبيلة المالك الكبير، وبالتالي أصبحت جزءا منه، أومن أتباع المالك الكبير الذي قد ينسبوا إليه بعد أجيال ويصبح جدهم المشترك[1].

هذا في المناطق التي استمرت فيها قوة النظام القبلي، كما كان عامل الإقليم (الأرض)، المكون الأساسي أو الوحيد لتماسك أفرادها، كذلك فإن الانتماء إلى قبيلة واحدة لا يعني أن أفرادها متساوون في كل شيء وعليه فالتفاوت بينهم وارد من حيث المكانة الاجتماعية، والوظائف والمهن، كما أن هناك تفاوتا بين القبائل من حيث الوزن السياسي والاجتماعي فليست كل القبائل سواء، رغم ذلك شكلت الوحدة الأساسية للتكوين الاجتماعي باليمن القديم، ويذهب أحد الباحثين إلى أن القبيلة بحكم أنها تتكون من جماعات صغيرة تعيش في قرى فقد أصبح وضعها – أي القبيلة – يتوسط بين الدولة والقرية، ومثال ذلك أن جمع الضرائب في مملكة سبأ على الأقل كانت تجبى من القبيلة كوحدة، وأن أرض الدولة أو المعبد كانت تؤجر أحيانا للقبيلة، وتصبح القبياة مسؤولة مسؤولية كاملة أمام الدولة والملك عن ذلك الإيجار[2].

ويحكم القبيلة عقلاؤها ومشايخها وأعيانها، والملاحظ أن القبيلة لم تعرف الحكم الاستبدادي أوالفردي، فقد كشفت بعض النقوش (قتبانية وسبئية) عن وجود مجلس قبلي يسمى (عهور) و( عهرو)[*] يناقش فيها وجهاء وأعيان القبيلة ما يتعلق بقبيلتهم من أمور هامة مثل الحروب أو فرض الضرائب أو زيادتها مثلا[3].

---

[1]– جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 141.

[2]– قائد الشرجي، المرجع السابق، ص، ص، 124،125.

[*]– البحث عن لفظة: "عهرو" في المعجم السبئي، اتضح أنها اسم جمع يعني " سادة" وجاءت مرتبطة بدولة أوقبيلة "فيشان" أي " عهروفيشان" بمعنى قبيلة فيشان. أنظر: Besslon and others, SaBaic Dictionary, 1982,P 138.

[3]– رودوكناكيس: المرجع السابق، ص 133، كذلك، جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج5، ص، ص، 238، 228.

**التقسيم الثاني: البنية الاجتماعية:**

يجمع أغلب الدراسين للمجتمع اليمني القديم أن البنية ( المجتمع ) بنيته الاجتماعية تتكون من عدة طبقات أو على حد تعبير البعض بالطرائق، كالحكام ورجال الدين، والجند المسلح، والمزارعين والتجار، والصناع والعبيد، لكل منها وظيفة محددة، ولها حدود لا تتعداها، ولا ينتقل أحد منها إلى سواها[1].

ويشبه بعض الباحثين بنظام الطرائق المغلقة، وأنه يقوم على أساس المهنة أو الوظيفة أساسا ولقد أشار إلى هذا التقسيم المؤرخ الروماني سترابون ( Strabo)، والذي عاصر الحملة الرومانية على اليمن عام 24 ق.م[2].

ولقد وافق هذا التقسيم عدد كبير من الباحثين أمثال رودوكنكيس، وجواد علي معتمدين على النقوش، وكذا على أن التقسيم القديم يشابه إلى حد كبير التقسيم الذي عرفه المجتمع المدني خلال عهوده المختلفة والتي ما تزال آثاره باقية إلى اليوم.[3]

لكن من الواضح أيضا أن عددا من النقوش بينت أن غالبية المزارعين كانوا من أفراد القبائل وكانوا يجندون أحيانا للخدمة العسكرية أو للقيام بأعمال عامة، وبخصوص التجارة فقد كانت مزاولتها من قبل الملوك، والكهنة، وسادات المدن والقبائل.[4] وجواد علي يقسم المجتمع اليمني القديم في أواخر عهد سبأ وذي ريدان إلى ثلاث طبقات أو أقسام وهي:

أ- **الطبقة الأولى**: وتشتمل على الملوك، ورجال البلاط، ورجال الدين، وقادة الجيش، وكبار الحكام، وسادات القبائل، وهم المتمتعون بالامتيازات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية.[5]

---

[1]- نفسه، ص 178.

[2]- Strabon, op.cit, Vol VII, v 29.

[3]- قائد الشرجي، المرجع السابق، ص 126.

[4]- قائد الشرجي، **الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني**، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية علم الاجتماع، 1983م، ص،ص، 140، 141.

[5]- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج 7، ص 543.

**ب- الطبقة الثانية:** السواد وهم غالبية الناس، وهم لا يملكون من الأرض إلا المساحات الصغيرة والبيوت.[1]

**ج- الطبقة الثالثة:** الأدنى منزلة في المجتمع وتتكون من الحرفيين والصناع والعبيد، وهم جماعات محتقرة بحكم ممارسة لحرف ومهن محتقرة آنذاك، ونظر اليمنيون كذلك بنفس النظرة إلى مزارعي الخضر والبقول، وهي نظرة العالم آنذاك للحرفيين لأن الحرف كانت من أعمال الطبقات الدنيا من سواد الناس والرقيق والموالي[2].

والملاحظ أنه نفس التقسيم توصل إليه الباحثين في بحث حديث عن المجتمع اليمني في عهد حكم أسرة حديثة 1918- 1962[3].

ويمكن أن نخلص إلى أن المجتمع اليمني تشكل من قسمين هما:

**1- القسم الأول:** ضمّ الجماعة الحاكمة ومن يرتبط بها كرجال الدين وموظفي الدولة ( عسكريين ومدنيين )، وغير الرسميين كسادات المدن والقبائل، فهؤلاء يسيرون الدولة ويتحكمون في المجتمع ويعيشون على الفائض المستخرج من القطاع الزراعي كما أنهم يشاركون في النشاط التجاري ثاني أهم القطاعات الاقتصادية آنذاك.[4]

**2- القسم الثاني:** يضم في الغالب القوى العاملة المنتجة وغالبيتهم من المزارعين بمختلف فئاتهم، والحرفيين إضافة إلى أصحاب الخدمات المختلفة، والملاحظ أن النقوش السبئية المتأخرة ( أواخر القرن الرابع الميلادي ) الموسوم بـ 651 Jamme[5] ( صاحبه قائد عسكري كبير )، ذكر أن الملك أمره بالتوجه لحماية مدينة مأرب من فيضانات

---

(1)-جواد علي، المرجع السابق، ص 543..

(2)- نفسه، ص، ص 543،544 .

(3)- قائد الشرجي، **الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني**، المرجع السابق، ص، ص، 328،329.

(4)-- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص5.

(5)- Sir james, G, Frazer, **The golden bough a study in magic and religions**, Vol I, London 1974, p 50.

السيول، فأشار إلى أنه جمع من ضمن ما جمع لهذا العمل من أهل البيوتات، وسواد الناس[1]، وهذه قد تكون إشارة واضحة عن التقسيم إلى جماعة عليا وأخرى دنيا.

## المبحث الثاني: النظام الديني اليمني القديم

إن اليمنيين قبل الإسلام مثل سائر الشعوب الأخرى عبدوا آلهة وفكروا في وجود قوى عليا لها عليهم حكم وسلطان، فحاولوا كما حاول غيرهم التقرب منها واسترضائها بمختلف الوسائل والطرق، ووضعوا لها أسماء وصفات، وخاطبوها بألسنتهم وبقلوبهم، سلكوا بذلك جملة مسالك، وهي ما يجمع عليها أغلب الباحثين بتسميتها بالأديان القديمة.[2]

لقد عرفت منطقة شبه الجزيرة العربية عددا من مراحل التطور الديني في العصور السابقة للإسلام يمكن إيجازها فيما يلي:

**1- المرحلة الأولى:** وهي مرحلة عبادة وتقديس أشياء مادية محددة مثل الأحجار والكهوف، والينابيع، حيث يرى فيها إنسان المنطقة ( البدوي ) أنها تفيده في حياته اليومية، فأشجار النخيل تشكل العنصر الأساسي في حياته، يعتمد على تمرها كغذاء رئيسي، والكهوف تمثل نقطة الحماية التي يلجأ إليها البدوي، هذا النوع من العبادة يعرف باسم الأروحية أو حيوية المادة (Canimism) أي أن يتصور المرء أن هناك روحا في هذه الأشياء فتعطيها الحيوية، وظل تقديس هذه الأشياء قائما حتى الفتح الإسلامي.[3]

---

(1)- Sir james, G, Frazer, **The golden bough a study in magic and religions**, Vol I, London, 1974, p51.

(2)- يحي لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، ط 2، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2010 م، ص،ص، 378، 382.

(3)- جواد علي: **المفصل**، المرجع السابق، ج6، ص 5، وكذا انظر:
Sir James, G.Frazer, op.cit, p 90.

**2- المرحلة الثانية:** هي مرحلة التجريد، وهي مرحلة متطورة بحيث بدأ يعتقد في قوى إلهية أكثر شمولا مثلما حدث في الحجاز عندما انتقلت إليها عبادات اللات والعزى ومنات وبعل، عبدوها وقدسوها، بحيث قدموا لها القرابين[1].

**3- المرحلة الثالثة:** وهي عبادة الكواكب التي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية، أهمها الثالوث المعروف: القمر، الشمس، الزهراء، القمر عرفه السبئيون باسم " ود "، وعند الحضارمة باسم " سن "، والقتبانيون باسم " عم "، وكانت زوجته الإلهية هي الشمس التي أطلق عليها تسمية " داحم " عند السبئيين، " نكرح " عند المعينيين، ثم ابنها الإلهي الذي عرف عند المعينيين " عشتر "، وهو كوكب الزهراء، ولقد ظلت عبادة القمر متفوقة على عبادة الشمس، متفوقة في هذا التكوين الكوكبي الثلاثي[2].

**4- المرحلة الرابعة:** وتتمثل في عبادة الشمس التي تشير إلى مجتمع مستقر يقوم أساسا على الزراعة، وقد وجدت نفس العبادة في مجتمعات رعوية في الشمال، قد يعود ذلك إلى قرب المنطقة الشمالية من منطقتين زراعيتين حضاريتين مستقرتين، وهما حضارة مصر حيث يوجد عبادة الإله " رع " إله الشمس الأول، وحضارة وادي الرافدين في الشرق حيث تطور المجتمع إلى مجتمع زراعي في المراحل اللاحقة[3].

**5- المرحلة الأخيرة:** وتمثلها عقائد التوحيد المسيحية واليهودية، والحنفية، لقد قامت ديانة اليمن القديم على أساس تأليه السيارات الفلكية، وترتكز على عبادة القمر " الإله سين " واسمه ود عند المعينيين، بمعنى الحب أو المحب أو الأب وعند سبأ " المقه " الإله المعطي للصحة، وغي ديانة قتبان هو" عم " وكانت له الزعامة على آلهتهم كلها، وقد صوره عبّاده إلها ذكرا، وقدموه على الشمس التي اعتبروها زوجه، ويد " عشتر " ابنهما وهو فينوس أو الزهرة ويقابل الآلهة البابلية عشتار، عشترت عند الفينيقيين، وأنتج هذا

---

[1]- عبد الوهاب يحي، المرجع السابق ، ص، ص، 378،382

[2]- عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص، ص، 362،363، كذلك انظر:

Dussaut, **La pénétration des Arabes en Syrie avant l'islam**, Paris ،1955, PP 102,103.

[3]- Ibid, ppp, 93, 102, 103

الزواج السماوي أجراما فلكية أخرى اتخذوها آلهة، ويحتمل أن اللات الآلهة العربية الشمالية المذكورة هي اسم لآلهة الشمس هذه[1].

من المؤكد صعوبة دراسة تاريخ الأديان في اليمن القديم، وذلك لانعدام دراسات حول الأصول التي ترجع إليها القبائل العربية التي أقامت الحضارة اليمنية القديمة، مما يجعل من الصعوبة بمكان معرفة الأصول البعيدة لمعتقداتها الدينية، وعلاقة تلك المعتقدات بمعتقدات باقي القبائل العربية التي سكنت أنحاء الجزيرة العربية، والمناطق المجاورة لها، ويحتمل عدد من الباحثين وجود أصول مشتركة تعود إليها تلك المعتقدات، والحفريات الأثرية التي تمت في أماكن متفرقة كانت محدودة جدا من حيث الرقعة والزمن[2].

وقبل الكشف الكامل لا يمكن تكوين صورة واضحة وكاملة عن العبادات اليمنية القديمة أي أنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها أجرام سماوية كبقة الشعوب العربية الشمالية أو السامية الشمالية، ومهما كان اختلاف الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها، إلا أنه يمكن إدراجها تحت أحد أجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر، نجم الزهرة جاء في النقوش باسم (عشتر)، وورد في تركيب بعض الأسماء ( أوست عثت) وأضيف على هذا المعبود أوصاف مختلفة مثل: (ذوقبض) و(شرقن) لتقد ذكر اسمها في الصيغ التي تجمع أسماء الآلهة الأخرى يعتقد أنه كان أثيرا لدى متعبديه، وتأتي الأسماء الدالة عليه باختلاف القبائل، فهو عند المعينيين، والأوسانيين (ود) وعند السبئيين (ألمقه)، وعند القتبانيين (عم)، وعند الحضارمة ( سن) كما في بابل[3].

وثالث الثالوث هي الشمس، وقد رمزوا إليها برموز، وصغات متعددة، وأنثوا الشمس عكس ساميي الشمال فكانت كل الأسماء المؤنثة في النقوش صفات الشمس، فهي

---

[1]- فيليب حتي، المرجع السابق،، ص 80.

[2]- عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص، ص، 211، 212.

[3]- فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص 80، وكذا : عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص، ص، 211،213.

عند المعينيين (نكرح) وهو اسم يصعب تعليله، وعند السبئيين (ذات حميم)، و(ذات بعدن)، و(ذات غضرن)، و(ذات برن)، وعند القتبانيين (ذات رحبن)[1].

ويلاحظ لفظ (إل) يرد بكثرة في أسماء الأعلام العربية الجنوبية مثل (يدع إل) و(كرب إل) و(رب إل) (شرح إل)، ويقابله إسماعيل في الشمال ونظرا لشيوع هذا الاسم بين الشعوب السامية استدل المؤرخون على أن عقيدة التوحيد قديمة عندهم، والملاحظ أيضا كثرة النذور المقدمة للآلهة مما يدل على تغلغل الشعور الديني في حياة الأفراد، وفي حياة الجماعة في الحرب والسلم، ويلاحظ أن هماك رموز ذات دلالة دينية مثل قرص الشمس والهلال، وصور لبعض الحيوانات كالثور والوعل والنسر[2].

والواضح أيضا أنه لم تصل المؤرخين نصوص دينية، وأساطير، وأدعية، وصلوات في عبادات اليمنيين، فقد يرجع ذلك إلى طبيعة الكتابة على الأحجار التي تتطلب الإيجاز في موضوعاتها الدينية والدنيوية، رغم أن نصا دينيا قديم من شبوة نقش على لوح نحاسي يوجد بالمتحف البريطاني أورد بشكل مقتضب ممارسات لطقوس دينية مختلفة يؤديها المتعبدون[3].

وعن الكهانة فلقد ارتبط ظهورها بقيام طبقة كهنوتية ذات نفوذ واسع بل إن العهود الأولى شهدت جمعا بين الصفتين الزمنية والروحية لدى الحكام، الذين يسمون بالمكربين (المقربين)، وسمي الكاهن في النقوش بـ (رشو)، ولقد تولى بعضهم أعمالا مدنية وعسكرية، وكان المعبد يمتلك أراضي شاسعة يؤجرها الكهان للمزارعين بوثيقة خاصة، وهناك ضرائب تجبى باسمه، وكانت القرابين دموية يسفك فيها دم الحيوان، والقرابين المحروقة عبارة عن بخور يحرق في المباخر.[4]

---

[1]-عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 214.

[2]- الهمداني، **الاكليل**، المرجع السابق، ج8، ص، ص، 124،125.

[3]- عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 215

[4]- نفسه.

أما عمليات الدفن فهي مختلفة، وكذا مقابرهم حيث يقول المؤرخ أدولف جرومان أن عرب الجنوب لم يبدوا عناية بالمقابر مثل عنايتهم بالمعابد، وأن احتواء مقابرهم على أواني ومواد حياتية تدل على إيمانهم بحياة أخرى بعد الموت[1].

وهناك عبادات أخرى وتفصيلات يضيق المقام بذكرها، فالحياة الدينية لجنوب شبه الجزيرة العربية تتميز في جملتها بطابع حضارة مستقرة بالغة الشأن، ولها شخصيتها البارزة، واستقلالها في نطاق بيئتها، والميزة الغالبة للديانة اليمنية القديمة غير السماوية هو عدم الفصل بين الدين والمجتمع، فالدين هو مصدر القوة لدى الحاكم في رعاية وحكم شعبه، والحكم يعتمد على أسس دينية تعضده وتقوي أركانه، وتدل النقوش الكثيرة التي عثر عليها أن للدين شأنا عظيما في حياة المجتمع اليمني القديم روحيا وسياسيا واقتصاديا، فروحيا إله القبيلة هو الرابط المقدس الذي يربط شملها، والشعب عبيد الإله والناس أبناءه، والسبئيون هم أولاد (المقه) إله سبأ[2].

وهكذا فالمطلع على النقوش يتضح له كثرة النذور المقدمة للآلهة في المناسبات المختلفة وسياسيا فتكفي الإشارة إلى أن العديد من الباحثين يتفقون على هيمنة السلطة الدينية على المجتمع والدولة، وربما يكون أول ظهور للسلطة في دولة سبأ (دولة مكربي سبأ في الألف الأول قبل الميلاد)، كان ذو اتجاه ديني في جمع الصفتين الدينية والزمنية للحاكم، فاسمه هورب الشعب وهو كبير رجال الدين (المكرب)، وفيما بعد نجد الملك يعرف كابن الآلهة وكوكيل له[3].

لقد عثر على نقش يحتمل أن يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد، يشير إلى قيام شخص بتقديم قربان للملك من أوسان (وصفه صاحب النقش بأنه ابن الإله ود)[4]، وهو النقش الأول من نوعه في هذا الشأن حتى الآن، علما بأن عادة تقديم قرابين للملوك كانت منتشرة في الشرق الأدنى القديم، وكان الملوك يقتسمون مع الآلهة غنائم

(1)- Grahman (A), **Arabian, Munchen**, 1963, P 190.

(2)- جواد علي : **المفصل**، المرجع السابق، ج 5، ص 183.

(3)- نفسه، ج5،ص 228.

(4)- النقش هو( R.3902)، أنظر: عبد القادر بافقيه وآخرون، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، دون طبعة، تونس، 1965، ص، ص، 310،311.

الحروب بما فيهم الأسرى، كما كانوا يصدرون أحكامهم، وتشريعاتهم على شكل أوامر تفتتح بأسماء الآلهة في معين[1].

ومن الناحية الاقتصادية، كان للمعبد أملاك زراعية شاسعة (أراضي الوقف)، وكان الملوك من يهب ويوقف الأراضي للمعبد (للمعابد)، وكذلك بعض الملاك وهي أراضي ليس عليها ضرائب حكومية، كما كان الكهان ورجال الدين، يشتركون في الأعمال التجارية، ووجدت ضرائب خاصة تجبى للمعابد مثل العشر في الحاصلات الزراعية، باختصار كان للمعابد ثروات وأملاك واسعة ومخازن كبيرة لخزن أموالها[2].

والملاحظ أن المعبد في اليمن القديم لعب دورا لا يستهان به في إقامة المشروعات العامة ( تحصين وتسوير المدن...)، بل وساعد الدولة في بناء المشروعات الكبيرة مثل السدود والقنوات والطرق والقلاع[3].

أما عن الديانات التوحيدية التي استقرت باليمن القديم فهي اليهودية والمسيحية، مع العلم أن دخولهما إلى اليمن كان من المرجح بين القرنين الأول والثاني بالنسبة للأولى، والقرن الرابع للميلاد بالنسبة للثانية.[4]

## المبحث الثالث: نشأة الدولة اليمنة القديمة وبنيتها

### 1- نشأة الدولة اليمنة القديمة وبنيتها

لقد نشأت في اليمن القديم ودول وممالك عديدة أشهرها معين، وقتبان وسبأ، وحمير، وحضرموت، وأقامت هذه الممالك مراكز حكمها، وحواضرها في المنطقة الصحراوية في الشرق، وفي الشمال الشرقي، وعاشت إما متداخلة أو متعاقبة، والأرجح

---

[1]- موسكاني، المرجع السابق، ص، ص، 195،197.

[2]-نفسه.

[3]- جواد علي: **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص، ص، 111،112.

[4]- لمعرفة تاريخ دخول اليهودية والنصرانية إلى اليمن، أنظر: أحمد فخري، **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ط 2، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص ص، 128، 129.

لدى أغلب المؤرخين متعاصرة، إلى أن استطاعت معين سبأ ثم حمير (سبأ ذوريدان) أن تبسط سلطتها على أجزاء كبيرة من اليمن.[1]

وانتهت آخر الممالك (حمير) على يد الغزو الحبشي عام 525 م، والذي انتهى بدوره عام 575 م على يد يوسف بن ذي يزن، وبمساعدة الفرس الذين حكموا اليمن، والملاحظ أن كل حلقات التاريخ السياسي لليمن القديم لم تستكمل بعد، إضافة إلى اختلاف المختصين فيما يتعلق بتاريخ نشأة وانحلال بعض الدول.[2]

يتفق أغلب المؤرخين أن المجتمع في بلاد اليمن قد نظم منذ وقت بعيد جدا في شكل من أشكال التنظيم القبلي الذي يرأس فيه رئيس أو شيخ من أبنائها الذين تربطهم روابط قوية، كما يبدو من النقوش التي عثر عليها في جنوب شبه الجزيرة العربية قوة الرابطة التي تربط بين أبناء القبيلة الواحدة[3].

والملاحظ أن النظام في جنوب شبه الجزيرة العربية تشكل من ملكيات كان أساس قيامها أكثر ثباتا واستقرارا، وأقل اعتماد على الظروف العارضة عكس الشمال، فإذا كانت ممالك وإمارات الشمال ووسط الجزيرة العربية تقوم على تجارة العبور، أو على الموقع التجاري، أو على قاعدة المناطق العازلة بين القوى العظمى المتصارعة الشرقية والغربية، مما يتيح لها ازدهارا ما دامت نفس الظروف قائمة، أما ممالك الجنوب فقامت على أساس مختلف، كانت لها مساحات خصبة من الأراضي الزراعية، وقدر كبير من الأمطار الموسمية، وعرفت أساسا اقتصاديا دائما وواسعا، ومتطورا، ونباتات

---

[1]- سلطان ناجي، **التاريخ السياسي لدول اليمن القديمة**، مجلة اليمن الجديدة، السنة 6، يونيو– يوليو، صنعاء، 1977، ص 19، وانظر كذلك: يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 242.

[2]- نفسه.

[3]- عبد الكريم البكر، " **قبيلة هجرت ودورها السياسي في التاريخ السياسي اليمني قبل الإسلام**"، مجلة المؤرخ العربي، العدد 28، 1999، ص 121.

كذلك أنظر: - رودوكناكيس، المرجع السابق، ص، ص، 128،129.

-جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج5، ص 183.

-سلطان ناجي، المرجع السابق ص 19.

-محمد عبد القادر بافقيه: ( تاريخ اليمن القديم )، المرجع السابق، ص 62.

مختلفة، فهي تنتج الطيوب، والتوابل كسلعة مطلوبة في العالم القديم، مما زاد من استقرار مواردها الاقتصادية إضافة إلى التجارة، وهي ليست تجارة العبور وإنما تجارة تشارك فيها، وتديرها بنفسها، حيث كان بها طبقة من الأغنياء، إضافة إلى كونها بداية طرق القوافل نحو الشمال ولها ميزة هامة، باعتبارها تربط طريقين بحريين، البحر الأحمر، والمحيط الهندي، وكل ذلك ساعد على بقائها واستمرارها[1].

إن محور نشأة الدولة اليمنية القديمة هي القبيلة، فالمجتمع كان مقسما إلى عشائر، وقبائل تعيش على مناطق معينة من الأرض، وعلى رأس كل قبيلة شيخ، وهذا الشيخ يسكن في هيكل أو قلعة يطلق عليها اسم (محفد) إذن فالمنطقة كانت تقسم إلى محافد (جمع محفد)، والمحفد إلى القصور، والقصر كالحصن أو القلعة، ويحيط به سور، ويقيم فيه شيخ أو كبير تحفّ به الأعوان والحاشية والخدم، ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلفظ (ذو) أي صاحب يضاف إلى اسم المحفد فيقال (ذو غمدان)، أي صاحب غمدان، وتعرف هذه الطبقة بالأذواء، أو الذاوين، وكانت هذه المحافد عديدة، لكل منهما حكومة قائمة بنفسها وأشهر المحافد والقصور: غمدان، صرواح، سلحين، ظفار[2]، وبقيت بعض هذه القصور بقيت إلى ما بعد دخول السلام إلى اليمن، وذكرها العرب ووصفوها، وفي بعض الاحيان نجد عند اجتماع المحافد يتولى شؤونها أمير واحد يسمى (قيل) جمع (أقيال)، ويسمّى مجموع المحافد، وما يلحقها من القرى والمزارع (مخلاف) يحكمه (قيل) أو(أمير)، وينسب المخلاف إلى أكبر محافده أوإلى المحفد الذي يقيم فيه الملك، أو الأمير، أو القيل، وكثيرا ما تحوّل القصر أو المحفد إلى عاصمة الدولة، وقد يتبدل اسم المحفد كما هوالحال في قصر (ريدان) إلى مدينة (ظفار)، وسلحين (مأرب)، ولقد شغل الأقيال بعضهم بالحروب، ولكن كان أكثر اهتمامهم الأول في مجال التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام، وبلاد الرافدين[3].

---

[1]- يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 242.

[2]- رودوكناكيس: المرجع السابق، ص، ص، 128،129.

[3]- P. Hitti (p.k), **History of Arabs**, London 1960 PP 52,54

وكذلك انظر: Pliny, naturel history, trad :George rawilson, paris, 1982, vojv, v151, 160

وعندما يتوسع أحد أصحاب هذه القصور والمحافد مستوليا على جيرانه، تتحول الإمارة إلى دولة كبيرة، فالمعينية والسبئية، والحميرية، هي كلها دول تجارية، ورئيس الحكومة هو الملك، وله حق مطلق، والملاحظ أنه قلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحروب والفتوحات، إلا في حالة الدفاع عن النفس، وحماية طرق القوافل، وكانوا يجمعون الرجال لبناء السدود والقصور، والحكم كان عندهم وراثيا[1].

في حين يظهر أن الملكية الزراعية تطورت حيث أسندت إلى شيوخ القبائل، وأعطيت لهم الأرض ليتولوا زرعها، وكانت هذه الأرض تعطى في الأصل مقابل خدمة عسكرية، وقد يشتري الشيخ الأرض باسم القبيلة مقابل أن يدفع عن الأرض محددا كل سنة، وتسلم عادة لشيخ القبيلة وثيقة تبين حدود الأرض، كما توضح الواجبات المترتبة على ذلك، وتبيّن هذه الوثيقة دور شيخ القبيلة، لأن التعاقد كان يتم مباشرة بين الملك وشيخ القبيلة الذي يكون مسؤولا مسؤولية مباشرة أمام الملك عن كل الالتزامات المتفق عليها[2].

وفي هذا السياق يذكر المؤرخ ج. ركمانس (Ryckmans) قائلا: إن القبائل المالكة كان يضاف إليها جماعات من قبائل أخرى كموالى تتولى الزرع حسب الحاجة، وتعتبر جزءا من الكيان الكبيرة للقبيلة[3]. لهذا يعتقد ركمانس أيضا: أن القبيلة لم تكن دائما من نسب واحد، بل كان منها أناس من مجموعات، وشرائح مختلفة طبقا لضرورة العمل وحاجة استغلال الأرض[4].

وبهذا الشكل يبدوا إذن قيام النظام الإقطاعي أو ما كان يسمى في جنوب شبه الجزيرة العربية بـ (الأقيال)، وبه تكونت صلات إقطاعية بين الملك وشيوخ القبائل[5].

---

(1)- pliny, op cit, v 136, 156, 160.

(2)- عبد الكريم البكر، المرجع السابق، ص 121.

(3)- Ryckmans, **l'unstitut Monarchique en arabie Merdionale avant l'islam** . Louvain, 1951, P : 178-180.

(4)- Ibid, P102

(5)- عبد العزيز الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، بيروت، 1969، ص 25.

ولمعرفة هذا الدور انظر: محمد محمود جمعة، **النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والساميين**، دون طبعة، القاهرة، 1999، ص9.

ويبدو أن هذا التحول الذي حدث في جنوب شبه الجزيرة العربية أدى إلى زيادة قوة القبيلة، وفعالية دورها السياسي. وبذلك أصبحت هذه الفترة المحصورة بين قبيل نهاية فترة ملوك سبأ، وفترة ملوك سبأ وذي ريدان ( 115 ق.م- 300 م)، من الفترات المضطربة في التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، لأنها عبارة عن تحول واضح وسريع في العلاقات الاجتماعية أدى إلى ترسيخ أنظمة اجتماعية جديدة، ومما زاد في إرباكها هو استخدام الحصان بدلا من الجمل في المجال العسكري، والاتصالات.[1]

ويرى (دوستل) أن اهتماما خاصا قد أعطى لصناعة سروج الخيول كدلالة على اهتمامهم بالخيول وذلك أن سرعة الحصان في الهجوم وقطع المسافات النائية عبر الصحراء قد جعلت القوة العسكرية غير محصورة في الأراضي الزراعية فقط، بل انتقلت إلى الواحات والأراضي الرعوية البعيدة، وبهذا ظهرت قوة عسكرية أخرى أثرت في الأحداث السياسية في البلاد وزادت من اضطرابها[2].

ولقد كان المتصارعون في هذه الحروب زعماء القبائل والأذواء، والأقيال، ويؤكد أحد الباحثين أنه لو نظرنا إلى قائمة الملوك من فترة سبأ وذي ريدان، نجد أن معظم القبائل تناوبت على الحكم[3].

وهناك عاملا آخر لا يقل أهمية عن دور (العصبية) القبلية في نشأة الدولة اليمنية، ويتعلق بدور ووزن رجال الدين، انه إذا كان من المرجح أن القبيلة هي نواة تشكيل الدولة، وأن الذي قاد وبسط سلطتها ونفوذها هم قادة هذه القبيلة من المشايخ والأعيان، فكيف إذن يستقيم هذا القول وفكرة تولي الكهنة ترأس الدولة منذ بداية ظهورها؟

انه من خلال استعراضنا السابق الذكر للدين وتأثيره الكبير على حياة الأفراد والمجتمع، وأن لكل قبيلة تقريبا آلهتها، وأن لهؤلاء الأفراد كانوا يعتبرون أنفسهم أولاد الآلهة وعبيدها، وربما من هنا نشأ التّصور الشرقي القديم للدولة الذي يقوم -حسب

---

(1)- Ryckmans, Op cit, P11

(2)- Ibid, P12

(3)- عبد الكريم البكر، المرجع السابق، ص 121.

رودوكناكيس- على تصور أن الحاكم أو الملك ممثل للإله على الأرض وأما أفراد الشعب فهم أبناء الإله[1].

ومن هنا تتأكد إشارتنا السابقة إلى هيمنة السلطة الدينية على الدولة في بداية ظهورها وأن حكامها (كما في عهد دولة مكربي سبأ) كانوا من رجال الدين الذين جمعوا بين السلطتين الروحية والزمنية، وتلقبوا بلقب (المكرب) أي (المقرب) أو(المبارك) وهو لقب كهنوتي[*]، وهذا يعني أن للكهنة ورجال الدين المكانة الأولى في تسيير شؤون الجماعة والقبيلة من الناحيتين الدينية والسياسية، وعليه فمن المرجح أن هؤلاء الكهنة قد عملوا مع مشايخ القبائل على توسيع نفوذ وسلطة كل منهم، وضم بقية القبائل إلى قبيلتهم باسم الآلهة، وبعد أن تم ذلك. تكونت الدولة حيث كان من الطبيعي أن يتبوأ رجال الدين سدة الحكم. واستمرت الأوضاع على هذا النحو إلى أن تحول نظام الحكم تدريجيا من النظام الديني إلى النظام الزمني، وتبدل لقب الحاكم من (مكرب) إي (ملك).[2]

ويشير كل من (رودوكناكيس)[3] و(جواد علي)[4] ومختصين آخرين إلى التغيرات التي شهدها النظام الكهنوتي وتحوله إلى النظام الزمني لم يكن تغيرا ثوريا أو قسريا، وذلك لأن المكرب (كرب إيل وتر) حوالي 450-410 ق م، وهو نفسه الذي اختار

---

[1]- رودوكناكيس، المرجع السابق، ص 126.

[*]- مكربي سبأ على الارجح هو" سمه علي " في راي اغلب المتخصصين باليمنيات، ويعود تاريخه إلى 800 ق.م.

أنظر: محمد عبد القادر بافقيه: **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص 63.

وامتازت هذه الفترة بنظرة " المكاربة " إلى أن الارض وما عليها ملك للآلهة، ورجال الدين والحكام هم خلفاء الآلهة على الأرض وهم وحدهم لهم حق الملكية، والفصل بين البشر، أنظر : جواد علي : المرجع السابق، ج5 ص 138.

ورد لفظة ملك في المسند بـ " ملكن " و" ملكم " وكان أول المكاربة السبئيين الذي لقب نفسه بلقب ملك وافتتح بذلك العهد الملكي في سبأ هوكرب ايل: " " حوالي 450 – 410 ق.م الذي أصبح ملكا باسم الآلهة، أنظر : عبد القادر بافقيه : ( تاريخ اليمن القديم )، المرجع السابق، ص 66.

[2]- عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص 66.

[3]- رودوكناكيس : المرجع السابق، ص 126

[4]- جواد علي، **المفصل**، ج 2، المرجع السابق، ص 503.

اللقب الجديد (ملك) واستبدله بالقديم، أما لماذا هذا التغيير فلا يوجد في النقوش ما يشير إلى ذلك، وبانتقال الحكم إلى الملوك انفصلت إدارة شؤون المعبد عن الحاكم الذي توجه إلى إدارة الدولة والأمور الزمنية، ولكن مع بقائه كحاكم للدين والمعبد، وظل الارتباط بينه وبين المعبد وثيقا.

كذلك هناك عامل آخر لا يقل أهمية في نشأة الدولة اليمنية القديمة، وهذا العامل يرتبط بظروف المناخ والمياه، وخاصة نشأة الممالك اليمنية –كما سبق ذكره– كانت في مناطق الوديان القريبة من الصحراء، ومثل تلك الظروف تتطلب قيام سلطة تهيمن على تصريف المياه مراعية الادخار والصالح العام[1]، وجاء عهد على اليمن تركزت فيه السلطة في الهيئة التي تشرف على استغلال الأرض، لذلك نظر الشعب للإله والملك وللدولة كالقوة الوحيدة التي تهيمن على الأرض واستقلالها[2]. وليس أدل على ذلك من أن حكام المكاربة هم أول من أقاموا السدود والقنوات لحجز سيول الأمطار واستخدامها في الري. (رودوكناكيس) أركان الدولة اليمنية خاصة بعد الانتقال إلى الحكم المدني بثلاثة أركان هي: الله، والملك، والشعب، أي القبيلة الزعيمة الناضجة سياسيا والتي استطاعت قيادة القبائل الأخرى[3].

وبالتالي فنشأة الدولة اليمنية القديمة تساير وجهة نظر ابن خلدون إلى حد بعيد (العصبية القبلية والمتضمنة للقوة والدين)، إضافة إلى العوامل الأخرى المذكورة، فإن هذه الأرضية السياسية التي قامت عليها الدول القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية هي التي رسمت التاريخ السياسي، والحضاري لبلاد العرب الجنوبية، ومن خلال الخلفية السياسية المذكورة لهذه الدول، فإنه يظهر جليا أن الدور التكويني القبلي والاجتماعي كان حاسما في ظهور هذه التشكيلات السياسية، حيث ظهرت في الألف الأول قبل الميلاد دول

---

[1]– رودوكناكيس : المرجع السابق، ص 142.

[2]– نفسه.

[3]– نفسه.

وفي عهد المكرب السبئي " سمه علي ينف" تم بناء سد مأرب لأول مرة في حوالي 510 ق.م. أنظر: عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص68.

مختلفة في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، أهمها دولة معين، سبأ، قتبان، حضر موت، وحمير.

**أ- دولة معين:**

تعتبر الدولة المعينية أقدم الدول العربية الجنوبية التي استطاع المؤرخون الوصول إلى أخبارها ولكنهم اختلفوا حول تاريخ قيامها واضمحلالها، ويقدر المختصون في التاريخ القديم أنها أقدم الممالك في المنطقة، ويرجعون ذلك إلى عدة عوامل وأسباب هي أن الدولة المعينية نشأت في أخصب منطقة من الجوف اليمني الغني بتربته وأمطاره، وبالتالي استعاضت بذلك على مياه الأمطار والأنهار الكبيرة التي قام عليها جانب من تلك الحضارات القديمة، من هنا يرجح الدارسون أن اليمن مكان لاستقرار أول إنسان بالمنطقة، وازدهار معين كمملكة أقدم من ازدهار وتمدن أية مدينة أخرى في الإقليم الجنوبي لبلاد العرب[1].

واستنادا إلى الدراسات التاريخية والأثرية التي قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية أن هذه الدولة قد عاشت بيم (1300- 630) ق.م، حيث وردت أخبارها المدونة بالمسند وكتابات الإغريق والرومان، أما المؤلفات العربية الإسلامية فلا علم لها بهذه الدولة، لكنها عرفت اسم معين على أنه محفد اليمن وحصن ومدينة، وذكرت أنه و(براقش) من أبنية التبابعة[2]، وأقدم من ذكر المعينيين من الكتاب الاغريق (ديودور الصقلي) و(سترابون)، وقد سماهم (Minae-Meinaioi) وقال: إن مدينتهم العظمى هي Carna-Karna[3]، أي قرناو، ونقل عن كاتب أقدم منه هو إراتوسثنيس (Eratosthnes) : إن بلادهم تقع شمال سبأ، وشمال أرض قتبان، وأما حضرموت

---

[1]- شدياق منقوش: " **دولة معين** " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 7، السنة 2، 1976، ص 148.

[2]- Philby, op.cit, P41

[3]- Strabo, op.cit,vol v, v 109

فتقع شرق بلاد معين [1]. وآخر من ذكرهم الجغرافي الشهير (بطليموس)، ولم يتحدث أحد من الكتاب الغربيين بعد الجغرافي المذكور عن معين، حتى دخل الرجال الأوربيون، والمكتشفون لآثار شبه الجزيرة العربية، حيث يعود الفضل في اكتشاف آثار عاصمة معين (قرناو) إلى المستشرق الفرنسي (يوسف هاليفي) (Joseph Halevy) الذي قرأ اسمها المحفور بالخط المسند على النقوش التي عثر عليها في أنقاضها، إضافة إلى ما نشره (إدوارد جلازر) (Edward Glaser) من أخبار ودراسات عن هذا الشعب وهذه الدولة كذلك ما ذكره (أوتينك) (Euting) و(جوسين) (Jaussen) حيث حصلوا على نقوش نشرت ترجمات لبعضها ولا يزال البعض الآخر ينتظر النشر[2].

ولقد حصل هاليفي على عدد كبير من الكتابات المعينية التي اكتشفها أثناء سياحته في الجوف، ودعيت ورقمت باسمه من الكتابات التي حصل عليها مرقمة برقم " Halevy 187 " حتى رقم " Halevy 266 " ومجموعها ثمانون كتابة حصل عليها من خرائب معين، كما حصل على الكتابات المرقمة من رقم 424 حتى رقم 578 من يثل، ويبلغ مجموعها 155 نقشا، كما حصل على صور عدد آخر من الكتابات من (كمنا) ومن (السوداء) ويبلغ مجموع الكتابات المعينية التي استنسخها زهاء 700 نقشا أغلبها قصير، وبعضها يتضمن بضع كلمات ما عدا النقوش من 50 – 60 تتألف من بضعة أسطر[3].

ومن خلال ما وصل المؤرخون من أخبار الكتاب الأوائل، والكشوفات الأثرية يمكن تحديد على ضوء ذلك أن مملكة معين قامت شمال بلاد سبأ، وشمال الأرض القتبانية،

---

(1)- Sanger, **the Arabia Peninsula**, c .u .p, 1954, P 211

(2)- Halevy in journal Asiatique, 1867, 4،497-585 . 1872 : 129- 266, 489-547,1873 : T I ،434-521, T II : 305- 365 :

أما مجموعة " Euting" نشرت في مؤلف D H Muller المعنون بـ: Epigraphisette Denk, Muller and Arabians

وكذلك: Corpus inscriptionum Semitican، T IV, Part I,II,III.

وكذلك: L'Epigraphie Semitique, T V and VI, Basoor, 73 1939, P :5

(3)- محمد توفيق، " **أثار معين في جوف اليمن** " من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1951، ص 1.

وكذلك : جواد علي : ( المفصل )، المرجع السابق، ج2، ص 75.

وتداخلت مع حضرموت شرقا في الربع الخالي كما يذكر(سترابون)[1]، و(بلنيوس)[2]، حيث حدد رقعتها بين الأراضي الحضرمية والسبئية، وأشار إليها (بطليموس) كثيرا، وذكرها الهمداني في الإكليل، ومن محافدها " براقش " و" معين " وهما بأسفل جوف أرحب في أصل جبل هيلان، وهما مدينتان متقابلتان، فمعين بين مدينة ريشان، وبين درب سراقة، ولقد أفرد الهمداني لمعين ومدنها صفحات من الإكليل نثرا وشعرا على لسان شعراء يمنيين[3]، وبالتالي فقد تبين أنها ازدهرت (معين) في منطقة الجوف، وهي منطقة سهلية واقعة بين نجران وحضرموت، في الهضبة الشرقية اليمنية وبعد أن كانت مدينة " معين " إلى الشمال الشرقي من صنعاء الحالية عاصمة سياسية لها، انتقل مركز المملكة إلى مدينة قرنا (قرناو) في أواخر عهد الدولة المعينية، بينما كانت يثيل عاصمتها الدينية[4].

ومما يجب التأكيد عليه هو أن هناك تباين كبير بين أراء العلماء في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه مملكة معين إلى الوجود، كما اختلف حول نهايتها بحيث دار جدال حول هذه النقطة خاصة عما إذا كانت تسبق سبأ أم كانت معاصرة لها[5].

لقد تعاقب على عرش معين عدد من الملوك يصعب معرفة تسلسلهم، وتاريخ حكم كل منهم، لأن النقوش الكتابية المكتشفة لا تحمل من التواريخ ما يصح الاعتماد عليه لأنها لا تؤرخ بحوادث معروفة. وتمكن قراء المعينية من الحصول على أسماء ملوك حكموا دولة معين، وقاموا حسب المختصين، بإحصائها وجمعها، وحاولوا الاستفادة منها بتنسيقها وتبويبها لتكوين قائمة منظمة مرتبة بمن حكم عرش تلك الدولة حكما زمنيا متسلسلا بقدر الإمكان، غير أنهم لقوا صعوبات حالت بينهم وبين الاتفاق على قائمة واحدة موحدة، حيث ذهبوا مذاهب عدة، ووصفوا تواريخ متباينة، كذلك الكتابات

---

(1)- Starbo, Op Cit, Vol III, v203

(2)- Pliny,Op Cit, Vol VI, P42

(3)- الهمداني، **الاكليل**، المرجع السابق، ص 124.

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 66.

(5)- موسكاني المرجع السابق، ص 192.

المعينية لم ترد مؤرخة وفق تقويم محدد، ولم تتحدث عن حكم أي ملك من الملوك، ولم تذكر ترتيبهم في الحكم، وهي في أكثرها أمور شخصية لا علاقة لها بالسياسة ولا بالدولة.

ولإيجاد اتفاق بين الباحثين يتطلب إجراء حفريات علمية دقيقة في أماكن المعنيين سواء في معين أوفي خارجها، والملوك الذين وردت أسماؤهم هم جماعة منهم فقط، بلغ عددهم بين 26 – 27 ملكا حسب البحث الأثري، وكان يلقب في بداية الدولة المعينية بلقب " مزود " ثم تلقب بلقب " ملك " ويشير بعض الباحثين إلى أن لقب " مزود " يتضمن معنى الكهانة فضلا عن الحكومة فعندما يقولون " مزود معين " يعني حاكم معين وكاهنها، ولقد اختلف عدد من الباحثين في بعض الأسماء والألقاب الأخرى، بالإضافة إلى ترتيبهم.[1]

لقد كانت حكومة معين حكومة ملكية يرأسها حاكم يلقب باسم "ملك " لكن الملاحظ اشتراك شخص أو شخصان أو ثلاثة أشخاص في حمل لقب ملك في وقت واحد واستنادا إلى الكتابات التي وصلت المؤرخين، فإن هؤلاء المشتركين معه في اللقب من أقرباء الملك المرتبطين به برابطة الدم[2].

ويظهر من الكتابات المعينية أن الحكم في معين لم يكن حكما تعسفيا، لكن السلطة الفعلية كانت في أيدي الملوك، فكان هناك اعتدال في الحكم (يساعد الملك مجلس من شيوخ القبائل، حيث يستشير الملوك أقربائهم، ورجال الدين وسادات القبائل ورؤساء المدن قبل أن يصدروا أحكامهم[3]، ولقد كان لكل مدينة حكومتها الخاصة، ولهذا يسمي البعض معين بحكومة المدن، حيث لكل مدينة حكومة صغيرة بهيأتها الدينية، ومجالسها الاستشارية يدير شؤونها في السلم والحرب ويفصل بين الناس وينظر في شؤونهم وتتألف مملكة معين من مقاطعات على رأس كل مقاطعة ممثلا عن

---

[1]– جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج 2، ص، ص، 108، 112.

[2]– محمد يحي الحداد، **تاريخ اليمن السياسي**، ج1، دون طبعة، منشورات المدينة المنورة، 1986 م، ص 52.

[3]– محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 52.

الملك يعرف عندهم بـ (كبر) أي (الكبير)، ويظهر أنه كان لا يتدخل إلا في السياسة التي تخص المسائل العليا وحقوق الملك وشعب معين، ويبقى التأكيد على أن الحكم في معين وراثي ينتقل من الأب إلى الابن ومن الأخ إلى أخيه وقد يتولى الولد والوالد والأخوة الحكم في وقت واحد[1].

ولقد كان لمعين علاقات مع الممالك الأخرى سادها العنف تارة والسلم والتعاون تارة أخرى، فعلاقتها مع حضرموت علاقات تجارية، وحسن الجوار، ومصالح متبادلة وعلاقات قربى حيث حكم (صدق إيل) معين، وخلفه على العرش المعيني ابنه (السميفع يثع)، وعلى حضرموت (شهر علف)، وتولى حضرموت فيما بعد (معد يكرب)، ابن الملك المعيني (اليفع يثع) واستمرت عملية التداخل بين المعينية والحضرمية فترة من الزمن لفتت نظر المؤرخين[2]، كل ذلك يؤكد صعوبة تقريب وجهات النظر بين القائلين بأسبقية دولة معين على سبأ، والقائلين بأن ملوك حضرموت كانوا هم الذين أسسوا مملكة معين مثل البرايت[3].

كذلك كانت معين جسرا لمرور البضائع الحضرمية المستوردة من الهند والصين، وشرق إفريقيا، لتحملها قوافل حضرمية من معين إلى العراق والشام ومصر، أما علاقتها مع سبأ فلقد شابها نوع من التوتر لأن سبأ لها ثقل سياسي وعسكري مكنها من أن تفرض نفسها كمسؤول على التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية، كحام حقيقي لها من أي اعتداء سواء كانوا لصوصا قطاعا للطرق أو القبائل المغيرة.[4]

إن الدور الحقيقي الذي لعبته سبأ في المنطقة قد خلق لديها الإحساس بتأديب أية قوة تسمح لنفسها بأن تتمادى وتعتدي على غيرها، ولقد شنت حملات على معين وأحرقت قراها ومدنها التجارية[5].

---

(1)-محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 52.

(2)- شدياق منقوش، المرجع السابق، ص 121.

(3)- Albright ( W.F), **the chronology of Minaean King of Arabia**, Basoor, p 129

(4)- شدياق منقوش، المرجع السابق، ص 121.

(5)- نفسه.

أما علاقتها مع قتبان فإن قربهما لبعضهما البعض وتداخلهما جغرافيا، وتداخل واختلاط قبائلهما، خلق بينهما علاقات حميمة وطيدة في كل الميادين [1]، ومن هنا فإن نهاية دولة المعينيين تمت على أيدي السبئيين، ولا يعرف على وجه الدقة انتهاء سلطانها بسبب وجود ذكرها إلى جنوب الدولة السبائية، وتدل نقوش سبائية على الحالة المتردية التي عرفتها معين سياسيا في أواخر أيامها، بحيث بدأت تخضع لنفوذ سبأ السياسي إذ تتضمن اعترافا من المعينيين بآلهة السبئيين وبملوك سبأ وشعبها[2].

**ب- مملكة قتبان:**

تعد مملكة قتبان من الممالك العربية الجنوبية التي عاصرت مملكة معين، وقد وجد اسمها في كتابات عديدة قتبانية، وقد أشار الكتاب الإغريق إلى القتبانيين مثل (ثيوفراستوس Theophrastus)، حوالي 312 ق.م و(بلنيوس) وسترابون وغيرهم[3].
أما عن تحديد موقع القتبانيين فإنهم كانوا يقطنون الأقسام القريبة من العربية الجنوبية وقد امتدت منازلهم حتى بلغت باب المندب، وذكر ياقوت الحموي أن قتبان موضع في نواحي عدن[4]. وأن وادي "بيحان" يعتبر من صميم أرض قتبان ويظهر من مجموع أقوال الباحثين في تحديد موقع قتبان أنها امتدت من الجنوب الغربي لليمن عند باب المندب إلى الجنوب في عدن وإلى الجنوب الشرقي لليمن حتى بيحان[5].
أما الكتابات العربية فلم تذكر شيئا يستحق الذكر عن قتبان، ويظهر أن أخبارهم انقطعت قبل ظهور الإسلام، وكل ما ورد عنهم أنهم قبائل من حمير، ويرجع ذلك الضعف إلى قتبان واندماجها في حكومة سبأ (سبأ وذمي ريدان)، ولقد حاول الباحثون في العربيات الجنوبية وضع تقويم لحكومة قتبان، غير أنهم لم يتفقوا حتى على تحديد بداية ونهاية لهذه

---

(1)- شدياق منقوش، المرجع السابق، ص 121.

(2)- Philby.op.cit, p: 42.

(3)- Theophrastus, **En Quiry in to Plants**, Translated by A.F Hort (Laeb) Library, Vol III, P139

(4)- ياقوت الحموي : المرجع السابق، ج 4، ص 310.

(5)- محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ج1، ص 57.

المملكة ولما كانت هذه المملكة قد عاصرت حكومة معين، وحكومة سبأ، فلقد تقوقف تاريخ قتبان أيضا على تثبيت تاريخ معين وسبأ، وقد أرجع (هومل) تاريخها إلى ما قبل سنة 1000 ق.م، أما فيليبي فقد أرجعه إلى حوالي 865 ق.م[1]، كذلك اختلفوا في ترتيب الملوك ومدة نهاية حكمهم، ومن دراسة الكتابة القتبانية نتبين أن حكام قتبان كانوا يلقبون بلقب " مكرب "، والتي تعبر عن التقرب إلى الآلهة، لكن عندما توسع المكرب خارج حدود المدينة " المعبد " أصبح يلقب بالملك، وبالتالي تأخرت طبقة الملوك عند طبقة المكارب[2]، وأقدم مكربي قتبان في رأي أغلب علماء العربيات الجنوبية، المكرب (سمه علي وتر)، وابنه هو (ف عم يهنعم)[3].

ولقد كانت العاصمة الأولى للقتبانيين مدينة " تمنع " وعرفت أخيرا باسم مدينة " كحلان "، وهي تقع بمنطقة عرفت قديما بخصبها وكثرة بساتينها[4].

ومن مميزات نظام الحكم في قتبان، أن في القرية أو المدينة أو القبيلة أن له دار ندوة يجتمعون فيها للمشاورة لتصريف أمور الناس، ومساعدة الملك في تقديم مشورتها وحل الخصومات وأخيرا فإن حربا أخرى تجددت بين " قتبان " و" سبأ "، وحكومة أخرى لعلها حضرموت المستقلة أدت إلى إنهاك " قتبان " وإضعافها حتى فقدت سيادتها، واندمجت أخيرا في دولة سبأ وذي ريدان[5].

---

(1)- Philby, Op Cit,PP 143,144.

(2)- Ibid, .p83

(3)- IBid, p 144

وكذلك أنظر :عن سني **حكم ملوك قتبان ومعين وسبأ وحضرموت** : W.F Albright : **The Chronology Of Ancient South arabian in the light of the first compain of Exavation in Qataban**, Baltimore, 1950, P 7.

(4)- Windele Philips, **Qataban and Sheba**, London 1955,P 291.

(5)- Albright, **The Chronology Of ancient south Arabia** , P 9

كذلك أنظر: محمد يحي الحداد: المرجع السابق، ص 62.

## ج- مملكة حضرموت:

لقد عاصرت هذه المملكة مملكة معين، وظهرت أيضا قبل الميلاد، ولا يزال اسمها حيا يطلق على مساحة واسعة من الأرض، وقد عرفت بعض أخبارها من الآثار والنقود، والكتابات التي عثر عليها العلماء في خرائب مدينة شبوة، ومدينة عقلة الحضرميتين القديمتين[1]، وقد تحدث مؤلف كتاب الطوائف حول البحر الإريتري عن سواحل حضرموت الجنوبية فذكر أن فيها مناطق موبوءة يتجنبها الناس[2].

وقد أوردت الكتابات العربية الجنوبية أسماء عدد من ملوك حضرموت، وعن نظام حكمها كان الملك من ملوك حضرموت المستقلة كالملك من ملوك سبأ كان يلقب في بداية قيام الدولة بلقب " مكرب " ثم لقب بـ " ملك " ولقد أورد " فليبي " في قائمته أسماء ثلاثة مكارب لحضرموت، ويرجح أن الدولة الحضرمية المستقلة قامت في حدود 1020 ق.م حسب رأي فيلبي[3]، وأول ملك لها على رأيه هو" صدق إل "، وقد عاصر ملوك حضرموت المتأخرين من ملوك معين، فقد جعل الدكتور فؤاد حسنين الملك " صدق إل " ملكا على معين وحضرموت[4].

أما عن نهاية الدولة الحضرمية فقد كانت نتيجة فقدانها للاستقلال، ذلك أنه حدث أولا أن فقدت استقلالها واندمجت في دولة معين بعد وفاة ملك حضرموت " معد يكرب " الذي تولى الحكم حوالي عام 980ق.م، واستمرت على تلك الحال حوالي ثلاثة قرون أي إلى نحو 650 ق.م، والذي ساعد على اندماج مملكة حضرموت المستقلة في مملكة معين في التاريخ أي بعد وفاة " معد يكرب " ملك حضرموت هو أن ملك معين في ذلك التاريخ كان يدعى " يدع اب يثع بن وقه إل ريام " هوشقيق " معد يكرب " المذكور[5].

---

(1)- ديتليف نيلسون وآخرون، المرجع السابق، ص 288

(2)- Shoff (W), **The Periplus of the erythraean sea**, London, 1912, P8

(3)- Philby, Op Cit, p144

(4)- ibid

(5)- محمد يحي الحداد : المرجع السابق، ج1، ص 69. وكذلك انظر Philby, Op Cit , pp 144,145

وقد عادت مملكة حضرموت إلى الاستقلال في عهد الملك الحضرمي " آل سمع ذبيان بن ملك كرب " وذلك في عام 650 ق.م، واستمرت مستقلة إلى عام 590 ق.م في تقدير " فليبي"، ثم اندمجت منذ ذلك التاريخ في مملكة " قتبان " ثم أصبحت جزءا من مملكة سبأ حتى عام 180 ق.م وقد عادت مملكة حضرموت إلى الاستقلال مرة أخرى عام 180 ق.م، حيث تولى الملك فيها "يدع آل بين بن رب شمس "، الذي كون أسرة ملكية جديدة في حضرموت وأسس مملكة حضرمية جديدة عاصمتها " شبوة "[1].

والملاحظ أن والده لم يكن ملكا ولا من الطبقة الأرستقراطية، ولا من الأذواء والكبراء ولكن والده " يدع ال بين " كان من قبيلة " يهبار " كما تحدثت بعض النقوش التي عثر عليها في شبوة، وقد أعلن نفسه ملكا على حضر موت بعد محاربته ملوك سبأ الذين كانا قد استولوا على مدينة شبوة وأخرجهم منها واتخذها عاصمة ملكه وأعاد بناءها وكانت مملكة سبأ وذي ريدان قد قامت منذ عهد الملك (شهر يهر عش) الذي صار يلقب " ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت "[2].

**د- مملكة سبأ:**

لقد ورد اسم سبأ في القرآن الكريم مما جعل المفسرين والإخباريين يضطرون إلى التقاط ما كان قد ورد عنهم من قصص وحكايات، وما كان القرآن الكريم[3] يهتم بسبأ لولا شهرتها في العصور القديمة، وسبأ عند بعض الإخباريين اسم الجد الأول وأولاده كانت من ذريتهم شعوبا، ووالده هو" يشجع بن يعرب بن قحطان "، ومن أولاده قبائل كثيرة انتشرت في أماكن عديدة من جزيرة العرب قبل الإسلام، وإليه نسب نسله السبئيون، وقد قالوا أن اسمه الحقيقي هو" عبد رب شمس "، وأما سبأ فلقب به حسب هؤلاء الإخباريين لأنه أول من سبأ أي سنّ السبي من ملوك العرب وأدخل اليمن السبايا[4].

---

(1)- وكذلك انظر : Philby, rep Epig, VII,II,P400.

(2)- جواد علي : **المفصل**، المرجع السابق، ج 2، ص، ص،148، 149.

(3)- القرآن الكريم : سورة النمل الآية : 22، سورة سبأ : الآية 15.

(4)- الطبري : المرجع السابق، ج1، ص225. وكذلك : الزبيدي : المرجع السابق، ج10، ص 169.

لكن النصوص العربية الجنوبية لا يوجد بها شيئا عن نسب سبأ وعن هويته، وكل ما ورد أن سبأ اسم شعب كون له مملكة، ولقد ورد ذكر سبأ في التوراة وفي الكتب الإغريقية والرومانية وفي الكتابات الأشورية[1].

إن الكتابات الإغريقية والرومانية والدراسات الحديثة تشير إلى سبأ كما أشارت إلى الجنوب العربي باعتبارها أشهر القبائل العربية المستقرة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وأنها أكثر عددا وأضخم أرضا، وأوسع ملكا وسلطانا، وأن بلادها تشتهر بزراعة اللبان والمر والأعشاب العطرية[2].

ولقد استمد الكتاب الكلاسيكيون هذه المعلومات بعد الحملة العسكرية التي بعث بها الإمبراطور أغسطس سنة 24 ق.م وصاحبها الجغرافي سترابون الذي كان صديقا لوالي مصر إليوس جاللوس، إذ أن هذا الوصف كتب بيد معاصر شاهد بنفسه كثيرا مما يوصف أثناء تلك الحملة، ورغم ما فيه من مبالغة أو عدم دقة في الوصف، إلا أنها من المصادر الرئيسية للتعرف على الأوضاع في تلك الأقاليم[3].

ولقد اختلف المؤرخون والباحثون في تقسيم تاريخ سبأ فمنهم من قسمها إلى دورين، وعدد آخر من الدارسين قسموا تاريخها إلى أربعة عصور، طبقا لظروف الدولة نفسها، كذلك اختلفوا في تاريخ بداية ونهاية كل عصر، وعلى هذا الأساس أوردت أشهر تقسيمين أجمع عليها أغلب الباحثين في العربيات الجنوبية هو كالتالي:

---

(1)- وكذلك انظر: O'leary ( Dealacy D.D), **Arabia befor Muhamed** ,El, Vol 4 London 1927, P87

(2)- بزة الباطني" دولة سبأ عذراء منذ 2000 سنة " مجلة الكويت، العدد 93، السنة 9، 1990م، ص 86.

(3)- نفسه.

**أ- التقسيم الأول:**

قسم تاريخ سبأ إلى دورين أساسيين هما:

**1- الدور الأول:**

يمتد من 950 ق.م حتى عام 630 ق.م، وهو الدور الذي يلقب فيه باللقب الديني ( مكرب ) وكانت عاصمتهم " صرواح " الواقعة بين مأرب وصنعاء، مكانها اليوم مدينة (حزيبة) شرق صنعاء.

**2- الدور الثاني:**

يمتد من 630 ق.م حتى عام 115 ق.م، وهو الدور الذي تغلبوا فيه على معين، وورثوها ولقبوا بألقاب ملوك وأصبحت عاصمتهم مدينة مأرب التي تقع على بعد 100 كلم إلى الشرق من صنعاء[1].

**ب- التقسيم الثاني:**

قسم التاريخ السبئي إلى أربع عصور هي:

**1- العصر الأول:**

يمتد حوالي 800 ق.م إلى 650 ق.م [2]، وفيه حمل حكام سبأ لقب "مكرب"، ويعني في العربية "مقرب" وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للآلهة [3]، كما يقوم بدور الوساطة بين الآلهة والناس، وربما كانت وظيفة " المكرب" هذه تشبه إلى حد كبير وظيفة " المزود" لدى المعينيين، هذه الألقاب تعطي صيغة القداسة لدى أصحابها في حكم بلادهم، فهم يرتكزون عليها في ممارسة الحكم سواء أكان ذلك من الناحية الدينية أو المدنية[4].

---

[1]- توفيق برو: المرجع السابق، ص 73.

[2]- جواد علي : المرجع السابق، ج2، ص 269.

[3]-، نفسه

[4]- محمد بيومي مهران، **تاريخ العرب القديم**، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م، ص 271.

**2- العصر الثاني:**

يمتد حوالي 650 ق.م حتى عام 115 ق.م، وفيه حمل حكام سبأ لقب (ملك) واتخذوا من مأرب عاصمة لهم بدلا من (صرواح) عاصمة الدولة في العصر الأول، وقد بدأ العصر الثاني "كرب إيل ..." الذي كان آخر من حمل لقب "مكرب" وأول من حمل لقب ملك[1].

**3- العصر الثالث:**

يمتد حوالي 115 ق.م حتى حوالي 300 ق.م، وفيه حمل حكام سبأ لقب " ملك سبأ وذي ريدان " إشارة إلى ضم ريدان إلى التاج السبئي، وربما يشير كذلك إلى دولة قتبان أو حمير فيما يرى بعض الباحثين [2]، ولهذا فإن بعض المراجع تطلق على هذا العصر اسم " عصر الدولة الحميرية الأولى ".

**4- العصر الرابع:**

يمتد حوالي 300 م حتى 525 م، وفيه حمل حكام سبأ لقب " ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في المرتفعات والتهائم " والذي يعرف بعصر الدولة الحميرية، ويعتبره أصحاب هذا التقسيم آخر دور من أدوار الحكم في سبأ، حيث تبدأ بعد ذلك تعاني من الحكم الأجنبي الحبشي والفارسي إلى أن يظهر نور الإسلام في مكة المكرمة، وتنطوي اليمن تحت لوائه عام 628 م[3].

من خلال هذين التقسيمين فإنه يظهر أن هناك تقارب في العصر السبئي والعصر الحميري الذي يبدأ حسب نفس التقسيم من 115 ق.م، ويظهر جليا منذ 300 م، فإن التقسيم الثاني حاول أن يمد من نفوذ وعمر الدولة السبئية من 800 ق.م حتى 525 ق.م، وأن الحميريين عاشوا في ظل الدولة السبئية بشكل أو بآخر رغم ذلك يذكر أن الحميريين بدأوا في الظهور منذ115 م وبالتالي فالعصرين الأخيرين هما عصرا الدولة الحميرية.

---

[1]-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص، ص،271، 272.

[2]- I. Shahid : **Pre Islamic Arabia in CHI**, I,Cambridge, 1970, P 2

[3]- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 272.

لقد سقطت مدن معين الواحدة بعد الأخرى في يد سبأ، كما سقطت الدول المعاصرة لها كأوسان وقتبان وحضرموت، وامتدت حدودها حتى بلاد نجران في الحدود الشرقية لليمن، وقد لاقت سياسة التوسع التي انتهجتها سبأ مقاومة عنيفة من ملوك ورؤساء الإقطاعيات في جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث اصطدمت سياسة التوسع بمصالحهم واستقلالهم، وقامت حروب لم تخمد إلا بعد تضحيات جسيمة، وأضرار بالغة لحقت الجانبين، وأقل ضرر من جانب دولة سبأ المنتصرة بسبب الحروب وانتقال التجارة البحرية من أيديهم إلى أيدي البطالمة[1].

لكن في الواقع وحّد السبئيون البلاد، وواجهوا مطامع الأجانب من الأحباش والبطالمة وغيرهم مدة طويلة من الزمن، وأنشأوا حضارة عظيمة.

إن النظام السياسي الذي كان في عهد (المكارب) كان نظاما كهنوتيا أكثر منه سياسيا، وكان مكونا من قبائل ومدن وقرى، ولكل منها من يحميها ويجمع شملها، وعلى رأس كل مدينة (كبر) أي (كبير) يجبي الضرائب العائدة للدولة والآلهة المحلية من أهل مدينته أو منطقة يؤدي ما للدولة وما للإله، ويقوم الكبير أيضا بتجنيد المقاتلين للحكومة، ولقد تغير لقب حاكم المدينة من كبر إلى " قيل " في عهد ملوك " سبأ وذي ريدان " [2].

والملاحظ من خلال النصوص المكتشفة أن مملكة سبأ وقفت في أواخر أيامها فريسة للفوضى، وهدفا للأطماع الخارجية، وأقضت مضاجعها المنازعات التي وقعت بينها وبين جيرانها الريّدانيين والحضارمة والقتبانيين والحميريين الذين شعروا بضرورة استعادة الاعتبار لكياناتهم السياسية بعد أن أفاقوا من صدمة قضاء السبئيين على استقلالهم فنتج عنها حروب طويلة تفاقم أمرها، كان منها ما وقع بين سبأ وذوريدان، وانتصرت فيها سبأ، فضمّت إمارة ذوريدان فأصبح ملكها " ملك سبأ وذوريدان " لكن الأحوال فيها لم تهدأ، بل أعقبتها حروب أخرى أشمل وقعت بين ملوك سبأ وذوريدان من جهة،

---

[1]- محمد يحي الحداد : المرجع السابق، ج1، ص، ص،81،82.

[2]- نفسه، ص، 88، كذلك عن توسعات الدولة السبئية. أنظر : عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، دون طبعة، مطبعة جامعة القاهرة، 1992 م، ص، ص، 66،70.

وبين حضرموت وقتبان من جهة أخرى، وعندها استعان الملك السبئي بأمير قبيلة همدان " يريم أيمن " حيث حاول هذا الأمير استغلال نفوذ قبيلته لينافس الملك السبئي، وهنا انتقل الريدانيون، والحميريون للنزاع الهمداني السبئي، أما قتبان فلقد انسحبت بعد أن تدنت أهميتها في سياسة اليمن القديم، أما حضرموت فتارة كانت تقف مع همدان وأخرى مع سبأ[1].

وهذا في الوقت الذي ظهر فيه الوجود الحبشي على سواحل العربية الجنوبية في الاماكن التي كانت تحت إمارة أوسان، حيث أصبحوا يتدخلون في شؤون مملكة سبأ، ويتحزبون لفريق دون آخر لتحقيق مطامعهم في شبه الجزيرة العربية، بدعم من إحدى القوى العظمى المتصارعة على المنطقة.[2]

وتبلور الموقف في حلفين، الأول ضم سبأ وريدان وحمير، والثاني ضم همدان وحضرموت والأحباش في البداية انتصر الهمدانيون لكن ما لبث خصومهم أن حققوا النصر الحاسم عليهم في النهاية، وأصبحت تشرف عليهم وتحمل صبغة ريدانية حميرية، وسمي ملكها " ملك سبأ ريدان " وغلب عليها اسم الدولة الحميرية[3].

**هـ- الدولة الحميرية:**

يعتبر عدد من المؤرخين أن شعب حمير لعب دورا خطيرا في سياسة اليمن القديم ذلك أن حمير كانت من القبائل العربية المعروفة في جنوب شبه الجزيرة عند الميلاد حتى وصل خبرها إلى اليونان والرومان فدعوها باسم " Homeritai "[4] وباسم "Omyritain" ونحو ذلك، ولقد ذكر " بلنيوس " أن حمير من أكثر الشعوب العربية الجنوبية عددا

(1)- محمد يحي الحداد : المرجع السابق، ج1، ص، ص، 78،79.

(2)- Irafan Shahid,Op Cit, p 1

(3)- Ibid, p 1

(4)- Piliny, Op Cit, Vol VI, V104

وأن عاصمتهم مدينة " Saphar "[1]، ويقصد بذلك مدينة " ظفار " وعرفوا باسم " Hemer " عند الحبش[2].

ويذكر مؤلف كتاب " الطواف حول البحر الاريتري " أن الحميريين كانوا يحكمون في أيامه منطقة واسعة من سواحل البحر الأحمر وساحل المحيط الهندي حتى حضرموت، كما كانوا يمتلكون ساحل عيزانا " Azanai " في افريقيا أي قسما من الساحل الشرقي وكان عليهم ملك يسمى "كرب إيل " عاصمته مدينة " ظفار "[3].

لقد اتفق المؤرخون على أن عصر " ملوك سبأ وذي ريدان " والعصر التالي له المعروف بعصر " ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت " هما العصران اللذان برز فيهما الحميريون على مسرح الاحداث الاولى والثانية.

### أ- الدولة الحميرية الأولى: (ملوك سبأ وذي ريدان): 115 ق.م – 300 م:

لقد اختلفت نشأة هذه الدولة عن نشأة غيرها من الدول في أنها لم تبدأ بداية زاهرة، وإنما قامت خلال ظروف مضطربة استمرت أكثر من قرن ونصف القرن بين عام 90 م و265 م [4]، لذلك جاءت نصوصها متضاربة، رغم ذلك فإن الباحثين عثروا على كتابات مؤرخة سنة 1094 م، أرخت بالتقويم العربي الجنوبي الذي يرجع عهده إلى السنة 115 ق. م أو109 ق.م عثر عليها في أرض حمير.

وهي سنة نشوء حكومة حمير وظهورها إلى الوجود بصورة فعلية، ولهذا صار الحميريون يؤرخون بها، لما لها من أهمية في الناحية السياسية عندهم[5]. وقد كان الحميريون يغزون أرض حضرموت، ويتحرشون بطرق تجارتها، ولا سيما طريق شبوة " قنا " المؤدية إلى الدول الجنوبية والساحل، لذلك اضطرت حضرموت إلى إقامة سور يسد الوادي " وادي

---

(1)- Piliny, Op Cit, volv, v104

(2)- جواد علي : **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص 501، أنظر :بتوسع أكثر :
E. Littman, **Deutsche Aksum Expedition**, Vol IV,Berlin

(3)- Schoff, Op Cit,P 147

(4)- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ط2، مطبعة جامعة القاهرة، 1962 م ، ص 116.

(5)- جواد علي : المرجع السابق، ج2، ص 518.

النبا "، بينما وضع حراس أشداء على الباب الرئيس، واكتسح الحميريون أملاك جيرلنهم منها مملكة " رعين " أضافوها إلى حكومة ريدان وفي أرض " رعين " أقام الحميريون دولتهم حيث اتخذوا ظفار عاصمة لهم[1]. ويرجح عدد من الباحثين أن ذلك كان في عهد الملك " ال شرح يحضب " وينتهي هذا العهد في أواخر القرن الثالث الميلادي[2].

**ب- الدولة الحميرية الثانية:**

**( ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ): 300 م- 525 م:**

في هذا العهد اتسعت رقعة الدولة في حكم " شهر يهر عش " في حوالي 280 م -300 م [3]، وصار لقب الدولة هو" مملكة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات "[4]، وعرف ملوك هذه الفترة بالتبابعة، ولقد نسب الإخباريون إلى هذا الملك فتوحات كثيرة واسعة حتى آسيا، وقالوا أنه التبع الأكبر[*]. المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ [5] ﴿٣٧﴾. ﴾

ولا شك أن ما رواه العرب عن فتوحاته لا يعدو قصصا خرافية، والثابت أنه انتصر على مناطق كثيرة من العرب الجنوبية، وأنه تغلب على قبائل تهامة التي تسكن على ساحل البحر الأحمر الجنوبي[6].

ولعل هذه الانتصارات التي حققها أحد ملوك هذه الدولة في عصر ظهور الأحباش، وتطلعهم إلى التوسع في جنوب شبه الجزيرة العربية سببا دعا هؤلاء الإخباريين إلى المبالغة في تعظيم " شهريهرعش " ونسبت هذه الأعمال الخارقة إليه، والمؤكد أن هذا الملك الحميري

---

[1]-جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص، ص، 518،519.

[2]- نفسه

[3]- أحمد علي الناصري، الروم والمشرق العربي، دون طبعة، مركز النشر لجامعة القاهرة، 1993 م، ص 182.

[4]- محمد بيومي مهران، **تاريخ العرب القديم**، المرجع السابق، ص 344.

[*]- اختلف الرواة والمؤرخون حول (تبع) مصدرا، واصطلاحا يطلق على من يملك اليمن كلها فيتبعه الناس فيعد ملكا، أنظر صلاح البكري، المرجع السابق، ص، ص،128، 129.

[5]- القرآن الكريم، سورة الدخان، الآية .37.

[6]- أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 181.

نجح في القضاء على التفكك والانقسام في جنوب شبه الجزيرة العربية وإعادة توحيده تحت تاجه.

لقد تمتعت الدولة الحميرية في دورها الاول بالاستقرار والازدهار الاقتصادي، وتعد أطول الدول اليمنية القديمة عمرا إذ قدّر لها أن تدوم ستة قرون وأربعين سنة تقريبا، مما جعلها تشهد التغييرات المختلفة في صراع القوى، كذلك شرعت الدولة الحميرية في بسط سيطرتها على كافة أرجاء الجنوب اليمني، وامتدّ نفوذها إلى خارجها نحو الحبشة، حيث أنشئوا هناك مستوطنات.[1]

إلا أن الوهن والضعف كان قد دبّ في الدولة خلال الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، فكان عليها أن تواجه خطر وجود الرومان في مصر، بعد أن أصبحوا قريبين منها، فتعرضت لأطماع روما التي أخذت تمدّ نفوذها إلى المناطق المجاورة، لا سيما وأن الرومان قد تضايقوا من الدولة الحميرية، ومن قوتها وسيطرتها على التجارة واحتكارها لمواد التوابل والترف[2].

وهكذا شهدت الدولة الحميرية في هذه المرحلة التهام الرومان للممالك الهلليستية في الشام ومصر، بل دخلت مع الرومان في عهد الامبراطور أغسطس عندما أمر واليه على مصر إيليوس جاللوس بالقيام بحملة على جنوب شبه الجزيرة العربية عام 25 ق.م[3] .

وما إن أشرفت المرحلة الأولى الحميرية على الانتهاء حتى بدأت قوة اليمن في الانحدار وخاصة أمام استمرار مزاحمة الرومان لهم في النشاط، وعجزهم عن مقاومة هذه المنافسة ذلك أن الرومان قد أفادوا إفادة كبرى من تجارب البطالمة في هذا الميدان، حيث استطاعوا القضاء على احتكار عرب الجنوب لتجارة الشرق، مما قاد الحميريين إلى الانهيار الاقتصادي والسياسي وكذلك كان للتسرب الحبشي منذ القرن الثاني قبل الميلاد أثناء الصراع السبئي الهمداني، وحصولهم على موطن قدم لهم في بعض المدن الساحلية أن أضعفت

---

[1]-أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص، ص، 181، 182 .

[2]- Philby, Op Cit,P 111

[3]- فيليب حتى، المرجع السابق، ص 56.

من الدور الحميري كثيرا (300-525 م)، ورغم إخراج الأحباش سنة 378 م، وعودة الحكم إلى الحميريين، إلا أن الضعف قد انتاب دولتهم[1].

ويطلق الإخباريون العرب على ملوك هذه المرحلة لقب ( التبابعة ) كم ذكرت سابقا، طبعا هناك دويلات لم أشأ أن أتعرض لها لضعف دورها على الساحة السياسية اليمنية من جهة، ولعدم تأكد المؤرخين من حقائقها التاريخية، أما الفترة اللاحقة فإنها تتميز بالصراع اليمني الحبشي، وتدخل القوى الكبرى تحت الغطاء الديني، والهدف الأساسي اقتصادي ومما يمكن ملاحظته أن عصور الممالك اليمنية متشابكة ومتداخلة غير واضحة العهود، قد يعود ذلك إلى جهلنا بالقسم الأكبر من حقيقة ذلك التاريخ ولوجود عدة ممالك في عصر هذا التداخل ربما نتج عن قلة البحوث الأثرية حيث لازالت آثار عديدة تكمن تحت الرمال.

وبعد سقوط آخر الممالك اليمنية ( الحمير ) على يد الأحباش عام 525 م[2]، استمر الوضع على ذلك تقريبا، وازداد انقساما بغياب السلطة المركزية الواحدة بعد طرد الأحباش، وحلول الفرس محلهم وكان سيف بن ذي يزن قد استنجد بهم عام 575 م، حيث اقتصر حكمهم العملي على صنعاء وما جاورها، أما بقية المناطق فقد انتقلت بحكم نفسها بواسطة منشآتها وبقايا الأسر المالكة ( الذين لقبوا أنفسهم بملوك وما هم بملوك ) واستمر الوضع كذلك حتى دخول الاسلام إلى اليمن في السنوات الأولى للهجرة، ووسط هذه الأوضاع الغير مستقرة، كيف تمكنت الممالك -ولوإلى حين- من تثبيت السلطة والحكم؟، ومن خلا ل بعض النقوش تبين أن الملوك قد لجئوا إلى أسباب منها:

---

[1]- أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 181.

[2]- احمد فخري، المرجع السابق، ص، ص، 142، 143.

أنظر النقوش الموسومة بـ : 104، 102، 390. Mahram

وكذلك مجموعة جام : 607، 601. Jamme

- أنظر مجلة: Le Museon, 3-4, 1955, P 301

وكذلك أنظر نص في : Rep. Epig : 4688

– ضرب قبيلة بأخرى كما حدث مثلا في عهد الملك " وتريها من "[1]، 5 ق.م– 10م.

– الاستعانة بقبائل بدوية " الأعراب " لضرب وقمع قبائل فلاحيه مستقرة[2].

– أخذ رهائن من ملوك وأسر أو قبائل مهزومة كما حدث مثلا في عهد " الشرح يحضب " حوالي 35 ق.م – 15 ق.م، و" أبرهة الحبشي "[3]، 525 م– 575 م.

– محاولة استمالة القبائل بالمال، كما حدث في عهد الملك " ذونواس " حوالي 525 م آخر ملوك حمير، وكما حدث في الصراع على اللقب الملكي في مأرب بين السبئيين والريدانيين حوالي القرن الأول للميلاد.

## 2– بنية الدولة اليمنية القديمة:

### أ– نظام الحكم ومركز الملك:

في نظام الحكم في اليمن القديم هو نظام ملكي وراثي، يخلف الملك ابنه أو أحد إخوته في الغالب، واعتبر الملك ممثل الآلهة على الأرض ومن هنا اعتبر المرجع الأعلى للدولة، وهو وحده الذي يملك حق اصدار القوانين، وتعيين الموظفين والقادة، وهذا الملك له بلاط، ضم أقرب الرجال وأخلصهم إلي[4].

وإضافة إلى مسؤولياتهم كرأس للدولة، كان الملوك يشاركون في النشاط الاقتصادي من خلال أملاكهم العقارية الخاصة، ومن خلال نشاطهم التجاري، ورغم هذه المكانة العالية للملوك إلا أنهم لم يحكموا حكما فرديا مطلقا، كما كان الحال في ممالك مجاورة كفارس ومصر بل وجدت إلى جانبهم هيئات أو مجالس استشارية تساعدهم في اتخاذ القرارات واصدار التشريعات.[5]

---

(1)- Mahram, Op Cit, P310,312.

(2)– جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص 418.

(3)– الوثيقة القانونية التي أصدرها الملك " يدع أل ذبيان بن شهر " تعد أهم القوانين الجزائية المعمول بها في مملكة قتبان.

(4)– جواد العلي، **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص 4 .

(5)– نفسه، ص4.

ومن قراءة النقوش، منها النقش القتباني الموسوم بـ " جلازر 166 " تمّ معرفة وجود عدد من المجالس الاستشارية مثل المجلس القبلي، ووجد مجلس استشاري للدولة يتكون من الملك وأشرف أصحاب الأملاك، وربما أصحاب الأملاك والموظفين مهنته اصدار القوانين باسم الملك والإشراف على تطبيق القوانين على الأراضي وإقراره[1].

وأشهر هذه المجالس كانت تسمى " مسود "، ( مزود ) وقد وجدت هذه ( المساود ) على مستوى كل المدن والقبائل، ومن مهامها النظر في المشكلات التي تتعرض لها الدولة في النظر في القضايا الهامة، مثل الضرائب والأرض[2]، فإن أراد الملك إصدار تشريع أحاله إلى هذا المجلس لإبداء النظر، ولذلك عند إصدار التشريع كان يذكر اسم المسود في النص للإشارة على موافقته وعودة الملك إليه، غير أن دعوة الملوك إلى هذه المجالس لم تكن في كل الحالات، بل كانت فقط عند اتخاذ قرارات خطيرة مثل مسائل الأرض والضرائب والحروب والصلح[3].

ويلاحظ من خلال عدة نقوش أن الملك هو الذي كان يدعو الأعضاء إلى الاجتماع وأن جميع القرارات كانت تصدر إجابة لرغبة ملكية، ومتفقة وتوجيهاته الخاصة[4].

وقد عرف أعضاء المسود بـ " أسود " أي أسياد بمعنى كبراء القوم[5]، وهوما كان حيث أن هذا المسود –أو غيره من المجالس– لم يكن يضم ممثلين من كل قطاعات المواطنين، وإنما يضم علية القوم –وبدون انتخاب– من رجال الدين وسادات المدن، ورؤساء القبائل، وكبراء الموظفين وأصحاب الأرض والمال[6]، وهكذا –حسب عدد من الباحثين– فإن هذا النظام يوصف بنظام حكم تمثيلي أو استشاري وإن كان غير شامل لكل فئات السكان ويرجح أن يكون سبب تواجد هذا النظام يعود إلى كون القبيلة هي الوحدة

---

(1)– رودوكناكيس، المرجع السابق، ص، ص، 134– 135.

(2)– جواد علي : **المفصل** المرجع السابق، ج 5، ص 226– 227.
وكذلك أنظر : Rep Epig, 2771, 3458,3562

(3)– Halevy, Op Cit, PP 192,199

(4)– قائد الشرجبي،(القرية والدولة)، المرجع السابق، ص 137.

(5)– رودوكناكيس، المرجع السابق، ص 134.

(6)– قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 138. وكذلك أنظر : Rep Epig, 2771, 2774

الاساسية للتكوين الاجتماعي، وهنا يشير الباحث السوفيتي " لوندن " إلى اختلاف بنية الدولة السبئية كما يسمى بدولة الاستبداد الشرقي، ذلك أن ملوك سبأ لم يكونوا مستبدين يملكون سلطة غير محدودة، ذلك لأن سلطتهم كانت محدودة لمجلس الشيوخ[1].

وبحلول القرن الثالث الميلادي أخذت أهمية " المسود " في التقلص حيث انتهى في ذلك القرن لعدة أسباب:

- إنفراد الملوك بالحكم.
- تنامي قوة المشايخ مع ضعف الملوك أو حاجتهم إليهم، ونزوع المشايخ للاستقلال بمناطقهم.
- الغزوات الحبشية لاحتلال اليمن وانشغال الملوك والمشايخ لمفاوضتها.
- تنامي قوة البدو( الأعراب ) الذين كانوا في بداية الأمر مرتزقة يستعان بهم في الحروب، ثم أصبحوا فيما بعد جزءا من اللقب الملكي[2].

والخلاصة أن نظام حكم اليمن القديم تمثل في الملك والبلاط والجماعات الرئيسية ذات التأثير والنفوذ أمثال رجال الدين، وكبار الموظفين، والقادة العسكريين، ومشايخ القبائل وسادات المدن وأصحاب الأملاك والأموال.

## 3- النظام الإداري للدولة اليمنية القديمة:

### أ- التقسيم الإداري:

إن المصادر التاريخية في هذا الموضوع نادرة، وما يمكن ذكره أن الملوك يعيّنون موظفين كبار ( أشبه بالولاة – المحافظين )على مقاطعات الدولة يقومون بأعمال الملوك

---

[1]- لوندن،" **تطور نظام الدولة السبئية**"، بدون طبعة، تر: البكر السقاف، مجلة اليمن الجديد، العدد الاول، صنعاء، يناير 1987 م، ص 41.

[2]- قائد الشرجي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 138، وكذلك أنظر: جواد علي، ( المفصل)، المرجع السابق، ج 5، ص، ص، 230، 231.

فيها، ويبدوا أن هذه المقاطعات كانت مقسمة قبليا، حيث يعيّن ممثل للملك على قبيلة معينة، وهكذا كما كان يعيّن أمثالهم على المدن[1].

أما عن مسألة مركزية الحكم فإن عددا من الباحثين يرى صعوبة تأكيده أو نفيه، إلا أن وظائف الدولة خاصة الاقتصادية منها توحي بوجود المركزية، وإن كانت مهددة بالاستمرار من طرف القبائل الميالة نحو الاستقلال.[2]

**ب- الجهاز الإداري:**

أمام صعوبة إيجاد مصادر تاريخية توضح هذا الجهاز فإنه من الصعوبة التفصيل في معرفة الجهاز الإداري لدول اليمن القديم، رغم ذلك فالواضح من خلال عدة نقوش أن الملك يعيّن موظفي الدولة، قادتها العسكريين، وعلى وجه الخصوص جباة الضرائب، وإدارة الأقاليم كما في معين، حيث كان أصحاب الأملاك من رؤساء العشائر من كبار الموظفين[3].

أما دواوين الدولة فلم تكن هناك مقرا لها فقد مارس الملوك حكمهم من قصورهم التي كانت مقر سكناهم وحكمهم، وكذلك الأمر بالنسبة لمسؤولي الأقاليم الإدارية[4].

أما الجهاز الإداري فقد تشكل من جناحين اثنين: عسكري ومدني، فالجناح العسكري مهمته الدفاع عن الدولة وتوسيع رقعتها، والقضاء على الفتن والتمرد، ومن الدرجات العسكرية المرموقة التي يعتقد أنها كانت تعني ضابطا كبيرا لفظة " مفتوي "، وإن كان شغلها أحيانا كاهن أو شيخ قبلي[5]، أما عن كيفية بناء الجيش فإن المصادر التاريخية المتوفرة لم تذكر ذلك.

---

[1]- قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 138، وكذلك أنظر: جواد علي، ( المفصل)، المرجع السابق، ج 5، ص، ص، 139،138.

[2]- نفسه، المرجع السابق ص 139.

[3]- رودوكناكيس: المرجع السابق، ج5، ص 141.

[4]- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج5، ص، ص، 271،275.

[5]- لوندن، المرجع السابق، ص 63.

ويبدو أن جزءا على الأقل من هذا الجيش منقطعا للجندية بحكم الحاجة إلى قوة دائمة للدفاع عن العرش والعاصمة وسط ظروف القلاقل وعدم الاستقرار، وتحتمل أن الجزء الأكبر من هذا الجيش كان يجمع من القبائل الموالية مع الملك.

## ج- الجهاز المدني:

أما الجناح المدني فإن مهمته تسيير الأمور المدنية، وقد كان على ما يبدو كثيرة نظرا لتوسع وظائف الدولة، والواضح أنه من الصعب حتى وضع ترتيب تنازلي بأهم المناصب والوظائف ومع ذلك هذه قائمة بمن عرف من موظفي الدولة[1]. وذلك حسب عدد من المصادر والدراسات الحديثة.

**1- أكبرو، أكابرات (كبير، كبراء)**: يبدو أن منصب (الكبير) كان من أعلى المناصب وأهمها في الدولة اليمنية القديمة، وهو صاحب مهام كثيرة، ومتشابهة، فهو قد يكون نائبا أو ممثلا للملك على مقاطعة أوقبيلة أوعلى مدينة ( ربما كالوالي عندنا، والمحافظ في اليمن ) وقد يساعد الملك في أي أعمال تطلب منه[2].

**2- الأقيان ( جمع قين ) يرأسهم " كبير "**: والأقيان مثل الكبراء تعدّدت اختصاصاتهم أيضا فهم قد يقومون بأيّة أعمال يطلبها منهم الملك مثل: إدارة مدينة أو معبد أو قيادة الجيوش أو تهيئة ما يحتاج إليه الجيش، وعلى العموم يبدو أن أكثر أعمالهم كانت تتعلق بأمور المالية للدولة والمعبد، وكان هؤلاء الأقيان من أصحاب النفوذ والأملاك[3].

**3- الأقيال (جمع قيل)**:في الأصل هو المتحدث باسم قوم أو جماعة من فروع قبيلة كأن يكون رئيس حي أو عشيرة ( رؤساء قبائل )، وهم من أصحاب الأملاك، وقد ازداد نفوذ هؤلاء بعد تدهور الحكم المركزي في أواخر سبأ.[4]

---

[1]- رودوكناكيس: المرجع السابق، ص، ص، 138،141.

[2]- نفسه، ص 141، وكذلك أنظر: جواد علي، **المفصل**، ج 4، ص 264.

[3]- : ابن قوتيبة الدينوري، **عيون الاخبار**، ج1،بدون طبعة، تح: عبد المنعم عامر، القاهرة، 1960 م، ص 2.

[4]-عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص، ص 44، 45، وكذلك انظر : الهمداني، صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص 200 .

**4- موظف الري:** استنادا إلى النقوش المعينية فإنه كانت توجد وظيفة تسمى " حاني نفسي "كان صاحبها حسب ما يبدو يقوم بمهمّة النظر في توزيع الماء، وفي حال المنازعات الناشئة عنه[1]، وكذلك الإشراف على الأبنية، والأعمال العامة باسم الملك، ويظهر أن اثنين من الموظفين -ربما كان كاتبين- كانا يساعدانه في عمله.

**5- موظفون مختصون بالنظر في أملاك الملوك وأموالهم:** جاء في النقوش السبئية المتأخرة ذكر هؤلاء بلفظة " ملوطن ملك " و" ملوطن " في المسند التي قد تعني وظيفة تنظر في شؤون أملاك الملك، أما في حضرموت فقد ذكر مصطلح " إذن قني " والذي قد يعني المأذون أي المشرف بإدارة مقتنيات الملك.[2]

**6- موظفو جباية الضرائب:** لقد ورد لفظ " نحل " إشارة للذي يتولى جباية الضرائب والإشراف على الموظفين القائمين بالجباية، وأما الوظيفة فيقال لها " نحلت " و" نحل " في المعجم السبئي م معانيها قائد جند مرتزقة ومستخدم.[3]

وهناك جماعة خاصة من الموظفين الجباة تسمى " ساولت " مهمتها جمع حصة الحكومة باسم الجيش من الحبوب والضريبة نفسها تسمى " ساولت ".[4]

**7- مدراء وحدات إدارية أوأراضي:** ورد لفظ " سمخض " إشارة إلى " مدير " إدارة وحدة إدارية أو بالتحديد مدير أرض، وواجبه الإشراف على الأرض التي عيّن عليها.[5]

**8- موظفو السخرة :** ورد لفظ " حشرو" التي قد تعني مجموعة موظفين مهمتهم" الحشر " للدولة، والحشر قد يكون موظفا يجبي الضرائب أو يجمع الحشور أي الناس إما للحروب أو للقيام بأعمال سخرة إجبارية، علما بأن لفظ " حشرو" تعني في المعجم السبئي " فقراء الناس "[6].

---

[1]- عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص، ص 44، 45، وكذلك أنظر: قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق،ص 144.

[2]- موندون، المرجع السابق، ص 63.

[3]- محمد الغول وآخرون، **المعجم السبئي**، ج 4، مركز البحوث والدراسات اليمن، صنعاء، 1985، ص 20.

[4]- نفسه، وكذا، قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 75.

[5]- محمد الغول، المرجع السابق، ص 15.

[6]- نفسه، ص 20.

**9- موظفو المعابد:** لقد ورد مصطلح " أربى " (جمع ربى) وهم جماعة من الموظفين يشرفون على إدارة المعابد والإشراف على الشؤون المالية للمعبد مثل جمع الأعشار والنذور التي تقدم إلى المعابد، وهؤلاء أقرب إلى موظفي هيآت الأوقاف في البلاد الاسلامية.[1]

## 4- الموارد المالية للدولة اليمنية القديمة:

إنه في تلك المرحلة لم يكن معتاد التمييز بين الخزينة العامة للدولة وبين الخزينة الخاصة للملك، فكل ما يجبى من ضرائب ورسوم وغيرها يعود إلى الملك باعتباره رأس الدولة وممثل الآلهة على الأرض، فأموال الدولة هي أموال ينفقها كما يشاء[2]، وعلى كل يمكن إجمال موارد الدولة فيما يلي[3]:

- الأرباح والمداخيل الواردة من استغلال أراضي الدولة وأملاك الملوك.
- تجارة الملوك.
- الضرائب والرسوم المفروضة على الزراعة والتجارة وبعض الصناعات مثل المغازل ودور النسيج، وكان يفرض عند الحدود رسم لمرور القوافل، وتفرض ضريبة العشر في الأسواق على المبيعات، وتوسعت حكومة قتبان في العشر ففرضتها على كل وارد أو ربح سواء من البيع أو الشراء من الاتجار والإرث والزرع وكل عمل آخر، كما يبين النقش الموسوم بـ ( جلازر )[4].

**أ- الغنائم والجزية:** ذلك أنه بحكم الصراع السياسي بين الممالك أو بين الدولة وبين القبائل المتمردة، كان الطرف المنتصر يستولي على ممتلكات الطرف المنهزم (من أراضي وحيوانات وأسرى يعاملون معاملة العبيد ..) كغنائم حرب، كما كان يلجأ أحيانا إلى فرض الجزية على الطرف المنهزم، وقد ظهرت مثل هذه الممارسات في العديد

---

[1]- قائد الشرجي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 75، وكذا : محمد الغول، المرجع السابق، ص، ص 15- 20 .

[2]- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج 5، ص 209.

[3]- نفسه، ج 2، ص 110، 111، 293، ج 5، ص، ص 315، 399.

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 477.

أنظر: ترجمة وشرح لهذا النقش : محمد عبد القادر بافقيه : **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص، ص 65- 78.

من النقوش، لعل أهمها وأشهرها نقش الملك السبئي "كرب أيل وتر " المشهور بنقش صرواح أو النصر.[1]

**ب- إيرادات استغلال المناجم:** ( فضّة، ذهب، .....إلخ )، أو أي مشروع آخر، كما كان الحال في مملكة معين مثلا.

**ج- تأجير السدود والمياه:** كما جاء في نقش صرواح المذكور، هذه الموارد كانت أجزاء منها تستخدم كمرتبات للقادة والموظفين، ولتمويل الجيوش ولإقامة المشروعات العامة.[2]

## 5- وظائف الدول اليمنية القديمة:

إنه في ظل الظروف الطبيعية والجغرافية لليمن المذكورة سابقا، وكذا نظرا لاعتماد دول اليمن القديم على الزراعة والتجارة، فإنه يتوقع أن تقوم الدولة بوظائف معينة تتماشى وظروف المجتمع وتتركز أساسا في قطاع الزراعة وتنظيم التجارة وحمايتها، وفي لإقامة المشروعات العامة، واستنادا إلى عدة مصادر ودراسات حديثة يمكن ذكر وظائف الدول اليمنية القديمة هي[3]:

### أ- الوظائف في المجال الزراعي:

أولت الدول اليمنية القديمة اهتماما خاصة لمسألة الري من حيث إقامة مشروعات كبرى، وتعيين موظفين يتولون النظر في توزيع المياه وحل النزاعات المتعلقة بها، وبما أن البلاد تفتقر إلى الأنهار الدائمة الجريان فقد ابتكر اليمنيون فكرة إنشاء السدود كحجز سيول ومياه الأمطار، وقد أنشأت الدول اليمنية العديد من السدود الكبيرة ( سد مأرب العظيم )، والصغيرة في مناطق كثيرة من اليمن.[4]

---

[1]- قائد شرجي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 143.

[2]- عبد القادر بافقيه، (تاريخ اليمن القديم)، مرجع سابق، ص، ص، 65، 68 .

[3]- الهمداني، (صفة جزيرة العرب)، مرجع سابق، ص 200.

[4]- جواد علي، **المفصل**، المرجع السابق، ج2، ص، ص، ص 280، 288، 296.

إضافة إلى السدود أنشأت وحفرت قنوات وسواقي للري لاستغلال مياه السدود، ومياه الأمطار، ثم اللجوء إلى وسائل أخرى لحفظ مياه الأمطار مثل إقامة الصهاريج الضخمة والأحواض، كذلك لجأت إلى استصلاح الأراضي الزراعية في بعض الفترات، كما حدث في بعض عهود المكاربة أو في عهد الملك " كرب ايل وتر" حوالي 450 ق.م -410 ق.م.[1]

ولقد كان من نتائج ازدهار الزراعة خاصة في فترات الاستقرار السياسي حيث تحولت بعض الوديان المجاورة للصحراء الشرقية إلى جنان. وذكر هذا في القرآن الكريم[2].

والملاحظ أنه للمحافظة على استمرار الانتاج والفائض الزراعيين كانت الدولة تتدخل في منهج الهجرة من الريف إلى المدينة أوفي منع هروب المزارعين من مزارعهم من غير موافقة أصحاب الأرض.[3]

## ب- الوظائف في مجال التجارة:

عملت الدولة على تنظيم التجارة بإصدار التشريعات الخاصة بها، ونشرها مبينة كيفية البيع والشراء، والأسعار والأماكن التي كانت تمارس فيها ومقدر الرسوم عليها، وضرورة التقيد بها.....إلخ، إلى جانب ذلك عملت على شق الطرقات ( منها أنفاق في الجبال) لتسهيل مرور القوافل، كما عملت على حماية القوافل بواسطة جنودها[4].

## ج- الوظائف في مجال الأعمال العامة الأخرى:

كان من مهام الدولة إنشاء القلاع والمعابد وتحصين وتسوية المدن وبناء الجسور، وإقامة المخازن لحفظ حصص الدولة من الضرائب العينية، وشق الطرقات وتحسينها وكذلك مقاومة الفيضانات الناجمة عن السيول وحماية المدن والناس منها[5].

---

[1]- عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص 44.

[2]- القرآن الكريم، سورة سبأ.

[3]- قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص، ص 141، 144.

[4]- نفسه، ص 144، وكذا أنظر : عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص 170

[5]- قائد الشرجبي، **القرية والدولة**، المرجع السابق، ص 144.

ولقد كانت الدولة تقوم بتنفيذ هذه الأعمال بتكليف الملك شخصا (كبير أوقين أو مفتوي) للإشراف والتجهيز والتنفيذ، ويقوم هذا الشخص بطلب الرجال العاملين من رؤساء القبائل والعشائر والقرى[1]، ويرجح أن يكونوا من نفس المنطقة التي ينفذ فيها المشروع، وتتكفل الدولة بالإنفاق على الأعمال من أموالها، وبتقديم المواد الغذائية للرجال العاملين طيلة فترة التنفيذ، هؤلاء الرجال إما أنهم يساقون إلى العمل سخرة أو أنهم يتطوعون مع استخدام الجيش أحيانا، وهذه بعض المعلومات المستقاة من بعض النقوش[2].

**د- الوظائف في مجال النقش:**

**1- في النقش الموسوم بـ ( جام 651):**

حيث جاء النقش الموسوم بـ: ( جام 651 )[3] يسجل أحد " مفتوي " ( ضابط عسكري كبير ) أن الملك (شهر يهر عش ) حوالي 275 م- 300 م، ملك سبأ وذي ريدان ( حمير )، يذكر أنه ذهب بأمر الملك ومن كان معه، ورجال عشيرته ومن أتباعه ومحاربيه ومن انظم إليهم من أهل البيوتات، ومن سواد الناس إلى مأرب ليحميها من سقوط الأمطار، وكافح وهو على رأس جيشه، ومن كان معه لبناء سور وحصون مأرب وفي إقامة حواجز، وسدود لحماية المدينة من السيول.

**2- أما عن النقش الموسوم جلازر 554:**

" جلازر 554 " كتب حوالي عام 456 م وصاحبه الملك " شرحبيل يعفر " الذي يذكر أنه أمر بإعادة ترميم سد مأرب بعد تصدعه، وحين تصدع مرة أخرى بعد عام أعاد بنائه من جديد مستعينا بحوالي 20 ألف رجل من حمير وقبائل حضرموت، إشتغلوا بحفر الأساس وقطع الحجارة من الجبال، وتنظيف مجاري الأودية ....إلخ، وذكر ما أنفقه وقدمه للعمال من طعام ولحوم وشراب.

---

[1]- أحمد فخري، المرجع السابق، ص 105.

[2]- محمد عبد القادر بافقيه، **تاريخ اليمن القديم**، المرجع السابق، ص، ص 168،170.

وكذلك : جواد علي، ( المفصل )، المرجع السابق، ج 2، ص، ص 545،546، 580 – 581.

[3]- Jamme (A), **a Saba comimsenipsions From quaryat** – ALFAW, WASHINGTON, 1993,P 61

### 3- النقش الموسوم بـ ( م 541):

( م 541) " أبرهة الحبشي "الذي كتب عام 542 م، فيذكر أنه بعد تصدّع سد مأرب أمر بتحضير مواد البناء والحجارة، وذهب لوضع أسس السد، وإنشائه مستعينا بحمير وجنوده الحبش، ولكن اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ليهيئوا لأنفسهم الطعام، وما يحتاجون إليه، وليريحهم مدة من هذا العمل الشاق الذي تبرموا منه، وليقضي بذلك على تذمر العشائر التي لم تتعود على مثل هذه الأعمال الشاقة وأرسلت إليه بعد ذلك الغلات والمواد اللازمة للبناء، ووصلت إليه جموع من العمال وأبناء العشائر فعاد إلى العمل بهمة حتى تم إعادة بناء السد، وذكر أبرهة في الأخير ما أنفقه من أموال، وما قدّمه إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من ولحوم وشراب.

ولأجل هذه المشاريع كان المزارعين يدفعون الضرائب للدولة أو المعبد كما في معين بشكل عمل عوض على الدفع عينا أو نقدا[1]، إضافة إلى إرغام " أسرى الحرب " على القيام بها، وذلك مثل ما جاء في نقش " صرواح " أو" النصر " الذي ذكر فيه الملك "كرب ايل وتر " أنه استخدم أسراه البالغين 73 ألف في تشييد مبانيه أو زرع الأراضي المملوكة له أو للمعابد[2] .

والملاحظ أن إقامة مثل هذه المشاريع لم تقتصر على الدولة وحدها، فإضافة إلى ما يقوم به المعبد، فإن القبائل كانت تشيد أعمالا عن طريق التعاون فيما بينهما تتطلب الحاجة إقامة أعمال كبيرة تحتاج إلة مال ورجال، ومن الأمثلة التي أثبتها النقوش ما يلي[3]:

#### أ- منجزات قبيلة " سخيم ":

أن جماعة من رؤساء القبائل قامت بأعمال عمرانية أو ساعدوا أتباعهم على القيام ببعض الأعمال العمرانية مثل بناء " مسود " (مزود)، وقام رجال سخيم بأعمال أخرى مثل فتح الطرق، وحفر القنوات، ومسايل للمياه يساعدهم عليها أباعهم، ومن القبائل الأخرى التي كانت نازلة عليهم.

---

[1]- جواد علي : **المفصل**، المرجع السابق، ج 5، ص 545.

[2]- احمد فخري: **اليمن ماضيها وحاضرها**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1957، ص 105.

[3]- جواد علي : **المفصل**، المرجع السابق، ج 2، ص 395- 413.

أن جماعة من " بني ألهان " و" عقرب " بنوا محفدا ( قصرا ) لهم ليكون محرما لأحد الآلهة، وذلك بمساعدة أصحاب أرضهم من بني " سخيم " سادة قبيلة " يرسم " ومن خلال ما سبق يتأكد الاهتمام المتزايد للدول اليمنية القديمة بالوظائف الاقتصادية للمجتمع اليمني ودوله.

# الفصل الرابع

## النظام السياسي في الحجاز ووسط الجزيرة

# محتويات الفصل

**المبحث الاول:** مكة أوضاعها السياسية

**المبحث الثاني:** التطور السياسي في الطائف ويثرب

**المبحث الثالث:** دولة كندة وتطورها السياسي

## المبحث الاول: مكة وأوضاعها السياسية

### 1- موقع مكة:

تقع مكة في منطقة الحجاز في وسط شبه الجزيرة العربية وهي بلد في واد غير ذي زرع، تشرف عليها جبال جرد، ليس بها ماء، غير ماء زمزم، ويختفي هذا الوادي خلف تلك الجبال، لدرجة أن أبنيته لا ترى للقادم إلى مكة، إلا إذا أطل عليها، مما سهل على المكيين الدفاع عنها، وتجري في وديان وشعاب مكة السيول بعد الأمطار والتي تهدد أبنيتها، والتي كثيرا ما أغرقت الكعبة وهدّمتها[1].

ويعود الفضل في بقاء مكة وبقاء أهلها بها إلى موقعها الجغرافي، فهي عقدة تتجمع بها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية تريد الشام أو القادمة من بلا الشام تريد العربية الجنوبية، والتي كانت لا بدّ أن تستريح في هذا المكان، ثمّ ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته، فاحتكر تجار مكة التجارة في العربية الغربية، وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام والعراق[2].

ومكة لم تكن لتساعد على الاستقرار لولا وجود بعض المياه الجوفية في باطن الأرض والتي يمكن الوصول إليها من خلال حفر الآبار، وباعتبار مناخها قاري أي شديد الحرارة في الصيف، قليل الأمطار في الشتاء، وقد وصفت أرض مكة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ [3]﴾،

---

[1]- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 332 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 6.

[3]- القرآن الكريم، سورة ابراهيم، الآية 37 .

وذلك أنّ كميات لأمطار التي تسقط فيها في بعض الأوقات لم تكن كافية لقيام زراعة منظمة[1] .

فالعوامل الجغرافية والمناخية لم تكن لتساعد على قيام مدينة مكة لولا توفر عاملي: التجارة والعبادة، التجارة باعتبار مكة تقع على طريق القوافل التي تصل بين اليمن والشام، أما العبادة فقد تمثلت في وجود بيت الله الحرام في مكة.

## 2- تأسيس مدينة مكة:

يزعم أهل الأخبار أن أول من أسس بيت الله الحرام آدم عليه السلام وذلك في قولهم: " لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة، قال : يا آدم إبن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء، تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي " [2]، ثم ما لبث هذا البيت أن اندثر، وأعاد بناءه ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل [3]، وللبيت الحرام فضل كبير على أهل مكة، وقد عرف البيت بالكعبة لأنها مكعبة على خلقة مكعب[*]، وقد ورد ذكر مكة بمسميات عديدة في القرآن الكريم منها في قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ [4]﴾ وفي قوله تعالى :﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 261.

[2]- عبد الله أحمد الأزرقي، **أخبار مك**ة،ط1، تح : عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، مكتبة الأسدي، الرياض، السعودية، 2003م، ص، 82 .

[3]- نفسه، ص 104 .

[*]- المكعب: في الهندسة هو المجسم الذي له ستة سطوح مربعة متساوية.

[4]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 96 .

وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ [1]﴾. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ [2]﴾.

كما جاء ذكره بمسميات أخرى مثل : البلد، البلد الأمين، البيت الحرام، أما عن أصل هذه التسميات فقد أورد الأخباريون تفاسير عديدة لها، من ذلك قولهم : إنما سمّيت مكة بـ " بكة " لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء جميعا، وقالوا : بكّة موضع البيت ومكة القرية ويقال إنما سميت " بكة " لتباك[*] الناس بأقدام قدام الكعبة، كما تسمى مكة " بالبيت العتيق " ذلك أن الله أعتقه من الجبابرة [3].

كما أوردوا أقولا أخرى لتسمية مكة من بينها :

سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول: لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المُكَاء[**] حول الكعبة[4]، ومنهم من يرى أن سبب هذه التسمية ترجع إلى موقع مكة حيث أنها تقع بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك، وهناك تفسير لغوي لأصل تسمية مكة، وعلى أساسه تكون مكة مشتقة من أمْتَكَ من قولهم: أمتك الفصيل ما في ضرع أمه، إذا مصّه مصّا شديدا، إذا جذب ما فيها جذبا شديدا فلم يبق فيها شيء ولما كانت مكة مكانا مقدّسا، فقد امتكت الناس من جميع المناطق[5] .

ولم يتم الحصول على اسم مكة من الكتابات الجاهلية، أما الموارد التاريخية المكتوبة باللغة الأعجمية، فقد جاء في كتاب بطليموس " الجغرافيا " مدينة دعيت ( مكربة ) ( مكربا ) Macoraba، وقد ذهب الباحثون إلى أن المدينة المذكورة هي مكة، ولفظه مكربة لفظة

---

[1]- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 62 .

[2]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 27 .

[*]- لتباك : رحم بعضهم بعضا، انظر :ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص 182.

[3]- النويوي، المرجع السابق، ج 1، ص، ص،290، 291 .

[**]- المُكَاء : هو نوع من الطيور يأوي إلى المنطقة، انظر : ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص

[4]- نفسه، ج 5، ص 181 .

[5]- نفسه، ص 182 .

عربية، أصابها بعض التحريف ليناسب النطق اليوناني، وأصل مكربة من الكلمة العربية " مقربة " وهي من التقريب، حيث كان رجال الدين يلقبون بمكرب أي مقرب، وقد عاش بطليموس في القرن الثاني الميلادي[1]، وقد أرجع أحدث الباحثين أن اسم مكة مشتقة من اللغة البابلية لأن " مكا " في هذه اللغة تعني البيت، وهو اسم الكعبة عند العرب[2] .

ويذكر أهل الأخبار أن إبراهيم عليه السلام خرج من بابل واتجه إلى الشام يدعو إلى عقيدة التوحيد، ثم انطلق مرتحلا إلى اليمن، فكانت اليمن في تلك الفترة تشهد قحطا وشدة غلاء، فارتحل إلى مصر، وذكروا إخدام ملك مصر هاجر لسارة زوجة ابراهيم [3]، ثم زواج ابراهيم عليه السلام من هاجر فحملت هذه الأخيرة بإسماعيل، وصدور الأمر من الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم بالقدوم مع زوجته هاجر وولده اسماعيل إلى الحجاز، وإسكانها في بطن مكة[4]وبعد ذلك نزول العماليق عليهما في بطن مكة، وتعلم اسماعيل العربية من هاتين القبيلتين ثم زواجه بامرأة من قبيلة جرهم اليمنية، وتكاثر نسل اسماعيل حتي ذهب النسابة العرب إلى أن جميع عرب الشمال العدنانيون يرجعون في نسبهم إلى اسماعيل عليه السلام[5].

ويكتنف الغموض أمر مكة منذ عهد اسماعيل عليه السلام، فقد كان هناك خلاف بين النسابة العرب في عدد الآباء بين اسماعيل وعدنان فقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال له : من أين له علم ذلك؟، فقيل له: فإلى اسماعيل، فأنكر ذلك أيضا، وقال: من يخبره به ؟[6]، ورغم هذا فإن أهل الأخبار يذكرون أن إسماعيل عليه السلام ولد له اثنى عشر ولدا ذكرا، وحينما بلغ اسماعيل ثلاثون سنة، أمر الله ابراهيم ببناء الكعبة، ولما قبض اسماعيل قام بالبيت بعده ابنه نابت، ثم غلبت جرهم ولد

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص،ص، 9، 10 .

[2]- جرجي زيدان، **العرب قبل الاسلام**، ط 2، مطبعة الهلال، مصر 1922 م، ص 256 .

[3]- ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 206 .

[4]- نفسه، ص، 211 .

[5]- عبد الله الأحمد الأزرقي، المرجع السابق، ص42

[6]- ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 663 .

اسماعيل، وكان ملكهم حارث بم مضاض هو أول من ولي البيت منهم، ثمّ غلبت خزاعة جرهم، وتولت ولاية البيت، وكان عليهم يومئذ عمروبن لحي[1]، وكان هذا الأخير حين غلبت خزاعة على البيت، ونفت جرهم من مكة، قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلة[2]، وبذلك فعمرو بن لحي غير دين ابراهيم وبدله، وبعث العرب على عبادة الأوثان.

وقد استعان عمرو بن لحي في تثبيت حكمه في مكة ببني كنانة وهي من القبائل العدنانية، ولما استبد الأمر لعمرو ومن جاء بعده بأمر مكة، تركوا إلى كنانة أمورا تخص مناسك الحج وشعائره، وكان لعمرو بن لحي أثر في تكوين مكة وفي انشاء معبدها، وتوسيع عبادته بين القبائل المجاورة لمكة، حتى أصبحت لهذه المدينة شأن عند القبائل العربية، وذلك باتيانه بأصنام نحتت نحتا جيدا وعلى رأسها الصنم " هبل "، ووضعها في البيت، وبذلك جلب أنظار أهل مكة والقبائل المجاورة نحوها فصارت تقبل عليها، وأصبح للبيت شهرة بين العرب[3].

## 3- مكة في عهد قصي:

ولد قصي في مكة وهو ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وكانت خزاعة مازالت على ولاية البيت، وهلك كلاب وترك ولدين هما قصي وزهرة مع أمهما فاطمة بنت عمرو فتزوج ربيعة بن حرام وهومن قبيلة قضاعة أمهما، وكان زهرة رجل بالغ، أمّا قصي فكان فطيما فاحتمل ربيعة زوجته وابنها فولدت فاطمة لربيعة رزاحا[4] وكان قصي ينسب إلى ربيعة بن حرام، فنازع رجلا من قضاعة يقال له رفيعا، فلما اشتد الأمر بينهما، قال رفيع: ألا تلتحق ببلدك وقومك ؟ فإنك لست منا، فرجع قصي إلى أمه فقال : من أبي ؟ فقالت أبوك ربيعة، فقال: لو كنت ابنه ما نفيت ؟ فقالت: أوقد قال هذا ؟ فو الله ما أحسن الجوار، ولأحفظ الحق

---

[1]- المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع السابق، ج 2، ص،ص، 38، 40 .

[2]- السهيلي، المرجع السابق، ص 102 .

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص، ص، 14، 15 .

[4]- عبد الله الأحمد الأزرقي، المرجع السابق، ص 170.

أنت والله يا بني أكرم منه نفسا وولدا ونسبا، وأشرف منزلا، أبوك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وقومك بمكة عند البيت الحرام، فما حوله، فقال: فو الله لا أقيم هنا أبدا[1]، فرجع إلى قومه في مكة، وقد عرف عن قصي أنه كان رجلا جليدا حازما بارعا، فخطب إلى حُلَيْل بن حبشية بن سلول الخزاعي ابنته حبّى، فأثبت حليل النسب، ورغب في الرجل فزوجه، وحليل يومئذ على الكعبة وأمور مكة [2]، ثم ما لبث قصي أن آلت إليه ولاية مكة، وقد ولدت له حبّى: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبدا، وكثر ماله وعظم شرفه، وهلك حليل [3]، وهناك العديد من الروايات التي أوردت خبر هذه الولاية منها:

أنه لما حضرت حليلا الوفاة، جعل ولاية البيت إلى ابنته زوج قصي، فقيل له أنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه، فجعل ولاية البيت إليها، وفتح الباب وغلقه لرجل من خزاعة، وهو غُبْشَان الخزاعي، فباعه إلى قصي ببعير وزق خمر[4].

أما الرواية الثانية: أن رزاح أخو قصي من أمه قد ساعده على تولي أمر البيت ذلك أن قصي قد رأى أنه أولى بالكعبة، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده، فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة فأجابوه، وطلب مساعدة أخيه رزاح فأجابه أيضا[5]، وخلاصة هذه الرواية أن قصيا استولى على مكة وحكمها بالقوة بينما تذهب الرواية الثالثة، أنّ حليلا أوصى بولاية البيت لقصي والقيام بأمر مكة من بعده، وذلك أنه حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر قال: أنت أولى بالكعبة والقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة [6].

---

[1]- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 50 .

[2]- عبد الله الأحمد الأزرقي، المرجع السابق، ص 171 .

[3]- ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 247 .

[4]- المسعودي، مروج الذهب، المرجع السابق، ج 2، ص 45 .

[5]- ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 248 .

[6]- الطبري، المرجع السابق، ج 2، ص 257 .

من خلال المقارنة بين هذه الرويات الثلاث يبدو أن قصيا قد تولى الحكم عن طريق وصية حليل إليه، فليس من المعقول أن يوصي بولاية البيت إلى ابنته وهي عاجزة عن القيام بأموره، وفي بعض الروايات أن غَبَشَان الخزاعي هو ولد حليل فكيف له أن يتجاوز ابنه ويعهد بالوصية إلى ابنته، وإذا كان غبشان ليس ابنه فكيف بحليل أن يتجاوز قصي زوج ابنته، اما قولهم أن قصي استولى على الحكم بالقوة، فكيف نفسر إذن جنوحه إلى التحكيم، حيث يذكر ابن كثير أن قصيّا قد استعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وإجلائهم عن البيت الحرام، وتسليمه إلى قصي فكان بينهم قتال كثير ودماء غزيرة، ثمّ تداعوا إلى التحكيم، فتحاكموا إلى يَعْمُر بن عوف، فحكم بأن قصي أولى بالبيت من خزاعة [1] أما عن المقاومة التي واجهت قصيا من طرف خزاعة فهذا أمر طبيعي، لأن هذه القبيلة ليس من السهل أن تتنازل عن هذا المكسب الذي احتفظت به لمدة سنوات عديدة.

## 4- الأعمال التي قام بها قصي:

لما استقام أمر قصي، وعشر على من دخل مكة من غير قريش، قام بتجميع أبناء قبيلته فدعى قصيّا مجمعا بجمعه قريشا، وبقصي سمّيت قريش قريشا، وكان يقال لهم قبل ذلك " بنوالنصر " [2]، ورتّب قريشا على منازلها في النسب بمكة على النحو التالي:

### قريش البطاح:

وهم الذين أنزلهم قصي بطحاء مكة، فانتشروا بين جبليها وهم : قبائل عبد مناف، وبني عبد الدار، وبني عبد العزى بن قصي وزهرة، ومخزوم، وتميم بن مرة، وجُمَحْ وسهم وعدي، وهم لعلقة الدم، وبنو عتيك بن عامر بن لؤي[3]، وهذه القبائل هي قلب قريش

---

[1]- ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 676 .

[2]- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 53 .

[3]- المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع السابق، ج 2، ص 76 .

وأشرافها، ومركز الثقل في مكة، بنوا البيوت واستقروا كالحضر، وانصرفوا إلى العمل التجاري وخدمة الكعبة، ملكوا الأرزاق والأملاك، فازدادت ثروتهم وعاشوا حياة مترفة[1].

**ب- قريش الظواهر:**

وهم الذين أنزلهم قصي في ظاهر مكة أي خارجها، وهم بنو محارب والحارث بن فهر وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر بن لؤي[2] ومعهم أخلاط من صعاليك العرب، والحلفاء، والموالي، والعبيد، فعاشوا في أطرافها حياة بدوية ولم يبلغوا درجة قريش البطاح في الاستقرار والغنى[3]، ويبدو أن مكة قد ضاقت بساكنيها على أيام قصي، فعمد إلى تقطيع الأشجار التي كانت حول الحرم، لتهيئة الأرض من أجل بناء مساكن جديدة وإسكان الناس فيها، وكان الناس قبل ذلك قد هابت تقطيع هذه الأشجار خوفا من العقاب، يقول ابن سعد: وضاق البلد وكان كثير من الشجر، فهابت قريش قطع ذلك في الحرم، فأمرهم قصي بقطعه وقال: إنما تقطعونه لمنازلكم وخططكم بهلة الله على من أراد فسادا، وقطع هو بيده وأعوانه فقطعت حينئذ قريش وسمّته مجمّعا، لما جمع من أمرها وتيمّنت به وبأمره، وشرفته قريش وملكته[4]، ونتج عن تولي قصي الحكم في مكة تنظيمات سياسية أحدثها من أجل تنظيم إدارة المدينة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي وأهمها:

1- **الملأ:** ويمثل المظهر الأول لتجلي سيطرة زعماء مكة السياسي، وتشكل من سادات مكة ووجوهها، وأشرافها، وأولي الأمر فيها، لم يكونوا كلهم أثرياء، اعتلوا هذا المنصب إما لذكائهم ورجاحة عقلهم وخبرتهم، أولحسبهم وشرفهم، ولا يمنع من وجود تنافس بينهم مع حرصهم على حماية مكتسباتهم، إنهم جماعة المحافظين لا يقبلون تجديدا ولا تطويرا[5] وكانت التقاليد العربية تفرض على شيخ القبيلة أن يتشاور مع رؤساء الملأ.

---

(1)- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 29 .

(2)- المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع السابق، ج 2، ص 76 .

(3)- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 30 .

(4)- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 52 .

(5)- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 31 .

**2- دار الندوة** : دار بناها قصي، كان يتم فيها التشاور مع رجال الملأ، ويتحدّثون فيها عن حروبهم وأمورهم، ويعقدون الألوية، ويزوجون من أراد التزويج[1]، وجعل قصي بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها[2]، ولا تخرج القوافل التجارية إلا منها ولا يقدمون إلا نزلوا فيها تشريفا لها[3]، وقد حصر قصي حق الدخول لهذه الدار إلا لمن بلغ الأربعين سنة للمشورة[4]، وقد أحدث قصي هذه الدّار ليُحكم زعامته على أهل مكة. ولبساطة المجتمع في مكة فإن الاجتماعات كانت تتم بصورة تلقائية وعند الحاجة، وكان الهدف من كل ذلك هو الوصول إلى قرارات الإجماع للخروج من الأزمات التي قد تطرأ على مجتمع مكة، وفي حال الإختلاف فإن الرجوع إلى قصي هو الفيصل، لإنّ أمره في قومه كالدين المتبع لا يعمل بغيره[5]، أما بعد وفاة قصي فلم يظهر زعيم في مكة يحظى بمثل هذه المكانة التي حظي بها قصي في قومه فرجال الملأ متناظرين في مكانتهم وحقوقهم ومن ثم كان من الضروري الحصول على موافقة الجميع على القرارات التي يراد لها التنفيذ والاحترام.

وقد بذل رجال الملأ المكيين جهودا كبيرة عند اتخاذ القرارات المهمة في المناقشات والمساومات من أجل الوصول إلى قرارات تحظى برضى الجميع، وقد نجحوا بصورة ملحوظة بسبب قدرتهم العالية على المناقشة والإقناع بسبب مزاولتهم لمهنة التجارة[6].

**3- الرفادة:** وهو مال يخرجه أهل قريش، وأمر قصي بانفاقه على طعام الحجاج وشرابهم فقال: يا معشر قريش:" إنكم جيران الله وسكان حرمه، والحجاج ضياف الله وزوار بيته، فترادفوا حتى تصنعوا لهم طعاما وشرابا في أيام الحج ينال منه من يحتاج إليه، فلو اتسع مالي لجميع ذلك لقمت فيه دونكم[7].

---

(1)- البلاذري، المرجع السابق، ج 1، ص 52 .

(2)- ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 257 .

(3)- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 52 .

(4)- عبد الله الأحمد الأزرقي، المرجع السابق، ص 176 .

(5)- ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 257 .

(6)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 271 .

(7)- البلاذري، المرجع السابق، ج 1، ص 52 .

إنّ هذه الوظيفة ستوطد العلاقات بين القبائل العربية وبين مكة، خاصة أن توفير الطعام للحجيج وفي بيئة جغرافية فقيرة من حيث الموارد الطبيعية ستجعل مكة تنعم بالأمن لها ولقوافلها التجارية التي ستمر بأراضي القبائل الزائرة، وإطعام الطعام هو فضيلة حميدة سترفع من شأن مكة بين القبائل العربية باعتبارها من مكارم الأخلاق.

**4- السقاية:** وهي توفير المياه للحجاج وقد فرضها قصي مع الرفادة، حيث كان يضع حيضا للماء من أدم فيسقي فيها بمكة ومنى وعرفة، فجرى بذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام[1].

**5- اللواء:** وهي وظيفة استحدثها قصي، واللواء هو الراية لا يمسكها إلا صاحب الجيش المسؤول عن قيادة الجند وقت الحرب[2].

وكان قصي قد تولى السقاية والرفادة والندوة واللواء بالإضافة إلى الحجابة وهذه الأخيرة تمّ فيها حراسة الكعبة وهي سدانتها وتولي حفظها، والاحتفاظ بمفاتيحها[3]، فلما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه إلى ابنه عبد الدار، وكان أكبر ولده، وإنما خصصه بها كلها لأن بقية إخوته كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم، فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد، فكانوا إخوته لا ينازعونه في الأمر لكن بعد أن هلك الإخوة، تنازع أبناؤهم في هذا الأمر واختلفوا اختلافا كبيرا وانقسمت بطون قريش إلى فرقتين، فرقة حالفت عبد الدار وفرقة حالفت عبد مناف، ولما كانت الأمور تسير إلى الحرب تداعى الناس إلى الصلح وأبرموا حلف المطيبين على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار[4].

---

(1)- ابن سعد، المرجع السابق، ج 1، ص 54 .

(2)- ابن هشام، المرجع السابق، ج 1، ص 271 .

(3)- ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 677 .

(4)- ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 679 .

كان هذا الحادث قد ترك أثره في المجتمع المكي، وخوفا من تجدده قام زعماء مكة باستحداث مناصب ووظائف جديدة من أجل خلق التوازن في هذا المجتمع وقطع الطريق أمام أي خلافات جديدة قد تؤدي إلى الحرب أو الانقسام من جديد هي:

– **العمارة** : فهو ألا يتكلم أحد في المجلس الحرام بهجر ولارفث، ولا يرفع فيه صوته، وكانت هذه الوظيفة في يد بني عبد المطلب[1].

– **الأشناق** : وهي جمع الديات وأموال المغارم وكانت في يد بني تميم[2].

– **القبه والأعنة**: فأما القبة فكانوا يضربونها لتجميع سلاح الجيش، أما الأعنة وهي قيادة خيل قريش في الحرب وكانت هذه الوظيفة في يد بني مخزوم[3].

– **السفارة**: وظيفتها الاتصال بالقبائل الأخرى في المنافرات والمفاوضات وهذه الوظيفة كانت في أيدي بني عدي[4].

– **الأيسار والحكومة**: أما الأيسار فهو الإستقسام بالأزلام والتي يضرب بها عند كبير الأصنام وهو هبل وكانت هذه الوظيفة في يد بني جمح، وأما الحكومة وهي وظيفة تفصل بين المنازعات والخصومات التي تخص الأموال المحجرة التي سموها لإلهتهم وكانت هذه الوظيفة في يد بني سهم[5].

– **العقاب والمشورة**: العقاب عي راية قريش، وكانت في يد بني أمية، أما المشورة فإن رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر إلا إذا عرضوه على صاحبه وكانت هذه الوظيفة في يد بني أسد[6].

مما تم عرضه نستطيع أن نقول أن مكة قد شكلت كيان سياسي مستقل بذاته، وذلك لحيازتها على جميع أركان دولة المدينة، فهي تتشكل من إقليم محدد هو مدنية مكة، وتمارس عليه

---

[1]– ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج 3، ص 115 .

[2]– نفسه، ص 114.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه.

[5]– ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج 3، ص 115 . .

[6]– نفسه، ص 115 .

سيادتها الفعلية، وتتكون من سلطة حاكمة تمثلت في رجال الملأ الذين يمارسون السيادة عن طريق الإدارة والحكم وفقا للنظام القبلي السائد آنذاك في الجزيرة العربية، ودون تدخل سلطة أجنبية، كما شكلت قبيلة قريش عنصر الشعب المستقر على هذا الإقليم .

وبرغم عدم وجود سلطة قضائية لفض النزاعات إلا أن السلطة الحاكمة في مكة استطاعت حل هذه النزاعات باللجوء إلى العرف القبلي، واستطاعت بذلك التمتع بالاستقرار خاصة منذ عهد قصي بن كلاب.

## المبحث الثاني: التطور السياسي في الطائف ويثرب

### 1- الطائف:

هي مدينة صغيرة متحضرة[1]، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من مكة، على ظهر جبل غزوان من جبال السّراة، وهي مرتفعة على سطح البحر بألف وثمانية وثلاثون مترا[2]، وواجهة السراة الشرقية تشرف على هضاب متفتحة على بلاد العربية الوسطى عن طريق أفجاج وشعب وأودية تنتهي إلى البحر، وقد سهلت هذه الشعب الاتصال بين القبائل الضاربة في الداخل والمدن التجارية بالحجاز[3] وبين الطائف وبين عرفة ووادي النعمان وفيه طريق الطائف المختصرة إلى مكة[4].

وكانت الطائف تسمّى قبل ذلك وجّا نسبة إلى وج بن عبد الحي من العماليق[5]، وقد أدّى موقع مدينة الطائف المرتفع على سطح البحر إلى اعتدال مناخها، ووقوعها على جبل غزوان وهو جبل مشهور بالبّرد، وربما جمد الماء في الشتاء لشدة برده[6]، والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية[7].

---

(1)- الحميري، المرجع السابق، ص 379 .

(2)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 296 .

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 321 .

(4)- الهمداني، **صفة الجزيرة العربية**، المرجع السابق، ص 233 .

(5)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 9 .

(6)- الحميري، المرجع السابق، ص 379 .

(7)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 9 .

أدى توفر المياه في الطائف إلى ظهور حياة زراعية، فمياهها عذبة وهواؤها معتدل وفواكهها كثيرة، وضياعها متصلة، وعنبها كثير جدا، وزبيبها معروف يتجهز به إلى جميع الجهات، وأكثر فواكه مكة من الطائف وبها تجار مياسير[1] وقد عثر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف الحديثة، وفي مواضع غير بعيدة عنها، وقد تبيّن أنّ بعضا منها بالنبطية، والبعض الآخر بالثمودية، وأن البعض الآخر بأبجدية القرآن الكريم، أي بقلم إسلامي[2].

وحسب ما يزعمه الاخباريون أن هذه المدينة عريقة في التاريخ حيث يرجعونها إلى فترة بعيدة عن الإسلام، فقد جاء في كتاباتهم أن الطائف كان يسكنها بنو مهلائيل بن قنيات قبل طوفان نوح ثم سكنها من بعدهم قوم عاد وثمود، وبعد هلاك هذه الأقوام سكن الطائف أقوام من أهل اليمن، فلم يزالوا يقيمون بها حتى أجلاهم العدنانيون، وكان آخر هؤلاء قبيلة ثقيف التي جاء الاسلام، وهي تسكن الطائف[3].

ويصعب الاعتماد والوثوق الكلي في روايات الاخباريين، إلا أنها أعطت صورة تؤكد عراقة هذه المدينة، وقدم نشأتها، وتتابع الأقوام التي سكنت فيها، ويرجع الاخباريون نسب قبيلة ثقيف إلى رجل يدعى قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفضة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان[4]، وروي أن اسم قسي كان ثقيفا إلا أنه دعي باسم قسي واشتهر به حتى غلب على اسمه الحقيقي لأنه قسا على رجل فقتله فسمي قسيا[5].

لكن هناك رواية أخرى تقول أن قسيا هو الاسم الأصلي له، وأنه كان مقيما بوادي القرى عند عجوز يهودية بعد هروبه، إثر قتله لأحد عمال ملوك اليمن، وكان يخدم تلك العجوز،

---

(1)- الحميري، المرجع السابق، ص 379 .

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 143 .

(3)- الهمذاني، صفة الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص 330 .

(4)- ابن هشام، المرجع السابق، ج1، ص 165 .

(5)- هاشم الملاح، المرجع السابق، ص 298 .

وعندما حضرتها الوفاة أعطته ذهبا، وقضبانا من العنب فأخذها، فلما كان قريبا من وج وهو الطائف، تزوج من ابنة عامر بن الظرب، وغرس تلك القضبان بوادي وج، فأنبتت، فسمي ثقيفا لأنه تزوج من ابنة عامر بن الظرب، ولأن تلك القضبان قد أنبتت حتى أطعمت ووصف بثقيف لأنه كان حاذقا في تصرفاته[1].

وتسمى الطائف بهذا الاسم لأن رجلا أصاب من الصدف دما في قومه بحضرموت وكان يقال للصدفي الدمون، وكان قد قتل ابن عم له، ثم خرج هاربا حتى نزل بوج، فحالف مسعود بن معتب، ومعه مال عظيم، فقال لهم : هل لكم أن أبني طوفا عليكم، يكون ردءا لكم من العرب، قالو: نعم، فبنى لهم بماله ذلك الطوف، فسمي الطائف لأنه حائط يطيف بهم[2].

باعتبار الماء نقطة جذب بالنسبة لسكان شبه الجزيرة العربية، فتعتبر الطائف موطنا يدعو للاستقرار وممارسة أنشطة مختلفة عن تلك التي يمارسها البدو كالزراعة وممارسة بعض الحرف اليدوية، فقد اشتهرت بدباغة الأديم[3]، والنعل الطائفي يضرب به المثل[4].

ومن الصعب حسم الخلاف حول أصل تسمية ثقيف الذي شاع وانتشر وللقبيلة التي انحدر أبناؤها من صلبه، فعرفت باسم قبيلة ثقيف[5]. ولا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات عن الفترة الزمنية التي عاش فيها ثقيف " قسي بن منبه " غير مراجعة شجرة النسب التي تفرعت عنه حتى جاء الاسلام، وهي لا تحتوي على أكثر من خمسة أجيال متعاقبة، توصلنا إلى أنه قد عاش قبل ظهور الاسلام بحوالي مائة سنة، أي في حدود القرن الخامس الميلادي، وأن أسرته أخذت تنمو تدرجيا عن طريق الزواج والمصاهرة، كما أخذت أوضاعها الاقتصادية والسياسية تتسم بالقوة من خلال استغلال الظروف المحيطة[6].

---

(1)- البكري، المرجع السابق، ج 1، ص 66 .

(2)- نفسه، ص 67 .

(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص 9 .

(4)- الحميري، المرجع السابق، ص 379 .

(5)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 299 .

(6)- نفسه، ص 299.

**أ- مراحل تسليم ثقيف السلطة في الطائف:**

**المرحلة الأولى:** كانت أرض الطائف قديما لـ عدوان بن عمر بن قيس بن عيلان بن مضر، فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، فرأت ثقيف البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها، فاقترحوا على بني عامر التي غلبت عليهم البداوة أن تتولى قبيلة ثقيف الزراعة بينما بنو عامر يخرجون إلى البادية ويتخلون عن أراضيهم لثقيف وبالمقابل يتحصلون على نصف المحصول فوافقوا[1].

**المرحلة الثانية:** فلما اشتدت شوكة ثقيف وكثرة عمارة وج أغارت عليهم العرب فاستغاثوا ببني عامر فلم يغيثوهم، فأجمعوا على بناء حائط يكون حصنا لهم ومنعوا بني عامر ما تعودوه، وجرت بينهم حرب انتصرت فيها ثقيف وتفردت بملك الطائف فضربتهم العرب بهم مثلا في القوة[2].

وكانت الطائف المركز الديني الثاني بعد مكة، فقد كان لثقيف بالطائف بيت يسترونه بالثياب ويهدون إليه الهدي ويطوفون حوله ويسمونه الربة، يعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة، وهذا البيت كان يضم صخرة مربعة تعرف باللات وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف[3].

**ب- الأوضاع السياسية في الطائف:**

كانت القبيلة تشكل الوحدة السياسية لهذه المدينة، وقد سكن هذه المدينة عدة قبائل أخرها، بنو عدوان، وبنو عامر بن صعصعة وقبيلة ثقيف. كانت هذه القبيلة (ثقيف) ترتبط برابطة النسب فهي قد تفرعت عن قيس بن عيلان، ويسودها التضامن بين أفرادها، حينما يكون هناك خطر خارجي، وعندما يعمّ السلم والأمان نرى أن الخلاف يسود فيما بين أفرادها

---

[1]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 1، ص 684 .

[2]- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 11 .

[3]- ابن هشام، المرجع السابق، ج1،ص 210.

وذلك عندما تتضارب المصالح، وهذا ما حدث، فقد تحالفت ثقيف مع بني عامر بن صعصعة بحكم أنهما يتفرعان عن قيس بن عيلان، لكن ما لبث الخلاف والشقاق أن تسلل بين هذين الطرفين، وذلك عندما اختلفت مصالحهما واستطاعت ثقيف الاستحواذ على الطائف بعد انتصارها على بني عامر، لكن هذه الوحدة الداخلية ما لبثت أن انهارت بعد تفرع قبيلة ثقيف إلى عدة بطون وعشائر ورغبة كل طرف في بسط نفوذه على الآخر، حيث كانت لثقيف تتكون من بطنين: الأحلاف وبني مالك، وكانت هناك حرب بين بني نصر والأحلاف، فاغتنم بنو مالك الفرصة وتحالفوا مع بني نصر، فنشبت الحرب بين الأحلاف وبني مالك وحلفائهم بني نصر، فاقتتلوا قتالا شديدا، انتصر فيها الأحلاف وأخرجوهم إلى واد من وراء الطائف[1].

ومن النتائج السلبية لهذه الحرب انقسام ثقيف إلى قسمين وهذا بدوره سينعكس على أبناء القبيلة، والذي سيؤدي بدوره إلى العداوة وعدم الاستقرار السياسي، فقبيلة ثقيف وبرغم المكاسب التي تحصّلت عليها لم تستطع إقامة "ملأ" على غرار مكة كما فعل قصي بن كلاب والذي من خلاله كانت ستفرض نوع من النظام والعدالة بين سكان مدينة الطائف، فلم تشر المصادر إلى وجود زعيم تستطيع الطائف الانقياد له، ولا وجود الوظائف كالتي في مكة يستغلها سادات ثقيف حيث توزع المهام عليهم لحفظ التوازن في المدينة[2].

فرغم أن المدينة زراعية، وسكانها حضر مستقرون لكنهم لم يستطيعوا تشكيل حكومة منظمة تسيّر حياتهم، وهذا يدل على أصولهم البدوية واستمرار ارتباطهم بالبدو الذي ينتج عنه التأثير والتأثر. وكانوا بالمقابل يسيّرون حياتهم السياسية والاجتماعية انطلاقا من العرف القبلي والتقاليد القبلية، للحفاظ على الأمن لأنهم مجتمع يمارس الزراعة والتجارة والصناعة وكانوا يتحالفون مع غيرهم لدرء الخطر، ويزول هذا التحالف بمجرد زوال الخطر، وفي المقابل استطاعوا الحفاظ على مدينتهم بإحاطتها بسور يحميها، إنّ الوضع السياسي في الطائف لم يكن قويا

[1]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 1، ص 685.

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 116.

ولا متماسكا على الرغم من نجاح زعماء المدينة من خلال التشاور في اتخاذ بعض القرارات الصعبة.

إنّ من أهم أركان الدولة وجود حكومة وهي جزء من الدولة، فهي الجهاز الذي تعتمد عليه هذه الأخيرة في صياغة سياستها وتنظيم شؤونها، وهي تمثل الجانب التنظيمي للدولة[1] لكن الطائف كانت تنعدم فيها الحكومة، حيث كان يسود هذه القبيلة الانقسام (بنو مالك والأحلاف) ولم يتوصلا إلى تأسيس مجلس من خلاله يتم تنظيم شؤون القبيلة، فمدينة الطائف لم تصل إلى مرحلة تأسيس دولة، وإنما هي كيان قبلي يسوده الانقسام.

## 2- يثرب:

مدينة يثرب إحدى مدن الحجاز المهمة، وهي تقع شمالي مكة على مسافة 500 كلم في بسيط من الأرض مكشوف من سائر الجهات[2]، وهي في حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثير ومياه، ويقع جبل أحد في شمالها[3]، ويقع جبل عير في جنوبها الغربي[4]، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع إلى الجنوب من يثرب على الطريق المؤدية إلى مكة[5]، والعير جبلان أحمران متقاربان يقال لأحدهما عير الوارد، والأخير عير الصادر، وهما ببطن العقيق[6].
والعقيق هو كل ما شقه السيل في الأرض فأنهره وفي بلاد العرب أربعة أعقّة من بينها عقيق بناحية يثرب وفيه عيون ونخل[7]، ومن وديان يثرب الأخرى : وادي بطحان ويقع إلى الغرب من يثرب، ووادي رانون ووادي مذينيب في الجنوب الشرقي ووادي قناة ويقع إلى الشمال الشرقي من يثرب، ووادي مهزوز في الجنوب الشرقي، تروي هذه المياه التي تجري في هذه الوديان مجموعة من المزارع[8].

---

(1)- محمد علي محمد، المرجع السابق، ص 165 .
(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 334 .
(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 5، ص 82 .
(4)- نفسه، ج 4، ص 172 .
(5)- ياقوت الحموي، المرجع السابق،،ج 5، ص 82 .
(6)- نفسه، ج 4، ص 172 .
(7)- نفسه، ص 138 .
(8)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 335 .

وتحيط بيثرب ثلاث حرات، حرة واقم في الشرق، حرة الوبرة في الغرب، وحرة قباء في الجنوب[1]، وتكتنف الوديان الحرتين الشرقية والغربية وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع[2].

ومناخ يثرب شديد الحرارة في فصل الصيف، ويميل إلى البرودة في فصل الشتاء، وتهطل الامطار، غير أن هطولها غير منتظم، فقد تنحبس فترة طويلة من الزمن حتى يضج الناس بالشكوى من شدة الجفاف، وقد تسقط بغزارة فتحدث سيولا جارفة[3].

بالرغم من الجانب السلبي الذي تحدثه الأمطار، فإن لها جوانب إيجابية كثيرة على الزراعة، ذلك أن جو يثرب على العموم خير من جو مكة وألطف وأفرح، ولم يعان أهلها ما عانى أهل مكة من قحط في الماء، ومن شدة في الحصول عليه ولهذا صار في إمكان أهلها زرع النخيل، وإنشاء البساتين والحدائق، والتفسح فيها، والخروج إلى أطراف المدينة للنزهة، فأثر ذلك على طباع أهلها فجعلهم ألين، وأشرح صدرا من أهل البيت الحرام[4].

تعتبر وفرة المياه في هذه المدينة عاملا مشجعا على الاستقرار وبالتالي ممارسة الزراعة أمر حتمي لساكنيها. أما عن نشأة هذه المدينة فيذكر الاخباريون أن يثرب سميت بهذا الاسم نسبة إلى يثرب بن قاتية بن مهاليل بن إرم بن عبيل بن عوص بن سام بن نوح الذي نزل هذه المنطقة هو وولده، وقد هلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر[5].

ولما خرج عمرو بن عامر بسبب التنبؤ بانهيار سد مأرب، تفرق من كان معه من قبيلة الأزد في البلاد من أرض الجزيرة العربية، فنزلت الأوس والخزرج يثرب[6]، وفي أطراف يثرب سكنت جاليات من يهود منهم بنو قريضة والنضير، وبنو قينقاع، وبنو ماسلة وزعورا، وقد بنولهم حصونا يجتمعون بها إذا خافوا، وإلى جانب هذا كانت يثرب تنتشر فيها القرى والأسواق[7]

---

(1)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 2، ص 247 .

(2)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 326 .

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص132.

(4)- نفسه.

(5)- المسعودي، مروج الذهب، المرجع السابق، ج 2، ص 115 .

(6)- الحميري، المرجع السابق، ص 617 .

(7)- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 1، ص 656.

وهي من المواضع التي يرجع تأريخها إلى ما قبل الميلاد، وقد ذكرت في كتابات المعينية، وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات من معين، ثمّ صارت إلى السبئيين بعد زوال مملكة معين[1].

وأقدم مورد أشير فيه إلى يثرب، هومن نص الملك ( نبونيد ) ملك بابل الذي سكن تيماء أمدا، وقد عرفت بـ "يثربة" "JATHRIPA" في جغرافية بطليموس وعند استيفان البيزنطي وقد عرفت بالمدينة كذلك من كلمة "Médinta" و"Medinito" الآرامية، والتي تعني " مدينة " في عربيتنا و" هكر " في العربية الجنوبية[2]، وقد أورد المؤرخون العرب 29 اسما لمدينة يثرب، من بينها مدينة، طيبة[3].

كان سكان يثرب يتشكلون من العرب واليهود، والمعلومات عن هجرة اليهود إلى يثرب غامضة، وفي الكتب العربية هي أقرب إلى الأساطير والخرافات، والواقع أنه ليس ثمّة دليل شرعي تاريخي على قدوم اليهود إلى يثرب قبل القرن الأول الميلادي، وربما يكون مجيئهم في عام 80 م إثر اضطهادهم من طرف الرومان، ويشك بعض المؤرخين في كون القبائل اليهودية في يثرب يهودية الأصل حقا أوفي أنها جاءت من خارج الجزيرة العربية[4].

غير أن الذي عليه عامة المؤرخين، أنهم قدموا من خارج الجزيرة العربية، وأنهم يهود في الأصل، وأن أسماءهم وإن كانت عربية، إلا أن أسماء آبائهم وأجدادهم عبرية[5]،ولمّا كان الأمر من سد مأرب ما كان وسيل العرم وتفرق قبيلة الأزد، فأتى الأوس والخزرج يثرب، فرأوا العدد والعدة والآطام لليهود وسألوهم أن يعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، فتعاقدوا وتحالفوا، واشتركوا وتعاملوا[6].

نرى في مخاطبة القرآن الكريم وحديثه عن اليهود وانتقاده لمواقفهم من الرسالة والدعوة الاسلامية، أنه كان يتعامل معهم بصفتهم من "بني إسرائيل" أي من سلالة يعقوب عليه

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 168 .

(2)- نفسه، ص 130 .

(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق،ج،5 ص 82 .

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 185 .

(5)- نفسه، ص 186 .

(6)- الحميري، المرجع السابق، ص 402 .

السلام، وقد أجرى مقارنة بين أخلاقهم على عهد النبي محمد وبين أخلاقهم في عصر موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، هذا يوضح أن القرآن الكريم اعتبر يهود الجزيرة العربية من أحفاد هؤلاء اليهود الذين عاشوا في زمن الأنبياء السابقين في قوله تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِىٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾[1]﴾.

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾[2]﴾، وفي قوله تعالى :﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3].

وقد أشير إلى أن القبائل اليهودية كانت تؤلف أكثر من 20 قبيلة حين قدم الأوس والخزرج، في حين كانت هناك قبائل كبيرة، كانت هناك قبائل صغيرة، فاندمجت هذه القبائل الأخيرة ضمن القبائل الكبيرة، كما أنّ بعضها تحالف مع بطون الأوس والخزرج بعد تغلبهم على المدينة فأصبحوا تابعين لهم[4]. وقد أشارت المصادر إلى أنّ الأوس والخزرج حين قدموا إلى المدينة ( يثرب ) تفرقوا في عاليتها وسافلتها ومنهم من نزل مع قوم بني إسرائيل في قراهم، ومنهم من نزل وحده، وكانت الثروة في بني اسرائيل، ولهم قرى أعدوا بها الآطام، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم، ولقد عاش الأوس والخزرج في ضنك من العيش إلى جانب اليهود، فلم تكن لديهم مواشي يرعونها، لأن المدينة ليست بلاد مرعى، ولم يكونوا يمتلكون أراضي زراعية جيدة، لذا فقد تحالفوا مع اليهود وعملوا معهم في الزراعة، حتى كثر عددهم،

[1]- القرآن الكريم سورة البقرة، الآية 40.

[2]- القرآن الكريم سورة البقرة، الآية 51.

[3]- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 78، 79 .

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 330 .

وصار لهم مال وعدد، فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم ومالهم فقطعوا الحلف الذي كان بينهم[1]، وتحول الحلف الذي كان بين الطرفين إلى صراع، وقد توحدت الأوس والخزرج تحت قيادة مالك بن عجلان السالمي الخزرجي الذي قتل زعيم اليهود، وفر إلى الشام واستغاث بأحد عظماء بني غسان وهو أبو جبيلة الذي استجاب له وقاد جيشا كبيرا يريد به يثرب، وقام بقتل أشراف اليهود، فلما فعل بهم ذلك صار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة، فشاركوا اليهود في النخل والدور[2] .

ولم يزل الأوس والخزرج على حال اتفاق واجتماع إلى أن وقعت بينهم حرب سُمَيْر لتتوالى الحروب والوقائع بين الطرفين كان أشهرها: يوم السّراة، ويوم فارع، يوم الفجار الأول والثاني، ويوم بعاث حيث انتصرت الأوس على الخزرج وكانت آخر الحروب بين الطرفين[3].

لقد كانت هذه الحروب عاملا من عوامل الأمن، وأكيد كان اليهود يجدون مصلحة في إذكاء لهيبها، وكانوا هم أنفسهم لا يتمتعون بالوحدة فيما بينهم نتيجة اختلاف المصالح بينهم.

لقد ترتب على هذه الانقسامات المتعددة بين سكان يثرب التي تحركها العوامل الاقتصادية والقبلية، أن فقد أهل المدينة ثقتهم ببعضهم، وعجزوا تبعا لذلك عن تكوين قيادة موحدة تضم رجال الملأ من أهل المدينة من أجل خدمة الصالح العام لمجموع سكانها، لقد عملت كل قبيلة من قبائل المدينة، وكل بطن من بطونها على حماية نفسها ومصالحها من خلال بناء أطام خاصة بها للإحتماء به من هجمات الآخرين والتحصن بها في أوقات الحروب، بل قد سعى بعضهم إلى الاستعانة بأبناء القبائل الأخرى والتحالف معهم ضد أبناء جلدتهم، كما فعلت الأوس حين سعت للتحالف مع قبيلة قريش ضد قبيلة الخزرج بعد حرب بعاث، غير أن قريشا خافت عواقب التورط في نزاعات دموية فنقضت هذا الحلف[4]

---

[1]-هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 331 .

[2]- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 1، ص 658 .

[3]- نفسه، ج 1، ص، ص 658، 680 .

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 333 .

مما تقدم نستنتج أن يثرب كانت تتمتع بإقليم، وكذلك بالشعب، الذي هومن طبقتين مختلفتين لكنه يعاني الانقسام وعدم الوحدة، بالإضافة إلى انعدام للحكومة (السلطة السياسية التي تحقق وتضبط النظام)، وقد تفطن إلى ذلك كل من الأوس والخزرج فعمدوا إلى تشكيل وحدة سياسية بين الطرفين يكون زعيمها أبي بن سلول من قبيلة الخزرج لكن هذه الوحدة جاءت متأخرة بسبب وصول الدين الإسلامي إلى يثرب وهجرة النبي إليها، لذلك لا نستطيع أن نقول أن يثرب كانت دولة أو شكلت دولة المدينة لغياب الحكومة المسيرة لشؤونها، برغم حياة الاستقرار التي كان يعيشها سكانها.

## المبحث الثالث: دولة كندة وتطورها السياسي

### 1- دولة كندة:

قامت دولة كندة في أواسط شبه الجزيرة العربية، وشملت معظم بلاد نجد مما يلي الحجاز شرقا، وامتدت في الشمال والشرق الشمالي إلى مشارف الشام والعراق، وكان لها بعض النفوذ على قبائل منطقة عمان في الجنوب، وقد امتد حكمها في فترة من الزمن إلى الحيرة، واستمرت هذه الدولة ما يزيد عن قرن من الزمان[1].

وكندة هي (كدت التي ورد إسمها في نصوص المسند) مثل نص أبرهة وورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير، وقد ورد اسمها في النص المدون في أيام الملك ( شهر أوتر ) ملك سبأ وذو ريدان وكان يحكم (كدت ) كندة في ذلك الوقت ملك إسمه ربيعة (ربعت) وكان ملكا على كندة وعلى قحطن (قحطان)، فيعود بذلك تاريخ كندة إلى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد[2]. وأول من ذكر كندة من الكتاب الكلاسكيين (نونوس) ودعاها باسم Kindynoi أي كندة، وذكر أنها وقبيلة ( ماء نيوى )كانتا من أشهر القبائل العربية[3] عددا ومكانة، يحكمها رجل واحد أسمه قيس، وتعتبر كتابات الإخباريين من أهم

---

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 152 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 316 .

[3]- حسين الشيخ، **العرب قبل الإسلام**، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993م،ص 166 .

المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في دراسة مملكة كندة[1]. حيث ذكر الإخباريون أن كندة لقب لثور بن عفير بن الحرث بن مرة بن أدر بن يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان[2]، وأن موطنهم الأصلي كان بجبال اليمن مما يلي حضرموت، وأن جماعات من كندة قد غادرت موطنها واتجهت شمالا حتى نزلت في مكان ( غمر كندة ) أو( غمر ذي كندة ) والغمر هو الماء الكثير المغرق[3]، وهو موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين، وكان لجنادة بن سعد الغمر غمر ذي كندة وما صاقبها، وبها كانت كندة دهرها الأول[4].

إن الاستقرار في هذه المنطقة يدل على وفرة المياه والذي يكفي لقبيلة جنادة وكذا قبيلة كندة. وقد اختلف الإخباريون في سبب هجرة الكنديين إلى الشمال، فذهب فريق إلى أن السبب إنما يعود إلى حرب بين كندة وبين حضرموت، والتي كادت تقضي على الكنْديين فاضطروا إلى النزوح نحو الشمال فرارا بأنفسهم من الفناء[5]، بينما يرى آخرون أن حسان بن تبع كان أخا من ناحية الأم لحجر بن عمرو، فلما دوخ حسان بلاد العرب، وسار في الحجاز، ولما همّ بالانصراف، ولى على معد بن عدنان كلها أخاه حجر بن عمرو هذا[6].

## 2- أشهر ملوك كندة:

**أ- حجر بن عمرو:** تولى الحكم بعد أن حكم كندة خمسة ملوك قبله وقد نجح هؤلاء في توطيد حكمهم في منطقة غمر ذي كندة من خلال المصاهرات والمحالفات[7]، ولا تقدم لنا الرويات العربية بصورة واضحة عن الكيفية التي تولي من خلالها هذا الملك الحكم، لكنها بالمقابل تشير إلى أن حسان بن تبع هو الذي كان السبب في تولي هذا الرجل للملك في

---

(1)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 166.

(2)- ابن خلدون، كتاب العبر، المرجع السابق، ص 463 .

(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 211 .

(4)- نفسه، ص 112.

(5)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 196 .

(6)- ابن خلدون، كتاب العبر، المرجع السابق، ص 465 .

(7)- نفسه، ص 463 .

كندة كما أشرنا سابقا. وقد تمّ العثور على اسم هذا الملك في نقوش المسند، حيث عثر على نقش بالعربية السعودية مكتوب عليه حجر بن عمرو ملك كندة، كما أشير إلى اسمه في نقش عثر عليه في دير هند بالحيرة، وقد أقام سلطانه على قبائل بدوية تتحرك في بوادي نجد والحجاز[1]، وبقي مطاعا في مملكته حتى مات خرفا[2].

**ب- عمرو بن حجر** : تولى الحكم بعد وفاة والده حجر بن عمرو، ولقّب بالمقصور لأنه قصر على ملك أبيه، فلم يستطع أن يوسع حدود مملكته، ويبدو أنه لم يستطع أن يحافظ على ملك أبيه، إذ أن أخاه معاوية الجون بن حجر قد تولى الملك على منطقة اليمامة في عهده واستقل بها[3] وقد أشير إلى العوامل التي أضعفت سلطان عمرو بن حجر على بلاد نجد بظهور زعيم قوي في المنطقة هو كليب رئيس قبيلة تغلب الذي استطاع أن يبسط نفوذه على نجد واليمامة والبحرين، وكان من الطبيعي أن يؤدّي توسع سلطان كليب إلى الاصطدام بدولة كندة والدخول معها في منازعات، وقد أشارت إحدى الرويات إلى أن عمرو بن حجر قد قتل في إحدى هذه الحروب[4].

**ج- الحارث بن عمرو**: تتفق الرويات على أن الحارث هو ابن عمروبن حجر، فعظم سلطانه وانتشر ولده فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد[5]، وتفيد الرويات العربية أن الحارث بن عمرو إنما تولى الحكم بمساعدة تبع بن حسان ملك اليمن، فصار ملكا على كندة وبكر، وعلى قبائل أخرى، وأنه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته، كما يذكر الأخباريون أنّ الحارث جمع إلى ملكه ملك الحيرة وآل لخم، وذلك في زمن قباذ ( وكانت الأوضاع في عهد قباذ، ملك الفرس، مضطربة )، وقد قتل الحارث بن عمرو على يد ملك

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 190 .

[2]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 123 .

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 192.

[4]- نفسه .

[5]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 123 .

الحيرة[1]،وبمقتل الحارث بن عمرو اختلف أولاده فقتل بعضهم بعض، وصارت رئاسة كندة إلى غيرهم في بني جبلة بن عدي بن ربيعة[2].

إنّ هذه الدولة هي عبارة عن اتحاد وتحالف قبلي، يجمع عدة قبائل تخضع لرئيس واحد لقب بالملك[3]، وكانت هذه القبائل تنتمي إلى كندة ومعد، وتشكل نظاما شوريا عسكريا جهد في الربط بين جماعات عربية كبيرة من الحضر والبدو، وتكوينها الاجتماعي مرتكز على القدرة القتالية[4]، لكن الروابط الداخلية لم تكن متماسكة والدليل على ذلك نشوب الصراعات بين أبناء الحارث بن عمرو بعد مقتله خاصة بين شرحبيل وسلمة، وتمزق القبائل بين الطرفين وأدى هذا إلى تمزق ملك كندة، وزالت بذلك السلطة السياسية على القبائل.

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 232، 233 .

[2]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 123 .

[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 153 .

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 200.

# الفصل الخامس

## شمال الجزيرة من البداوة إلى الدولة

# محتويات الفصل

**1- المبحث الأول**: الأنباط

**2- المبحث الثاني**: تدمر

**3- المبحث الثالث**: المناذرة

**4- المبحث الرابع**: الغساسنة

## المبحث الاول: الأنباط

كان للنشاط التجاري في بلاد اليمن والحجاز أثر كبير في قيام دويلات عربية على تخوم الشام والعراق في العصور القديمة، فقد كانت بادية الشام وجنوبي فلسطين مركز لهجرات متتابعة من جنوب الجزيرة العربية منذ أوائل التاريخ المسيحي، مثل قبيلة تنوخ وقبيلة بني سليح، وآل جفنة، وكانت قرية بوريكة باللجة ويطلق عليها في العصر الروماني اسم بوريكة السبئيين، إلا أن استقرار قبائل عربية في بادية الشام يرجع في حقيقة الأمر إلى عصور سابقة للعصر الروماني، ومن أقدم الشعوب التي استقرت في جنوب فلسطين شعب الأنباط[1].

### 1- تاريخ الأنباط:

مملكة الأنباط قامت في شمال الحجاز، وقد عرفت عند اليونانيين باسم (NABATACI)، حيث أن المؤرخين اليونان ذكروا الأنباط وهم من الشعوب العربية التي تقطن شرق العربية الصحراوية، معظمها صحراء قاحلة وبدون ماء، وكان البدو منهم لا يقهرون، يحافظون دائما على حريتهم ولم يستطع أحد من الغزاة اخضاعهم[2]، ولهذا السبب لم يتمكن الأشوريون أو الفرس إخضاع هذا الشعب[3]، وكانت لغة الأنباط والتي اتخذوها للكتابة هي اللغة الآرامية، والخط النبطي على هذا النحو خط آرامي، لكنه متطور عن الخط الآرامي القديم، تمييزا له عن بقية الخطوط الآرامية[4]، ولقد أطلق الإغريق اسم بلاد العرب الصخرية على بلاد الأنباط، كما سميت عاصمتهم بالبتراء (Petraea) أي الصخرة [5]، وهي تعني تقريبا نفس الكلمة سالع المذكورة في التوراة[6]، والتي تعني الشق في الصخر، والتسمية العربية

---

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 157 .

(2)- Diodor de cicile, Op cit, V8 .

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 6 .

(4)- جواد علي،المرجع السابق، ص 6.

(5)-Diodore de cicile, Op cit, V8

(6)- التوراة، سفر إشعياء، الاصحاح 16، الآية 1، ص 508 .

مترجمة من اليونانية، ونلاحظ أن التسمية العبرانية أكثر دقة لأن مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين يعرف اليوم باسم السيق، ولعله لفظ نبطي متوارث، حرّفه الناس عن كلمة الشق في السبئية القديمة[1] . أما عن أصل الأنباط، فقد كانوا من أهل الجزيرة العربية في الأصل، نزحوا من البوادي، إلى أعالي الحجاز فأقاموا بها، وسرعان ما استقروا وتحضروا، وامتهنوا الزراعة وأقاموا المستوطنات، واستقروا في المدن والقرى ومارسوا التجارة[2].

ولقد ظهر الأنباط على مسرح التاريخ في حدود سنة 587 ق م، حين استقروا في البلاد التي كان يسكنها الأدوميون في جنوب بلاد الشام، والتي تعرف حاليا باسم شرق الأردن، ولا يتفق الباحثون على تحديد الموطن الذي كانوا يعيشون فيه قبل هذا التاريخ، وإن كان ثمة اتفاق ضمني بين جميع الباحثين على أن الأنباط هم من أقوام شبه الجزيرة العربية القدماء[3] ويرجع بعض الباحثين أصل النبط إلى (نبايوت ) وهو الابن البكر لاسماعيل في التوراة[4] وهو نابت عند أهل الأخبار، واسماعيل في عرف النسابين هو جد العرب العدنانيين وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الأنباط هم ( نبياطى ) المذكورين في أخبار الملك آشور (بانيبال )، فقد ذكر أن هذا الملك حارب ( ناتان ) ملك النبطيين وغلبه في أواخر القرن السابع قبل الميلاد[5]، وعلى هذا لا توجد أدلة تؤكد الصلة بين أولاد نبايوت والأنباط وكذلك تنعدم الأدلة في وجود صلة بين ( نبياطي ) وبين الأنباط .

يرى كذلك الباحثون المحدثون أن النبط عرب وهم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية وهم يشاركون قريش في أكثر أسماء الأشخاص، ويشاركونهم في عبادة الأصنام، يضاف إلى هذا وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدونة بالأرامية، فهم بذلك أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين[6]، ومن الأدلة على عروبة النبط اصطلاح المؤرخين الكلاسيكيين

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 159 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص،ص، 9، 10 .

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 111 .

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص، ص، 12، 14 .

[5]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 11 .

[6]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 14 .

على أن النبط هم من العرب، وعلى أرضهم اسم العربية الحجرية[1] . وعاصمة الأنباط هي البتراء، وتعرف في المصادر العربية بالرقيم[2]، وتحتل هذه المدينة أهمية كبيرة فضلا عن موقعها الجغرافي على طريق القوافل التجارية وهي في ذلك المكان البقعة الوحيدة التي تتواجد فيها المياه بكثرة وهي عذبة، وتجمع في صهاريج من مجاري السيول فأصبحت بذلك محطة تجارية هامة، يجد فيها رجال القوافل مكانا للتزود بالماء والطعام بعد سير طويل في الصحراء، ولقد أتاحت لها هيمنتها على طريق القوافل التجارية لتصبح ذات أهمية[3].

**أ- نشأة دولة الأنباط:**

كان شعب الأنباط في بدايته يعيش حياة بدوية، يعتمدون في الأساس على الترحال والرعي، حيث وصفهم ديودور الصقلي بأنهم بدو كانوا يعيشون على السلب والنهب وأنهم لا يقهرون، يحافظون دائما على حريتهم [4]، في حين أن قسم من هؤلاء البدو لم يقتنعوا بتربية الإبل والماشية، ولم يقتصروا على حياة الرعي وتميزوا على كثير من البدو بالإقبال على التجارة[5]، ولم يألف البدو حياة الحضارة إلا بعد مرور فترة طويلة من الزمن، وقد تلاءموا مع هذه الحياة الجديدة تدريجيا إذ وجدوا فيها متطلبات القوافل من خدمة، وما تأتي به من سلع تجارية يسهمون في تصريفها ووسيلة مجدية للربح وكسب العيش، فاستقروا وما لبثوا أن أقاموا دولة منظمة، وحكموا بلادهم على أساس النظام الملكي وضربوا النقود واستوزروا الوزراء[6]. واتخذت هذه الدولة ( البتراء ) عاصمة لها، في القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وامتدت الأراضي الخاضعة لها إلى الجنوب الشرقي من فلسطين بدءا من حدود فلسطين إلى رأس خليج العقبة، يحدها من الشرق بادية الشام، ومن الشمال فلسطين،

---

(1)- Diodore de cicle, vxi, op cit, V 8

(2)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 2، ص 60.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 100 .

(4)- Diodore de cicile, Op cit, V10

(5)- حسين الشيخ،مرجع سابق، ص 122.

(6)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 16 .

فهي قد ضمت رقعه جغرافية واسعة (أنظر الخريطة رقم 9)، إذ ضمت منطقة واسعة إلى جنوب البتراء بلغت حتى حدود وادي القرى في شمال الحجاز ليشمل هذا الامتداد موانئ البحر المتوسط وسيناء، وموانئ مصر وساحل البحر الأحمر الشرقي والنيل وكان لهذا الموقع الممتاز أثر في تحكم الأنباط في طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب في العالم القديم[1].

وأقدم إشارة عن بلاد الأنباط ما ذكره ديودور الصقلي (المتوفي سنة 57 ق م )، إذ يشير إلى حملة انتيجوناس Antigonas حاكم سوريا اليوناني على مدينة البتراء سنة 312 ق م، بسبب موالاة الأنباط لبطليموس لكي يرغمهم على التحالف معه، وقد فاجأ الأنباط ليلا، واستطاع إلحاق هزيمة لهم، في غياب شبابهم، لكن بعد عودة هؤلاء الشباب، لحقوا بجيش الإغريق الذين توقفوا للاستراحة والنوم فقتلوا منهم الكثير حيث لم ينجو منهم إلا 50 فارسا لكن القائد اليوناني أعاد الحملة للمرة الثانية تحت قيادة ابنه، لكن هذه الحملة فشلت بسبب الإعداد الجيد للأنباط وتوقعهم الانتقام من الإغريق[2].

لقد تمتع الأنباط بالقوة والشكيمة ونظموا بلادهم، ويبدو أن نظام الحكم لديهم قد تطور بصورة تدريجية مع تطور أوضاعهم الحضارية، فانتقلوا من نظام الحكم القبلي إلى نظام الحكم الملكي، فملك الأنباط كان يعيش عيشة رفيعة وكان ما يزال يحتفظ بكثير من خصائص شيخ القبيلة، فهو يخدم نفسه بنفسه ويخدم ضيوفه أيضا، ويتمتع بالاحترام والتعظيم، ويظهر من دراسة أسماء الملوك أن الملكية كانت محصورة في أسرة واحدة، وكانوا يتداولون على الملك عن طريق الوراثة، وكان الملك يستعين في إدارة شؤون الدولة ببعض الأعوان كالوزير الذي كان يطلق عليه " أخو الملك " وهو ليس أخا له، ولكن يشاركه ويساعده مساعدة الأخ لأخيه، كما كانت تطلق على زوجة الملك أخت الملك وتظهر صورتها مع صورة الملك على النقود[3].

---

[1]- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 313 .

[2]- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص 161 .

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 118 .

إن ملوك النبط كانوا ينعتون أنفسهم بنعوت لا توجد في الكتابات العربية منها (ملك رحم عمه)، أي الملك الرحيم بشعبه أو الملك المحب لشعبه [1]. فكانت هناك رابطة قوية بين الحاكم وشعبه في دولة الأنباط، والنظام الملكي عند الأنباط لم يكن يركز جميع السلطات بيد الملك وإنما يوزعها بين مجموعة من الموظفين مثل وظيفة الوزير، ورؤساء الأقاليم الذين هم عبارة عن شيوخ القبائل، وأن سلطة الشيخ تمتد على الإقليم الذي يسيطر عليه وأنها تخضع لاعتمادها رسميا من طرف الملك، وهم زعماء محليين يتوارثون رئاسة القبائل أو العشائر الذي ينتمون إليها[2].

إن الحكم النبطي كان حكما جماعيا أو لا مركزيا في يد مجموعة من رؤساء القبائل الذين يدينون بالولاء لرئيس عام لهم، وافقت عليه كل القبائل والعشائر وهو الملك الذي يكون مضطرا إلى اللجوء إلى قدر كبير من الحكمة في معاملة هؤلاء الرؤساء المحليين، تارة بالحزم وأخرى باللين[3].

**ب- أشهر ملوك الأنباط:**

**1- الحارث الأول (169 ق م- 146 ق م)**: هو أول ملك يصل إلينا اسمه، وهذا يعني أنه ربما لم يكن أول الملوك، وقد ورد ذكره في الفصل الخامس من أسفار المكابيين باسم Aretas، وكان معاصرا لأنطيوخوس الرابع السلوقي ملك سوريا، وبطليموس فيلوماتر ملك مصر، وقد حالف الحارث النبطي جيرانه المكابيين ضدّ السلوقيين[4].

**2- الحارث الثاني (110 ق م- 096 ق م)**: لم يكن هذا الحاكم ( الملك ) المباشر بعد وفاة الحارث الأول، لكن يجهل من كان قبله لعدم توفر المعلومات، لكن في عهد هذا الملك أصبحت الأنباط دولة قوية، فقد قام هذا الملك بسك أول عملة للأنباط

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 51 .

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 119

[3]- نفسه، ص 118 .

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 163 .

تحمل اسمه، واستغل ضعف الأوضاع في بلاد الشام ومصر فأعد حمله على تلك الأراضي وغنم منها غنائم كثيرة[1].

**3- عبادة الأول ( 95 ق م – 88 ق م)**: وهو Obodas[2] تحدى هذا الملك مطامع ملك اليهود المكابيين، وكان هذا الأخير قد حارب عرب منطقتي جلعاد وموآب واستولى عليها، فقام هذا الملك ( عبادة الأول ) بإعلان الحرب وانتصر عليه في معركة عند جدارة أم قيس إلى الشرق من بحيرة طبرية[3].

**4- رب آل ( 88 ق م – 87 ق م)**: Rabbil ويعرف عند المؤرخين بـ رب إيل الأول، وتجهل الكثير من أعمال هذا الملك[4].

**5- الحارث الثالث ( 87 ق م- 63 ق م )**: في عهده استولى بومبي على دمشق في سنة 64 ق م [5]، وقد عرف الحارث الثالث بـ ( فيليهيلين ) Philhellen وهو لقب يوناني معناه محب اليونان وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملكه[6]، واستطاع بناء جيش قوي، بعد أن كان الجيش في بداية أمره جماعات غزو غير منظمة، يسيرها العرف القبلي، تحسن جيش النبط بعد أن أدخلت عليه بعض الإصلاحات، لكنها بقيت متأثرة بروح البداوة التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر، والتي لا تهتم إلا بالغنائم، فلما استولى الحارث على دمشق انضم إليه بعض اليونانيين الذين عملوا على تحسين جيشه وتدريبه، واستطاع تقوية مركزه بهذا الجيش، وتدخل في شؤون مملكة يهوذا، ومن ثمّ مجابهة الرومان[7].

---

(1)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 120.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 26 .

(3)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 120.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 27 .

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 165 .

(6)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 29 .

(7)- نفسه، ص 31 .

وحكم من بعد الحارث الثالث ابنه ( عبادة الثاني ) ولا نكاد نعرف عنه شيئا يذكر، وقد عثر على نقد يحمل اسمه، ثم من بعد الملك عبادة الثاني خلفه ابنه مالك الأول[1].

**6- الملك عبادة الثالث ( 30 ق م -9 ق م )**: اشترك الأنباط في الحملة التي أرسلها أغسطس قيصر لغزو بلاد اليمن، وتولى صالح Syllaeus وزير عبادة ارشاد الجيش الروماني إلى الطرق التي يسلكها في بلاد العرب، وأخفق الرومان في الاستيلاء على اليمن، وأرجع مؤرخيهم هذا الفشل إلى خيانة صالح الذي سار بالجيش في مناطق وعرة وشديدة الجفاف حتى هلك عدد كبير من الرومان، ويقال عن الملك عبادة الثالث أنه توفي مسموما[2]، وقد بنى مدينة (الحوراء) أي البيضاء، وقد يكون دافعه الابتعاد عن البتراء التي وقعت تحت الحكم الروماني[3].

**7- الحارث الرابع ( 9 ق م -40 م )**: شهدت دولة الأنباط في عهد هذا الملك أوج تقدّمها الحضاري، كما حققت أقصى توسعها السياسي على الرغم من قوة النفوذ الروماني في المنطقة، وحمل هذا الواقع الحارث الرابع على التعاون مع الرومان ضد اليهود[4]، ثمّ سرعان ما وطد علاقته مع هيرود ملك اليهود وقام بتزويجه ابنته، ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بينهما، حين رغب هيرود في زوجة أخيه وأراد قتل زوجته (ابنة الحارث) التي هربت إلى أبيها الذي أرسل حملة لمحاربة هيرود واستنجد هذا الأخير بحامية القيصر ( طيباروس ) الذي قرر إرسال حملة لمحاربة الحارث الرابع والقضاء عليه، لكن في أثناء الاستعداد توفي طيباروس فتوقفت هذه الحملة[5]، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الحارث الرابع استطاع استعادة سلطة الأنباط على دمشق بعد انتصاره على هيرود سنة 37 ق م [6].

---

[1]-جواد علي، المرجع السابق، ص 34 .

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 166 .

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص – ص، 38، 40 .

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 124 .

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 43 .

[6]- نفسه، ص، ص 44، 45 .

**8- مالك الثاني (40 م -70 م)**: هو ابن الحارث الرابع، وكان معاصرا للإمبراطور الروماني كلوديوس، وفي أيامه كانت حملة تيطس على اليهود وتخريب هيكل سليمان، ويبدو أن دمشق انتزعت في عهده إلا أن الأرض الواقعة في شرقها وغربها بقيت جزءا من مملكته[1].

**9- رب ال (رب إيل) (70 م -101 م)**: المعروف بـ (سوتر) (سوطر) Soter وقد تولى الحكم وهو صغير السن وكانت أمه الوصية عليه (شقيلة )، وكان للملك شقيق ساعد والدته في تسيير شؤون الحكم، وكان يقضي معظم وقته في بصرى، مما أدى إلى إضعاف عاصمتهم القديمة ( البتراء ) وإلى إضعاف إدارة أمور الأنباط[2].

**10- مالك الثالث (101 م- 106 م)**: وفي عهده قضى الإمبراطور الروماني ترجان على مملكة الأنباط في سنة 106م، أرسل نائبه في سوريا إلى البتراء لضم دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية وتحويلها إلى جزء مما صار يدعى " الولاية العربية (Provincia Arabia) والتي سخرت لحماية سوريا من هجمات البدو وجعل عاصمتها مدينة بصرى التي ورثت البتراء اقتصاديا وسياسيا[3].

أسس الأنباط دولة بكل مقوماتها وأركانها الأساسية فهي تتشكل من الأرض التي تتواجد عليها ومن الشعب، وهم سكانها ومن السلطة السياسية الحاكمة المتمثلة في ملوكها، واستطاعوا الانتقال من البداوة والنظام القبلي إلى الحضارة بتأسيسهم لهذا الكيان السياسي وذلك حينما توافرت الشروط الضرورية لذلك، من مياه حدث عندها الاستقرار ووقوع هذه المنطقة على طريق القوافل التجارية وما تتطلبه من تأسيس المستوطنات والقرى والمدن، والطبقة السياسية لعبت دور المنظم لشؤون العامة، فنتج عن ذلك الأمن، حتى لوكان هذا النظام السياسي يعتمد على الوراثة، ولقد تأثروا بالأمم المجاورة واقتبسوا من النظم الرومانية والحضارة الهلينية في إدارة بلادهم .

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 127 .

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص،ص 48، 49 .

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 127 .

ويبدو أن دولة الأنباط قد عرفت حكم القانون، وظهر فيها مؤسسات كالمحاكم، فقد أشار سترابون إلى وجود محاكم في البتراء للفصل في قضايا الغرباء وهذا يدل على وجود وظيفة القاضي، ووردت إشارات إلى وجود نظام مالي يتولى جمع الضرائب ويدل هذا على أن الأنباط كانوا يديرون بلادهم بشكل جيد[1].

## المبحث الثاني: مملكة تدمر

### 1- نشأة تدمر:

نشأت تدمر في بادية الشام حول نبع غزير المياه يتفجر من الصخر عند معبر جبلي اضطراري في قلب بادية الشام، فهو يقع في منتصف المسافة تقريبا بين الفرات من جهة، وبين دمشق وحمص من جهة أخرى، وهو يبعد حوالي 242 كلم عن كل منهما وخلف هذا النبع واحة خضراء أصبحت مكان استراحة بين العراق والشام، وهي محطة للقوافل التجارية مياهها عذبة صالحة للشرب، وفيها مياه كبريتية دافئة يستشفى بها المرضى[2]، (انظر الخريطة رقم 10)

وما زال أصل تسميتها بتدمر مجهولا على الرغم من الأبحاث التي قام بها العلماء وورد اسم تدمر لأول مرة في نقش يرجع تاريخه إلى أيام الملك تجلات بلاسر الأشوري على هذه الصورة " تدمر أمورو" وعرفت عند كتاب اليونان باسم بلميرا[3]، ويعتقد بعض العلماء أن كلمة بلميرا مشتقة من كلمة (Palma) اللاتينية والتي تعني النخلة، ويعتقد أنها سميت بهذا الاسم وذلك عندما تغلب الاسكندر المقدوني على تدمر ورأى كثرة أشجارها من النخيل فأطلق عليها إسم (Palmyra) أي مدينة النخل[4].

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 130 .

[2]- نفسه، ص158 .

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 173 .

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 76 .

في حين ينسب بعض الباحثين كلمة بلميرا إلى كلمة ثامار العبرانية، وهي تعني النخلة، وأن ثامار العبرانية[1] اسم لموضع أو بلدة تقع إلى الجنوب الشرقي من يهوذا ويذكرون أن ثامار هي البلدة التي بناها سليمان عليه السلام وأطلقوا عليها اسم تدمر[2]، إلا أن ورود اسم ثامار على هذه الصورة كان نتيجة خطأ ارتكبه كتبة ( أسفار أخبار الأيام ) فخلطوا بين ثامار الواقعة جنوبي البحر الميت، وبين تدمر المدينة المشهورة[3].

إن نسبة بناء تدمر إلى جملة المباني التي بناها سليمان، هو أن هذه المدينة قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين ( أسفار أخبار الأيام )، وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين سنة 300 و200 ق م [4].

أما الرويات العربية، فهي روايات متأخرة وقد أخذت عن التوراة، فيما ذهبت إليه وأنّ تدمر مما بنته الجن لسليمان إذ يقول النابغة الذبياني :

إلاّ سُـلـيـمـانَ إذ قـالَ الإلـهُ لـهُ قُمْ في البريَّةِ فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ
وجيِّش الـجِنَّ إنّي قـد أَذِنْتُ لهمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَـمَـد[5]

ولكن هناك من الأخباريين من يذهب عكس هذه الرواية، ويرون أن بناء تدمر كان قبل سليمان، وأن الناس إذا رأوا بناءا عجيبا جعلوا بانيه وأضافوه إلى سليمان والجن[6].

والواقع أن تدمر، لم تكن من بناء سليمان لأن ملكه لم يمتد إلى هذه البلاد، وأغلب الظن أنها نشأت حول منبع مائي في البادية فقصدها البدو واستقروا في واحاتها، وبدأت تظهر منذ ذلك الحين كمركز تجاري هام وطريق للقوافل بين العراق والشام[7].

---

(1)- التوراة، سفر حزقيال، **الاصحاح 47**، الآية 19، ص 630 .

(2)- التوراة، **أخبار الايام الثاني**، الاصحاح 8، الآية 40، ص 349 .

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 172 .

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 79 .

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 173 .

(6)- ياقوت الحموي، الرجع السابق، ج 2، ص 17 .

(7)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 17 .

وقد عثر على رقيم أشوري في منطقة كبادوكيا، وهي مستعمرة للأشوريين تعود إلى النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد، يذكر اسم شخص اسمه بوزرعشتار التدمري، كما ذكرت تدمر بعد ذلك في رقمين من مدينة ماري (تل حريري على الفرات) يعودان للقرن 18 ق م، الأول يذكر أربعة رجال تدمريين، كما جاء في الرقيم الثاني وأن ستين سوتيا ( أراميا ) ذهبوا لينهبوا تدمر لكنهم عادوا صفر اليدين بعد أن قتل التدمريين رجلا من آراميا[1].

ومن الإخباريين من يرى أن بناء تدمر إنما يعود إلى (تدمر بنت حسان بن أذنية ابن السميدع بن يزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح )[2].

ومن الكلاسيكيين (بلينوس) من أشار إلى مدينة بلميرا، حيث ذكر أنها مدينة شهيرة ولها موقع ممتاز، أرضها خصبة، وبها ينابيع وعيون، تحيط بحدائقها الرمال[3]. وأقد إشارة إلى وجود العرب كجماعات متميزة تحمل هذا الاسم وتعيش في بادية الشام تعود إلى عهد شلمنصر الثالث (858 ق م –854 ق م)، حيث ذكر أحد النقوش أن شلمنصر قد حارب ملك دمشق، وكان إلى جانب هذا الأخير ألف راكب جمل من العرب بزعامة جندبو، ويبدو أن هؤلاء العرب كانوا على قدر من التنظيم وكانوا يعيشون في بادية الشام قريبا من دمشق[4].

وبالإضافة إلى الجانب الاقتصادي ( التجارة ) لعبت كذلك العوامل السياسية السائدة أنداك على نشوئها ذلك أنها كانت تقع بين امبراطوريتين كبيرتين: البارثنية (الفارسية) والرومانية المتعاديتين، فحافظت على توازنها، واستقلالها بينهما زمنا طويلا مستغلة موقعها المنعزل في قلب الصحراء[5]. وكان أهل تدمر خليطا من تجار ومزارعين، أما أطرافها وحواليها، فكانوا أعرابا ورعاة، وكانت مدينة يونانية لكنها لم تكن متأثرة بالهلينية في الشرق، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية، وكانت خاضعة للرومان، وبها حامية رومانية، لكن هذا الخضوع كان في الواقع

---

(1)– هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 160 .

(2)– ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 2، ص 17 .

(3)–Pliny, op.cit, V5, V176

(4)– هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 160 .

(5)– توفيق برو، المرجع السابق، ص 111 .

صوريا، كما ان الحامية لم تكن شيئا أمام أهل المدينة والقبائل المحيطة بها[1]، لكن هذا لم يمنع التدمريون الاقتباس من النظم اليونانية، فقد ظهرت لديهم بعض المؤسسات ذات الشبه الكبير بالمجالس اليونانية كمجلس الشيوخ (Boule)، ومجلس الشعب (Demos)[2].

وقد تأثروا كذلك بالتنظيمات القانونية والإدارية الرومانية، وأخذت سلطة رأس مجلس المدينة (رأس تدمر) تطغى على بقية السلطات، وبدأ النظام يتجه نحو النظام الملكي في الحكم، وقد اقترن هذا التطور باسم أسرة عربية من أهل تدمر، كان يتزعمها رجل يدعى ( أذينة ) وتوارث رجال هذه الأسرة الحكم[3]، وقام الحكم في تدمر على سلطة تنفيذية يرأسها شيخان، وبجانبها ديوان مؤلف من مجموعة من الأعضاء، بالإضافة إلى مجلس الشيوخ الذي يتمتع بحق إصدار القوانين وتقرير الضرائب، فازدهرت واتسعت تجارتها وتضخمت ثروتها ونشط عمرانها[4].

استطاع التدميريون إنشاء دولة بكل أركانها من إقليم وشعب أغلب سكانه من العرب، وسلطة سياسية سمحت للمرأة أن تكون حاكمة وتسير هذه البلاد، كما كان الشأن بالنسبة للزباء أو زنوبيا والتي أجمعت المصادر اليونانية واللاتينية والعربية على أنها كانت قديرة على إدارة شؤون البلاد[5].

## المبحث الثالث: المناذرة

### 1- دولة الحيرة: (المناذرة)

وتسمى كذلك هذه الدولة دولة المناذرة نسبة إلى كثرة ملوكها الذين حملوا اسم المنذر، كما سميّت بالدولة اللخمية، لأن هؤلاء الملوك كانوا ينتمون إلى العشيرة اللخمية " بنو لخم " كما أطلق عليها اسم دولة الحيرة لأن عاصمتها كانت مدينة الحيرة، وتقع الحيرة ضمن

---

(1)- جواد علي المرجع السابق،ج3، ص 83 .

(2)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص64.

(3)- نفسه، ص65.

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 14 .

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 180 .

منطقة السهل الرسوبي لبلاد ما بين النهرين عند الأطراف الشمالية الغربية لبادية السماوة، وهي تبعد بمسافة 15 كلم إلى الجنوب الغربي من الكوفة، ونحو 10 كلم جنوب شرقي النجف، نشأت مدينة الحيرة في منطقة سهلة منبسطة على حافة البادية، وفيما بين نهر الفرات وبحر النجف[1](*) .( انظر الخريطة رقم : 11 )

وقد ذكر الإخباريون أن بحر فارس كان يتصل بالنجف، ويقال الحيرة الروحاء[2]، وكان مكان الحيرة من أطيب البلاد وأرقه هواءً وأخفه ماءً وأعذاه تربة وأصفاه جوًا، قد تعالى عن عمق الأرياف، واتضح عن خزونه الغائط واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام، لأنها كانت من البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرها[3].

## 2- نشأة دولة الحيرة:

أما عن تاريخ نشأتها فتذكر الروايات والمصادر التاريخية أنه لما حدث سيل العرم، تمزقت عرب اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام، وكانت تنوخ وهم من إحياء الأزد، ممن هاجر إلى العراق وقد سمي هؤلاء بهذا الاسم، لأنهم تحالفوا مع قبائل أخرى عربية في البحرين قبل قدومهم إلى العراق[4]، واجتمعوا هناك وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر والتناصر، فصاروا يدا على الناس، وضمهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر[5]،وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه، واهتبنوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فاجمع رؤساؤهم بالمسير إلى العراق[6].

---

(1)-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 203.

(*)- بحر النجف : بقعة رملية من بقايا الترسبات البحرية تؤلف بحيرة.

(2)- ياقوت الحموي، المرجع السابق،ج5، ص 328 .

(3)- البكري، المرجع السابق، ج 1، ص 479 .

(4)- الاصفهاني، المرجع السابق، ص 82 .

(5)- الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 209 .

(6)- نفسه.

نستنتج مما سبق أن هجرات التنوخيين قد كانت على فترات زمنية، وأن الاستقرار في بادية العراق كان بسبب ضعف ملوك الطوائف، وأن الهجرة من البحرين إلى العراق كان على ما يبدو لقلة وشح الموارد الطبيعية فيها، وأن نزول قبيلة تنوخ في أماكن متفرقة كالأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى الفرات وغربية إلى ناحية الأنبار وما والاها[1].

يتضح مما سبق أن التنوخيين قد كانوا يعيشون في بداية قدومهم إلى الحيرة عيشة بدوية، وكانوا برفضهم السكن في بيوت المدر يسكنون الخيام، وقد تملك على تنوخ العراق مالك بن فهم وكان منزله بالأنبار[2]، وقد أشير إلى أنّ مالك بن فهم حكم عشرين سنة، واستطاع مدّ سلطانه على القبائل العربية المقيمة في الجزيرة العربية، فضلا عن منطقة الأنبار والحيرة[3]، وقتل مالك بن فهم برمية سهم خاطئة[4].فملك من بعده أخوه عمروبن فهم، ولما هلك هذا الأخير، ملك من بعده جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم[5] .

كان جذيمة الأبرش حسب الاخباريين أفضل ملوك العرب رأيا وأشدهم نكاية، وأول من استجمع له الملك في أرض العراق، وضمّ إليه العرب وغزا بالجيوش[6]، وأنه أول من ملك الحيرة[7]، وأنه كان له نديمين فلقب بصاحب النديمين ويضرب بهما المثل وهما مالك وعقيل[8]. وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان، وكان مكانهما بالحيرة يستسقي ويستنصر بهما على العدو[9].

---

(1)–الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 201.

(2)– الأصفهاني، المرجع السابق، ص 83.

(3)– هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 205 .

(4)– الاصفهاني المرجع السابق، ص 83 .

(5)– الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 210 .

(6)– نفسه، ص 210.

(7)– المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع السابق، ص 16 .

(8)– المسعودي، **التنبه والاشراف**، المرجع السابق، ص 158 .

(9)– الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 211 .

ونستطيع أن نقول أن جذيمة قد جمع بين السلطة السياسية والسلطة الدينية فقد كان ملكا وكاهنا في نفس الوقت. لقد اضطر جذيمة أن يتحالف مع الدولة الساسانية، ويسير في ركب سياسة أنوشروان من أجل المحافظة على الدولة الناشئة، فلم تعجب سياسته هذه بعض حلفائه من رجال القبائل العربية، ففضلوا مغادرة العراق، وقد طال عمر جذيمة على حدّ قول الاخباريين، وكانت نهايته على يد الزباء[1]، وهي ابنة عمرو بن ظرب، الذي غزا جذيمة بلاده ودارت حرب بين الطرفين حيث قتل عمرو بن ظرب، فملكت ابنته الزباء، والتي قامت باستدراج جذيمة ثمّ قامت بقتله لكنها قتلت فيما بعد من طرف ابن أخت جذيمة (عمرو بن عدي)[2].

وقد جاء اسم جذيمة (جديمت) في نص نبطي ويوناني عثر عليه في ( أم الجمال) جاء فيه: " هذا موضع أي قبر فهر بن شلي ( سلي) مربى جديمت ملك تنوخ، ولهذا النص أهمية كبيرة لأنه يشير إلى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام، ومن الصعب استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع، أكان زائرا هذه الديار فأدركه أجله فقُبر هناك، أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان، فمهما يكن من شيء فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر واسم جذيمة ملك تنوخ[3].

## 3- ملوك الأسرة اللخمية:

**أ- عمروبن عدي:** وصار الملك لابن أخت جذيمة عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، وذلك أنه لم ينجب ولدا فكان أقرب الناس إليه ابن أخته[4]، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب، وكان منفردا بملكه يغزو المغازي، ولا يدين لملوك الطوائف إلى أن ملك أردشير بن بابك أهل فارس[5]، وكان هذا الملك قد سار على سياسة سلفه في

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 183 .

(2)- الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص، ص، 213،212 .

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 184 .

(4)- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 84 .

(5)- ابن الأثير، المرجع السابق، ج 1، ص 351 .

إقامة علاقات تعاهد وتحالف مع الساسانيين، وأصبح أكبر ملك عربي يحكم العراق، مما أدى إلى التفاف أبناء القبائل العربية حوله[1].

**ب- إمرؤ القيس الأول (288 م- 328 م)** : هو ابن عمرو بن عدي تولى الحكم بعد وفاة والده[2]، ويبدو أن هذا الملك كان عظيما وأنه كان من عمال سابور (ملك الفرس) وكان محاربا عظيما تمكن من إخضاع قبائل العرب في شبه الجزيرة[3]، وبلغت الحيرة في عهد إمرئ القيس درجة كبيرة من قوة النفوذ، وسعة السلطان، ولقب بـ " ملك العرب كلهم"[4].

**ج- النعمان الأول (390 م – 418 م)**: هو ابن إمرئ القيس الثاني، وقد لقب بالنعمان الأعور، وحظي بشهرة كبيرة بين ملوك الحيرة[5]، وكان النعمان من أشد ملوك العرب نكاية في الأعداء وأبعدهم مغازا، غزا الشام مرارا كثيرة، وأكثر المصائب في أهلها وسبي وغنم، وكان ملك فارس قد أنفذ معه كتيبتين الشهباء وأهلها الفرس، ودوسر وأهلها من تنوخ[6]، فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب، وكان صارما، حازما، ضابطا لملكه، وقد غادر النعمان الملك اختياريا بعد تأثره بالتعاليم المسيحية[7].

**د- المنذر الأول بن النعمان الأول (418 م- 462 م)**: وقد تولى هذا المِلك المُلك بعد تخلي والده الاختياري عنه[8]، وقد ساعد هذا الملك بهرام الفارسي في استعادة عرشه من دولة فارس، وقد نجح في ذلك واحتل بذلك مكانة لدى بهرام ملك فارس، وساعده فيما بعد في حروبه ضد الروم، وتولى الملك بعد وفاة المنذر الأول خمسة ملوك لكن لم تسجل لهم انجازات واضحة، في حين واصلوا سياستهم التي تعتمد على التحالف مع الساسانيين ضد البيزنطيين[9].

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص210.

[2]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 88 .

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 229.

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 211.

[5]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 88.

[6]- الأصفهاني، المرجع السابق ، ص 89 .

[7]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 235 .

[8]- الاصفهاني، المرجع السابق، ص 91 .

[9]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 218 .

**هـ- المنذر الثالث بن امرؤ القيس (505 م -554 م)**: وقد أطلق على المنذر الثالث بن أمرؤ القيس بن النعمان " ابن ماء السماء " لأن أمه ماوية بنت عوف تدعى ماء السماء لجمالها[1].

وقد بلغت دولة الحيرة في عهده أقصى درجات ازدهارها، ووصفه معاصروه من أتباع خصومه البيزنطيين أنه عدو شجاع جسور ومكار، وبعد أن استطاع المنذر أن يؤمن نفوذ دولته لدى الفرس والبيزنطيين، وبين القبائل العربية في العراق وبادية الشام ووسط شبه الجزيرة العربية، أخذ يمارس دورا دبلوماسيا واضحا في العلاقات بين الدول وفي سياسة المنطقة، واستطاع الحصول على اعتراف البيزنطيين والفرس وما يدل على هذا ما جاء في الرقيم الذي نقشه أبرهة بمناسبة إعادة بناء سدّ مأرب وحضور دولة اللخميين والغساسنة هذا الحفل، وقد قتل على يد الحارث بن جبلة الغساني الموالي للروم[2].

**و- عمرو بن المنذر ابن هند (554 م -559 م)**: وتولى الحكم بعد مقتل والده (المنذر الثالث)، واستمر نفوذ هذه الدولة على القبائل العربية فشمل نفوذه قبائل: العراق، بادية الشام والبحرين، ووسط الجزيرة وكان بلاطه مقصدا للشعراء[3]، واستمرت صداقة هذه الدولة وتحالفها مع الدولة الساسانية [4]، وكان هذا الملك متكبرا معجبا بنفسه، ولم تكن هذه الصفات تعجب العرب، وقد دفع حياته ثمنا لخروجه عن تقاليد العرب، فقد ذكر أنّ هند أم عمرو قد أهانت بإيعاز منه أم الشاعر عمرو بن كلثوم في مأدبة أقامها في ظهر الحيرة للشاعر وأمه ورهطه، فاستشاط الشاعر غضبا وقتل عمرو بن هند[5]، وبعد مقتله تولى الحكم أخوه قابوس ثمّ أعقبه حاكم فارسي (شهرب)، ثمّ تسلّم الحكم أخ عمرو بن المنذر (المنذر الرابع)

---

[1]- الاصفهاني، المرجع السابق، ص 92 .

[2]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص، ص، 218، 222 .

[3]- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 92 .

[4]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 223 .

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 254 .

الذي واصل سياسة التحالف مع الساسانيين في حربهم مع البزنطيين وقتل في إحدى المعارك ضدهم[1].

**ي- النعمان بن المنذر**: حاول النعمان المحافظة على نفوذ دولته بين القبائل العربية، فامتد سلطانه جنوبا إلى منطقة البحرين[2]، ويبدو أن النعمان قد حاول أن يمارس نوعا من الاستقلالية في علاقته مع الإمبراطورية الساسانية بعد أن أمعنوا في التدخل في شؤون الحيرة الداخلية، مستغلين علاقات التحالف بين الدولتين وضعف ملوك الحيرة[3].

وقد قتل النعمان على يد كسرى ( ملك الفرس ) بعد أن طالب هذا الأخير أن يبعث إليه بإحدى نساء أهل بيته فرفض النعمان وكان جزاؤه القتل، ثمّ قام كسرى بالمطالبة بتركة النعمان، والتي كانت وديعة عند بكر بن وائل فرفضت هذه الأخيرة طلب كسرى، وجرت معركة بين الطرفين[4]، في موضع ذي قار وهو موضع فيه ماء قريب من الكوفة، كانت تقصده قبيلة بكر بن وائل في الصيف، فقيل معركة ذي قار لأنها وقعت بالقرب من هذا الموضع[5]، وانهزمت الفرس في هذه الموقعة واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب وغنيمة[6].

مما سبق وما تمّ عرضه نقول أن دولة الحيرة قامت على أساس تحالف قبلي، وتعاهدوا على التنوخ، فكان ملوك الحيرة زعماء تحالف قبلي وكان الملك يمثل السلطة السياسية والعسكرية لهذه القبائل خاصة في أوقات الحروب، لكن ظلت القيم القبلية سائدة في مجتمعهم .

ولحاجة الإمبراطورية الساسانية لهذه الدولة الحاجزة لهجمات القبائل البدوية والإمبراطورية البزنطية، سعت إلى إقامة تحالفات وتعاون مع دولة الحيرة، وفي المقابل وجد المناذرة أن من مصلحتهم إقامة هذه العلاقات والمحافظة عليها، وقد قدم الساسانيون لملوك الحيرة بعض الأراضي الزراعية على حدود الفرس لاستثمارها لصالحهم والإنفاق على القبائل العربية منها [7].

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 225 .

[2]- الطبري، المرجع السابق، ج 1، ص 216 .

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 225 .

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص233

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 293 .

[6]- ابن الأثير، المرجع السابق،ج1، 490 .

[7]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 232 .

كانت أرض الحيرة تتغير حسب الظروف المحيطة، وكان أساسها قبيلة تنوخ التي تمثل الشعب في المفهوم الحديث، بالإضافة إلى السلطة السياسية الحاكمة والمتمثلة في الملوك، وكانوا يفرضون نفوذهم وسلطتهم إما من خلال رؤساء القبائل المتعاونين معهم أومن خلال القوة العسكرية التي يمتلكونها[1].

إنّ النظام السياسي في دولة الحيرة مرتبط أساسا بالنظام الاجتماعي حيث أن غالبية المجتمع من العرب تسيطر عليهم النظم القبلية والعصبية، كالانتساب للقبيلة والتعصب لها.

## المبحث الرابع: الغساسنة

### 1- دولة الغساسنة:

أصلهم من اليمن كما يذكر الإخباريون من قبيلة الأزد، لأن الأزد لمّا خشيت السيل تفرقت (سيل العرم)، فتشاءم قوم، ونزلوا على ماء يقال له غسان فصيروه شربهم، فسموا غسان، ثمّ أنزلهم ثعلبة بن عمرو الغساني ببادية الشام، والملوك بها من قبل القياصرة سليح بن حلوان فضربوا عليهم الإتارة[2]، كما يطلق أيضا على الغساسنة آل جفنة، وبأولاد جفنة لانتسابهم إلى جد أعلى يدعونه جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرؤ القيس[3]، وقد اختلف الإخباريون في تحديد مكان ماء غسان، فذكروا أن غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة، وهي قرية على الطريق بين مكة والمدينة[4]، ومن القبائل التي نزلت عند هذا الماء، الأوس والخزرج، وبنو جفنة وخزاعة فسمّو به[5] .

يتضح مما سبق أن الغساسنة ليسوا أبناء أب واحد أو قبيلة واحدة، وإنما هم عبارة عن تحالف مجموعة من القبائل حول منبع مائي كان سببا في استقرارهم ولقد نجحوا في تأسيس دولة تحت حكم آل جفنة الذين استطاعوا بسط نفوذهم على بقية القبائل.

---

(1)-هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 232 .

(2)- الأصفهاني، المرجع السابق، ص 100 .

(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 203 .

(4)- ابن هشام، المرجع السابق،ج1، ص 9 .

(5)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج 4، ص 203 .

وقد تمكّن الغساسنة من انتزاع الملك من بني سليح بالقوة حسب روايات الإخباريين وهم (بنوسليح) من العرب، وكانوا يحكمون قبلهم هذه المنطقة (الشام) ويدعون بالضجاعمة[1]، واتخذ الروم من الغساسنة حرسا لحدودهم الشرقية ضد غارات البدو والذين كانوا ينزلون على أطراف الإمبراطورية، كما عقدوا معهم عدة اتفاقيات[2].

## 2- أشهر ملوك الغساسنة:

**أ- الحارث بن جبلة ( 529 م -569 م )**: هو أول أمراء الغساسنة الذي ذكره المؤرخ السرياني أبو نيس ملالاس على أنه كان عاملا للروم[3]، ويكاد يجمع الإخباريون أنه ابن امرأة اسمها مارية ذات القرطين بنت عمروبن جفنة[4]، وذكر ملالاس أن الحارث بن جبلة (ALMUNDARUS) حارب المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وانتصر عليه في سنة 528 م، وجاء في معرض حديثه هذا ذكر أميرين هما جنوفاس (جفنة) ونعمان من أسرة الحارث بن جبلة[5].

كان يعدّ الحارث بن جبلة لدى عامة الناس ملكا، كما أضافت إليه النقوش السريانية صفات أخرى، فوصفته " بالأمجد " وطويل العمر و" التقي "، " محب المسيح "، وفي سنة 569 م أو في أوائل 570 م توفي الحارث بن جبلة وقد استمر طيلة حياته في التحالف مع البيزنطيين ضد الفرس، فنتج عن ذلك صراع بين الغساسنة والمناذرة حلفاء الفرس[6].

**ب- المنذر بن الحارث (569 م -582 م)** : بعد وفاة الحارث بن جبلة انتقلت الإمارة إلى ابنه المنذر المعروف في المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية باسم

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 392 .

(2)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 98 .

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 199 .

(4)- الاصفهاني، المرجع السابق، ص 102 .

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 199.

(6)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 551 .

(Alamundaros)[1]، وكان يلقب بالمنذر الأكبر، تميّزا عن أخيه المنذر الاصغر[2]، واستهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس والذي انتصر عليه في معركتين، وقد زار المنذر القسطنطينية، واستقبل عند وصوله إليها بكل احترام وتبجيل، وأنعم عليه القيصر (طيباريوس) لقب (Rex) وبالتاج، وهو لقب كان له شأن كبير في إمبراطورية الروم نتيجة لخدماته نحوهم[3]، لكن ما لبثت العلاقات أن ساءت بين الطرفين واتهم المنذر بالخيانة، وتمّ نفيه إلى جزيرة صقلية، وقطع المعونة السنوية التي كانت تقدّمها بيزنطا لأسرة الغساسنة[4].

**ج- النعمان بن المنذر (558 م -583 م)**: هو ابن المنذر بن الحارث الغساني وهو أكبر إخوته، تميّز بذكائه الحاد ومقدرته القتالية العالية، وحينما علم بنبإ إلقاء القبض على والده تولى مع إخوته محاربة الروم البيزنطيين وقام بقيادة جيشه مهاجمة معسكر (ما جن ) الذي اعتقل فيه والده فنهبه وتركه قاعا صفصفا، وكذلك النواحي القريبة من مقاطعة عرابية وسوريا وما جاورها، ثم أوغلوا في الصحراء حيث ضربوا لأنفسهم معسكرا كبيرا[5]، وقد تمكّن البيزنطيون وعن طريق الخديعة من أسر النعمان وإرساله إلى القسطنطينية[6].

بعد القبض عن النعمان تصدع بناء الغساسنة، وانقسم الأمراء على أنفسهم إلى خمسة عشرة فرقة، تركت بعضها ديارها وهاجرت إلى العراق وتشتت الباقون، ولم يبق لهم شأن يذكر[7].

وعقب هذا التصدّع حدثت اضطرابات في الأمن، وفوضى بين القبائل التي أخذت تتنافس فيما بينها للحصول على الرئاسة والسيادة، الأمر الذي حمل الروم على التفكير في اختيار رئيس قوي، من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل وإعادة الأمر إلى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة[8].

---

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 205. .

(2)- الاصفهاني، المرجع السابق، ص 102 .

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص،ص، 412، 414 .

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 205.

(5)- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 255 .

(6)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 207 .

(7)- جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 417.

(8)- نفسه.

ولم تشر المصادر اليونانية أو السريانية إلى أي ملك من آل جفنة بعد النعمان بن المنذر مما يدل هذا على فشل الروم في تنصيب ( عامل أكبر )، يقوم بدور شبيه بدور الملوك الغساسنة، وأن من تمّ إختيارهم لهذا الدور كانوا مجرد شيوخ عشائر قاموا بدور محدود في إدارة شؤون قومهم[1].

ويختلف الإخباريون حول أسماء الملوك الغساسنة بعد المنذر بن الحارث اختلاف كبير، ويظهر من رواياتهم أن أبرز رجل من غسان بعد النعمان بن المنذر هو الحارث الأصغر ثمّ الحارث الأعرج ثم حجر بن النعمان ثم جبلة بن الأيهم وهذا الأخير حارب الفرس إلى جانب الإمبراطور هرقل في حملته ضدّ فارس لاسترداد الأراضي التي اغتصبوها في بلاد الشام وغيرها ولإعادة الصليب المقدّس[2].

نستنتج مما تقدم أن دولة الغساسنة كانت عبارة عن تحالف قبلي عند ماء غسّان، وبعد انتقالهم إلى بادية الشام استطاعوا الوصول إلى مرتبة الرئاسة بتغلبهم وبسط نفوذهم على بقية القبائل العربية المتواجدة هناك، وكانت غايتهم الوصول إلى الملك، وهوما كان لهم بتأسيس دولتهم، وكانوا يعتمدون في معاشهم على موردين: الأول الرعي، والثاني المنح التي كانت تصلهم من الدولة البيزنطية مقابل تأمين حدودهم من غارات البدو، وكانت يشاركون البيزنطيين في حروبهم ضد الفرس.

فأدّي هذا إلى ظهور أسرة حاكمة تتألف من الملك وإخوته وأبنائه، وهم بذلك يمثلون السلطة السياسية لهذه الدولة، القائمة على الوراثة، وكان للطابع العسكري الذي طبع حياة الغساسنة في الشام واشتراك جميع القادرين على القتال من الغساسنة في الحروب، أن اصبح مفهوم العسكر أو الجيش مرادفا لمفهوم الشعبأ والاتحاد القبلي[3]، وكانت الأرض التي عاش عليها الغساسنة هي بادية الشام، وبذلك استوفت هذه الدولة الأركان الأساسية في قيامها.

---

[1]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 256 .

[2]- عبد الحكيم الكعبي، المرجع السابق،ص109.

[3]- هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 257 .

# خاتمة

ارتبطت حياة العرب في الفترة القديمة ارتباطا عضويا بالبيئة الجغرافية التي ولدوا وعاشوا فيها، وقد شهدت أرض الجزيرة العربية لونا من التضاد الجغرافي يستلفت النظر، حيث الجبال الشاهقة والأغوار المنخفضة، كما شهدت أرض الجزيرة العربية لونا من آخر من التضاد في مناخها، حيث عرفت البرد القارس والحر اللافح ويبدو أن هذا التضاد أثر في أخلاق سكانها، فانقسم المجتمع القديم إلى بدو وحظر.

ولما كانت طبيعة الجفاف الغالبة على جزيرة العرب، غلبت البداوة على الاستقرار، وأثرت في النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولم يستطع البدوي تجاوز مفهوم القبيلة، وأن يتصور مجتمعا أكثر كمالا، كما أنه ليس لديه فكر اجتماعي، ولا يتعدى مفهومه حدود المنفعة الفردية، ومن هنا تتشكل عيوب حياته، ونظرا لهذا النهج الفكري الفردي، فإنه لا يستطيع أن يقيم كيان سياسي ومجتمع متكامل الأركان، في حين استطاع الحظر تأسيس أنظمة سياسية تختلف من منطقة إلى أخرى بتوفر عوامل طبيعية كالمياه، واقتصادية بممارسة الأنشطة المختلفة والمناسبة.

حفل المجتمع العربي بظواهر اجتماعية معينة، ساعدت على توحيد أفراده ضمن القبيلة الواحدة، ودفعت القبائل إلى نوع من التفكير باتجاه الوحدة والتماسك، فقد أدت العصبية القبلية القائمة على أساس رابطة النسب أو الدم وسيلة للتكتل وجمع الشتات في ظل غياب وسائل أخرى تدعو إلى ذلك، فالقبيلة عماد الحياة، ولم يفهم العربي الدولة إلا على أنها دولة القبيلة وارتبطت حياة البدو بالحاجة إلى الأحلاف، بفعل تفاوت قدرة القبائل على دفع الغزو وحماية النفس وكبح جماع المعتدين، فتشكلت أحلاف دفاعية، كما وجدت أحلاف لأغراض هجومية، أما الحظر فاحتموا بأرضهم وفي طبيعة الحياة التي يعيشونها، مما خفف من حاجتهم إلى الأحلاف كما فرضت ظروف البادية على المجتمع العربي من حيث هو ضرورة اقتصادية، الإشتراك في الماء والكلأ، وهو ذا قيمة حيوية للقبيلة، تدفع أفرادها إلى التكتل والالتفاف.

وكان لازدواج مظاهر الطبيعة انعكاس على مظاهر الحياة الاجتماعية فهناك دائما هذا الأسلوب من العيش الرعوي، حيث ينبت المرعى وهذا الأسلوب من العيش الزراعي حيث

تفلح الأرض وبالتالي[1] الاقتصادي، فهناك اقتصاد الرعي واقتصاد الزراعة، إلى جانب ذلك اقتصاد تجاري أتاحه مركز الجزيرة من العالم القديم المتحظر.

كما انقسم المجتمع العربي إلى طبقات، كان العرف القبلي يضع حدا بين فئاته، وانتشرت بينهم صفات وأخلاق عدّ الكثير منها من مكارم الأخلاق، وانتقل التضاد إلى مكانة المرأة داخل هذا المجتمع، لما تعرضت إليه في بعض القبائل العربية( وأد البنات)، إلى تمتعها لا سيما الشريفة منها بقسط وافر من الحرية، وكان الزواج أساس الأسرة والذي تعددت أشكاله.

وقد حصلت بعض الأحداث السياسية والعسكرية والتي ساعدت على التفكير في تغيير الواقع الاجتماعي نحو الوحدة، ونذكر في هذا السياق معركة ذي قار الشهيرة، والتي كانت التعبير الناضج عن ذلك الشعور المشترك بالحاجة إلى نمط جديد في العلاقات بين مختلف القبائل في الجزيرة العربية، ولا سيما المناطق المتاخمة لمناطق الحدود بين الدولتين، الفارسية والبيزنطية، كما كان للأسواق العربية دور في المضي نحو الوحدة اللغوية.

وكانت طرق القوافل تخط من أطرافها الأربعة، وقد امتاز عرب الجنوب بالتجارة بين الهند ومصر، ودول بحر الروم (البحر المتوسط)، وأسسوا لهم مستعمرات في شمالي الجزيرة على خطوط المواصلات والتي أصبحت مع الأيام دويلات ذات شأن: أنباط البتراء، عرب تدمر، غساسنة بصرى، ولخمي الحيرة، وكان منهم آل يثرب في الحجاز وآل كندة في نجد وبعد خراب سد مأرب بسيل العرم، رحل عدد كبير من أبناء الجنوب قاصدين ديار عدنان.

وامتازت أنظمة أهل الجنوب، وكذا أنظمة دول الشمال ووسط الجزيرة بمفاهيم سياسية مشتركة، انفردت بها دول اليمن بداية ثم شاعت وانتشرت لدى الكيانات السياسية الشمالية عقب هجرات اليمنيين نحو الشمال، ولعل أبرز هذه المفاهيم قيام هذه الكيانات السياسية المعبر عنها حديثا " الدولة"، والتي يقصد بها الشعب والجماعة الحاكمة له في أرضه.

ولعب الدين دورا جوهريا في تأسيس هذه الدولة لنا له من تأثير في حياة سكان شبه الجزيرة العربية خاصة الحضر منهم، ولا يشترط أن تكون دولة كالدولة الرومانية أو الساسانية، فقد تكون قبيلة أو أكبر و أوسع مثل دولة الحيرة، أو دولة الغساسنة، أو دول اليمن المعروفة.

نجد الشعب يعني لدى أغلب قبائل وسط شبه الجزيرة العربية القبيلة والتي هي أصل الدولة ونواتها، تقوم على رابطة الدم ووطن القبيلة الأرض التي نشأت فيها، والأرض التي هي عليها، فمن القبيلة ومن شعبها تكونت الدول.

إن هذا المفهوم سرعان ما أخذ بعدا آخر خاصة في المناطق أكثر تحضرا، فالدولة في اليمن تجمع قبائل عديدة كما تظم طوائف وفئات رسمت لها فلا تتجاوزها، وجعل من الملوك وأصحاب الأرض والمعبد في أعلى المنازل، ثم تأتي الطبقات الأخرى حسب قوتها.

استنادا إلى كتابات عثر عليها في شمال الجزيرة، فإن الدول التي نشأت هناك كانت على نمط نظام دول اليمن، حيث يشعر سكان مدنها وقراها أنهم كالقبيلة من أصل واحدة، خاصة أمام الأخطار المحدقة بهم، ونفس الشعور الذي شهدته مدن الحجاز، ونواح عديدة من شمال الجزيرة العربية مثلا عندما غزا أبرهم الحبشي المنطقة.

ونسجل أيضا أن سكان المدن والقرى يعبرون بـ (أهل)، (آل)، فيقال مثلا: أهل مكة، آل مكة، أو أهل سبأ أو آل سبأ، ويراد بذلك سكان مكة، سكان سبأ، وهو ما يعني شعب في التعبير الحديث.

وقد عملت وسائل الاختلاط كالتجارة مثلا وسد وشمال الجزيرة على إخراج هذه المناطق من عزلتها والاحتكاك بالمناطق الحضارية، ورغم ذلك فقد بقيت مناطق واسعة بدوية منعزلة مؤمنة بالقبيلة وحدها كرابط روحي لها، وباسمها تغزو وتحارب وتنظم.

# الملاحق

**الخريطة رقم 1: شبه الجزيرة العربية طبيعيا**

**سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص116**

**الخريطة رقم 2: التقسيم اليوناني والروماني للجزيرة العربية.**

**Ptolmy, op. cit.VII**

**الخريطة رقم: 3: التقسيم العربي لشبه الجزيرة العربية**

**سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، ط 6، مكتبة العبيكان، الرياض،2005 م ، ص 36.**

**الخريطة رقم 4: تضاريس الجزيرة العربية**

**سامي بن عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص 40**

**الخريطة رقم 5: الطرق والمراكز التجارية القديمة**

**سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 123.**

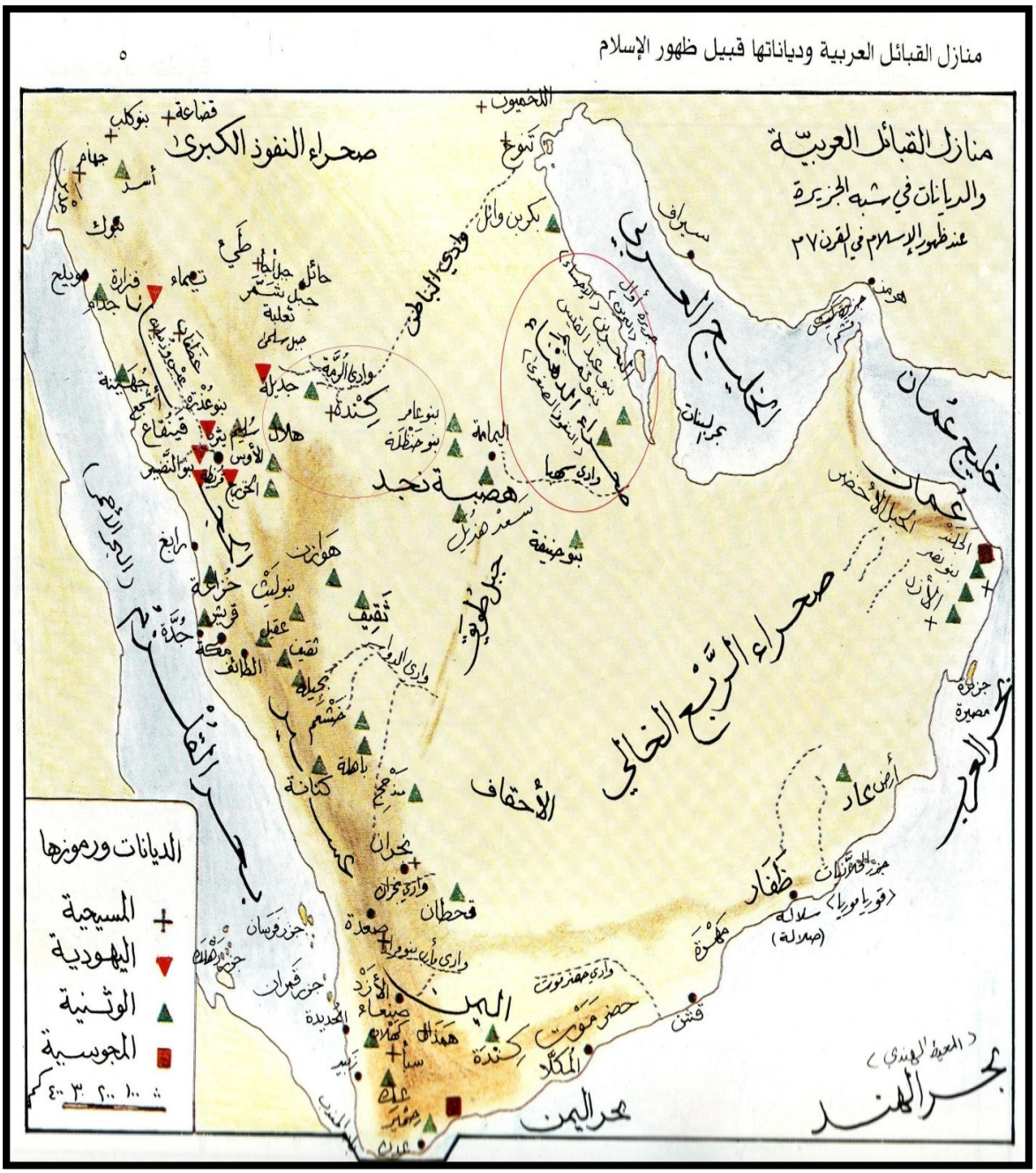


**الخريطة رقم 6: منازل القبائل العربية**

**سامي بن عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص 30.**

**الخريطة رقم 7: أسواق العرب**

**سامي بن عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص 43.**

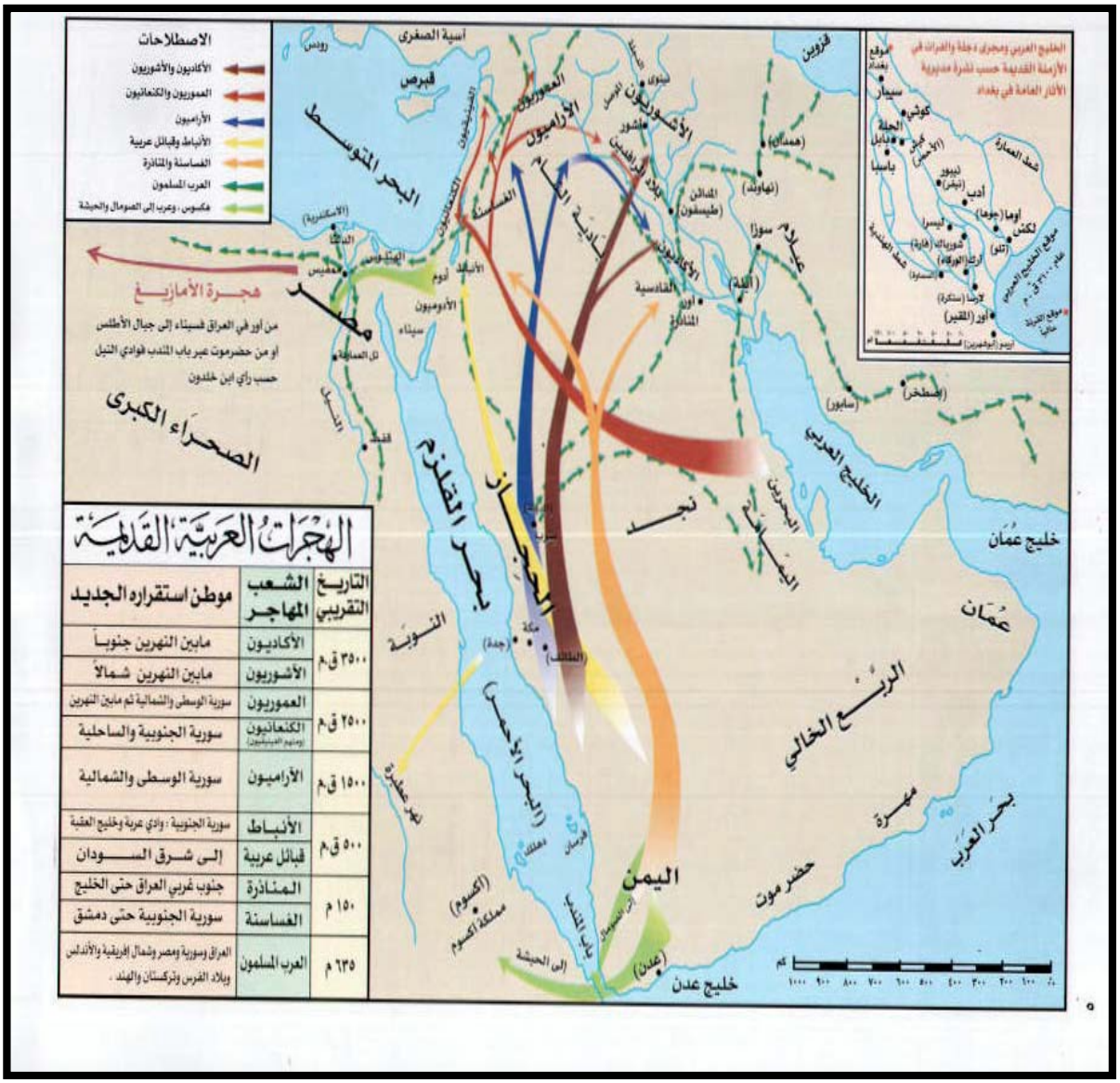


**الخريطة رقم 8: الهجرات العربية القديمة**

**شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1984 م، ص 5.**

**الخريطة رقم 9:دولة تدمر والأنباط**

**سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 130.**

**الخريطة رقم 10: دولة المناذرة و الغساسنة**

**سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص136.**

# المصادر والمراجع

## 1- قائمة المصادر:

### أ – باللغة العربية

1- التوراة

2- القرآن الكريم

3- هيرودوت ،تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح بدون طبعة ، المجتمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ،1996 م

### ب – باللغة الأجنبية

1- Diodor de cicile **,Bibliothéque Historique** ,T VIII , Trad :M.FredHoefer, Delahays Librairie,1851, Paris .

2- Pliny Natural History Trad George Rawilson Paris 1828.

3- Ptolmy Geography Vol 2 7

4- Strabon ,**géographie**, livre XVI, trad – par : AEDEE TARDIEU ,paris, 1867, Vl.

5- Theophrastus En Quiry in to Plants Translated by A.F Hort (Laed) Library VolII.

## 2- قائمة المراجع :

### أ- باللغة العربية :

1- ابن الكلبي ،**الأصنام** ، ط 3 ،تح :أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، مصر ، 1995م .

2- ابن حوقل ، **المسالك و الممالك** ، دون طبعة ، مطبعة بريل ، لندن 1873م .

3- ابن خلدون ،**المقدمة** ،دون طبعة ،ضبط :خليل شحادة ، مر :سهيل زكار ،دار الفكر ،لبنان ،2001م

4- ابن خلدون ،**كتاب العبر** ، تح :أبو صهيب الكرمي ،د ط ، بيت الأفكار الدولية الرياض السعودية ، دت .

5- ابن سعد ،**كتاب الطبقات الكبير** ، ط 1 تج : علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،مصر 2001.

6- ابن عبد ربه ،**العقد الفريد** ،ج 3 ،ط 3 ، تح :أحمد أمين و آخرون ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ،مصر 1969م.

7- ابن قوتيبة الدينوري ، **عيون الأخبار** ، ج 1 ، بدون طبعة ، تح : عبد المنعم عامر القاهرة ،1960م.

8- ابن كثير ،**البداية و النهاية** ، ج 1 ، ط 2 ، محمد ناصر الدين الألباني دار لإمام مالك للكتاب ، باب الوادي ، الجزائر، 2009م.

9- ابن هشام ،**السيرة النبوية** ، ج 1 ، دون طبعة ، تح : طه عبد الرؤوف سعد ،دار الجيل، بيروت، لبنان ، د ت .

10- أحمد أرحيم هبو ،**معالم حضارة الساميين و تاريخهم** ،ط 1 ،دار الرافعي ، سوريا ،2003م.

11- أحمد أمين ،**فجرالإسلام** ،ط 10 ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان 1969م.

12- أحمد أمين سليم ،**جوانب من تاريخ و حضارات العرب في العصور القديمة** ،د ط ،دار المعرفة الجامعية ، السويس ،مصر ،1997م.

13- أحمد أمين سليم ،**معالم تاريخ العرب قبل الإسلام** ،بدون طبعة ،مكتبة كريرية إخوان ،بيروت ،لبنان ،ب ت .

14- أحمد علي الناصري ،**الروم و المشرق العربي** ،دون طبعة ،مركز النشر لجامعة القاهرة ،1993م.

15- احمد فخري :**اليمن ماضيها و حاضرها** ،جامعة الدول العربية ،معهد الدراسات العربية العالمية ،القاهرة ،1957م.

16- أحمد فخري، **دراسات في تاريخ الشرق القديم** ،ط 2،مكتبة الإنجلو مصرية ،القاهرة ،د ت.

17- إسرائيل ولفنسون ،**تاريخ اللغات السامية** ،ط 1 ،مطبعة الاعتماد ،مصر ،1929م.

18- الأصفهاني ،**تاريخ ملوك الأرض و الأنبياء** ، دون طبعة ،مطبعة مظهر العجائب ، مصر 1922م.

19- الأعشى ،**ديوان الأعشى الكبير** ، شرح : محمد حسني ، د ط مكتبة الأدب مصر ، د ت

20- أغناطيوس غويدي ،**محاضرات في تاريخ اليمن و الجزيرة العربية قبل الإسلام** ، ط 1 ،تر:ابراهيم السامرائي ،دار الحداثة ،بيروت ،لبنان ،1987م.

21- الألوسي ،**بلوغ الأرب** ،ط 1 ،ج 2 ، تح : ابراهيم السامرائي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، العراق ،1982م.

22- الهمداني,الاكليل, ج8,نشره نبيه فارس,بغداد,1931.

23- الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ط1، تح:محمد بن علي الاكوع,مكتبة الارشاد، صنعاء ،اليمن 1990، ص ص326,330.

24- إيفاد قاجز ،**الشعر العربي القديم** ، ط 2 ،تر :سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر ،2010م.

25- باتريشيا كرون ،**تجارة مكة و ظهور الإسلام** ،ط 1 تر: آمال محمد الروبي ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،مصر ،2008م.

26- بشير رمضان التليسي ،**تاريخ الحضارة العربية الإسلامية** ، بدون طبعة ،دار المدار الإسلامي ،ليبيا،د ت .

27- البلاذري ، **انساب الأشراف** ، ج 1 ، دون طبعة تح : محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ .

28- بن عامر تونسي ،**قانون المجتمع الدولي المعاصر** ،ط 1 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998م.

29- بوزيان الدراجي ،**العصبية القبلية** ، ط 3 ،دار الكتاب العربي ، الجزائر 2003م.

30- الترسيسي ،**اليمن و حضارة العرب** ، دون طبعة ،القاهرة ،1981م.

31- توفيق برو ،**تاريخ العرب القديم** ،ط 2 دار الفكر المعاصر ،بيروت لبنان 1996م.

32- تيودورنولدكه، **اللغات السامية** ، تر :رمضان عبد التواب ،ط1 ، القاهرة ،1962م.

33- جرجي زيدان ، **العرب قبل الإسلام** ،ط 2 ،مطبعة الهلال ، مصر 1922م.

34- جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب** ،ج 1 ،ط2 ،جامعة بغداد ، العراق ،1993م.

35- حسن ابراهيم حسن ، **الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي** ،ج 1 ،ط 4 ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،مصر ،1996م.

36- حسين الحاج حسن ،**حضارات العرب في عصر الجاهلية** ،ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت ،لبنان ،1984م.

37- حسين الشيخ ،**العرب قبل الإسلام** ، دون طبعة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ،1993م.

38- الحميري ،**الروض المعطار** ،ط 2 ، تح : إحسان عباس ،مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م.

39- ديتلف نيلسون و آخرون ،**التاريخ العربي القديم** ،ط 3 ، تر : فؤاد حسنين علي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1978م.

40- ديزيره سقال ،**العرب في العصر الجاهلي** ،ط 1 ،دار الصداقة العربية ، بيروت ،لبنان ،1995م.

41- زغلول عبد الحميد ،**تاريخ العرب قبل الإسلام** ،د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1978م.

42- سبستينو موسكاني ،**الحضارات السامية القديمة** ،دون طبعة ، تر :السيد يعقوب بكر ،دار الرقي ،بيروت ،لبنان ،1986م.

43- السهيلي ،**الروض الأنف** ، ج 1 ،دون طبعة ،دار الفكر ، بيروت ،لبنان، 2008م.

44- سيد أمير علي ،**مختصر تاريخ العرب** ، ط 1 ،تر : عفيف البعلبكي ،دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان 1961م.

45- السيد عبد العزيز سالم ،**دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام** ،ج 1 ،د ط مؤسسة الجامعة ، الاسكندرية ، د ت .

46- سيف الدين الكاتب ،**أطلس التاريخ القديم** ، ط 6 ، المؤسسة العلمية للوسائل العلمية ،حلب ،سوريا ،2012م.

47- شعبان طاهر الأسود ،**علم الإجتماع السياسي** ، ط 1 ،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 2001م.

48- شكري فيصل ، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول** ، ط 3 ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ،1973م.

49- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ،**نهاية الأرب في فنون الأدب** ،ج 1 ،ط 1 ،تح :مفيد قميحة ، حسن نور الدين ،ج 2 ،ط 1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،2004 م.

50- شوقي ضيف ،**تاريخ الأدب العربي** ، العصر الجاهلي ، ط 24،دار المعارف القاهرة ،مصر 2003م.

51- صلاح البكري ،**تاريخ حضرموت السياسي** ، ج 1، القاهرة 1354هـ

52- الطبري ،**تاريخ الأمم و الملوك** ،ج 1 ،ط 1، مر: نواف الجراح ، دار صادر ،بيروت ، لبنان ،2003م.

53- عبد العزيز الدوري ،**مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي** ، بيروت ،1969م.

54- عبد العزيز صالح ،**تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة** ، دون طبعة ، مطبعة جامعة الفاهرة ،1992م.

55- عبد العزيز نبوي ،**دراسات في الأدب الجاهلي** ،ط 3 ،مؤسسة المختار ، القاهرة ، مصر 2004م.

56- عبد القادر بافقيه وآخرون ،**مختارات من النقوش اليمنية القديمة** ،د ط ، تونس، 1965م.

57- عبد الله أحمد الأزرقي ،**أخبار مكة** ، ط 1 ،تح :عبد الملك بن عبد الله بن دهيس ، مكتبة الأسدي الرياض ، السعودية ، 2003م.

58- عبد الله المغربي ،**الفكر السيكولوجي عند ابن خلدون** ،دون طبعة ، تح : محمد الشريف بن دالي حسين ،دار القصبة ، الجزائر 2009م.

59- علي عنان ،**تاريخ اليمن القديم** ، ط 1 ، المطبعة السلفية ، القاهرة ،1396هـ.

60- علي مزهر العكيلي ،**النظام السياسي في الإسلام** ، دون طبعة ، الأكاديمية العربية في الدنمارك ، 2014م.

61- فريدريك أنجلز ،**أصل العائلة و الملكية الخاصة و الدولة** ، دون طبعة ، تر :إلياس شاهين ، دون تاريخ

62- فيليب حتي ،**العرب تاريخ موجز** ،ط 6 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1991م.

63- قائد الشرجي ، **القرية و الدولة في المجتمع اليمني** ، ط 1 ، دار التضامن ، بيروت ، لبنان 1990م

64- قيس حاتم هاني الجنابي ، **تاريخ الشرق الأدنى القديم** ، ط 1 ، دار صفاء للنشر ، الأردن ،2014م

65- لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ،**شرح المعلقات السبع** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ،لبنان 2010م

66- لويس شيخو ،**النصرانية و آدابها** ، ج 1 ، دون طبع ، بيروت لبنان ،1912م.

67- محمد بن حسن ،**القبائل و الأرياف في العصر الوسيط** ،دون طبعة ،دار الرياح الأربع للنشر ، تونس 1986م.

68- محمد بيومي مهران :**تاريخ العرب القديم** ،دون طبعة ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1989م.

69- محمد بيومي مهران ،**الحضارة العربية القديمة** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ،1995م.

70- محمد سهيل طقوش ،**التاريخ الإسلامي الوجيز**، ط 5، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، د ت.

71- محمد عابد الجابري ،**العصبية و الولاة** ،ط 8 ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان 2001م.

72- محمد عبد القادر بافقيه ،**تاريخ اليمن القديم** ، دون طبعة ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ،1985م.

73- محمد علي محمد ،**علم الإجتماع السياسي** ، ط 1 ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، 1975م.

74- محمد فريد وجدي ،**دائرة المعارف القرن 20**، مج 4 ،دار الفكر ،بيروت ، لبنان ،د ت

75- محمد محمود جمعة ،**النظم الإجتماعية و السياسية عند قدماء العرب و الساميين** ،دون طبعة ، القاهرة ،1999م.

76- محمد يحي الحداد ، **تاريخ اليمن السياسي** ، دون طبعة ، منشورات المدينة المنورة ،1986م.

77- محمود عرفة محمود ، **العرب قبل الإسلام** ، ط1 كلية الآداب ، القاهرة ، مصر ،1995م.

78- المسعودي ،**التنبه و الإشراف** ، دون طبعة ، مر:عبد الله اسماعيل الصاوي ،مكتبة الشرق الإسلامية ،مصر ،1938م.

79- المسعودي ،**مروج الذهب** ، ج 2 ،ط 1 ، مر : كمال حسن مرعي ،المكتبة العصرية ، صيدا ،بيروت ،2005م.

80- مصطفى صادق الرافعي ،**تاريخ آداب العرب** ، ج 1 ، ط 5 ، دار الكتاب العرب ، بيروت ، لبنان ، 1999م.

81- **المفضليات** ،تح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، ط 6 دار المعارف ،القاهرة، مصر ، د ت .

82- موسل ، **شمال الحجاز** ، تر : عبد المحسن الحسيني ، ب ط ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ب ت .

83- نبيه عاقل ،**تاريخ العرب القديم و عصر الرسول** ، ط 3 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،1983م.

84- نيكولاس مولانتزاس ،**السلطة السياسية و الطبقات الإجتماعية** ، ط 2 ، تر : عادل غنيم ، دار ابن خلدون ،بيروت ، لبنان ،1983م.

85- هاشم يحي الملاح ،**العرب قبل الإسلام** ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان 2008م

86- الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ،ط 1 تح: محمد بن علي الأكوع ،مكتبة الإرشاد ،صنعاء ،اليمن 1990م.

87- وهب بن منبه ،**كتاب التيجان في ملوك حمير** ،حيدر أباد الداكن ،1347هـ.

88- ياقوت الحموي ،**معجم البلدان** ، ج 2 ، دون طبعة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،1986م.

89- يحي لطفي عبد الوهاب ،**العرب في العصور القديمة** ، ط 2 ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ،2010م.

90- اليعقوبي ،**تاريخ اليعقوبي**، ج 1 ،ط 1 ،شركة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان 2010م.

**ب– قائمة المراجع باللغة الأجنبية :**

1- B. Thomas ,**Arabia Felix ,** N Y , 1932

2- Caussin de Perceval ,**Essai Sur L' Histoire Des Arabes ,** T1 Librairie dekiruindidofréres , Paris 1987.

3- Dozy ,**Histoire des musulmans d' Espagne.** Leyde. E ,J,BRILL ,Imprimeur De L'univesité. 1861.

4- Dussaut ,**La pénétratio des Arabes en Syrie avant l'islam ;**Paris , 1955.

5- E. Littman ,**Deutsche AksumExpedition**, Vol IV ; Berlin.

6- Grahman (A) ,**Arabian ,** Munchen , 1963.

7- Hightscott ;**in hight Yemen ,** London , 1947.

8- I. Shahid :**Per Islamic Arabia in CHI , I ,** Cambridge.

9- Jamme (A) ,**a Saba comimsenipsions From quaryat**– ALFAW, WASHINGTON , 1993.

10- O'Leary (DealacyD.D ), **Arabia beforMuhamed**,EI , Vol 4 London , 1927.

11- O' stten ,**the sand kings of oman ,** London , 1947.

12- P. Hitti (P.K ) , **History of arabs ,** London , 1960.

13- Ryckmans ,**L'unstitut Monarchique en arabieMerdionale avant L'islam.** Louvain , 1951.

14- Shoff (W) ,**The Periplus of the erythraean sea ,** London , 1912.

15- Sir james , G , Frazer , **The golden bough a study in magic and religions ,** Vol I, London , 1974.

16- **W.F Albright The Chronology of Ancient South Arabian in the light of the first complain of Exavation in Qataban**, Baltimore ; 1950.

17- WindelePhilips ,**Qataban and Sheba** , London 1955.

**القواميس والمعاجم :**

**أ– باللغة العربية :**

1- ابن منظور، **لسان العرب** ، ج 1 ، ط 1 ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ،1988م.

2- البكري ، **معجم ما ستعجم من أسماء البلد و المواضع** ، ج 1 ،دون طبعة ، تح : مصطفى السقا ،عالم الكتب ،بيروت ،لبنان ،د ت

3- الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج 5 ، بدون طبعة، مطبعة حكومة الكويت، 1969م.

4- علي بن هادية، **القاموس الجديد للطلاب**، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ت.

5- محمد الغول وآخرون ،**المعجم السبئي**، ج 4 ،مركز البحوث والدراسات اليمن ، صنعاء، 1985م.

**ب – باللغة الأجنبية :**

1- Besslon and others **Sabaic Dictionary** , 1982.

**الرسائل الجامعية :**

–قائد الشرجبي ،**الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني** ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كلية علم الاجتماع ،1983م.

**المجلات و الدوريات :**

– سيد أحمد الناصري ، **تأملات و مشكلات تاريخ الجزيرة العربية** ،مجلة الدارة ، العدد 2 ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ،1991م.

– عبد الكريم البكر ،**قبيلة هجرت و دورها السياسي اليمني قبل الإسلام** ،مجلة المؤرخ العربي ، العدد 28 ، 1999م.

– شدياق منقوش, **دولة معين** ، مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية ، العدد 7 السنة 2 ، 1979م.

– بزة الباطيني, دولة سبأ عذراء ، مجلة الكويت ، العدد 93 السنة 9 ، 1990م.

﴿أ﴾

إبراهيم عليه السلام: 43، 75، 76، 77، 78، 176، 178

ابن الكلبي : 34

ابن خلدون : 67

ابن عباس : 121

أبو جبيلة :195

أبي بن سلول:196

أبي داوود جويرية :55

أجا : 17 ، 56

الإحساء: 18.

الأحقاف :20

الأحنف بن قيس :101

أدم :176

أذينة :213

أرام : 15

أرسطو:62، 64

أرض عنس :58

اساف :74

الإسكندرية : 26.

أسماعيل بن إبراهيم:43، 180

الأسود بن غفار :39

أسيا: 13

الأشوريين : 15، 39

الأعشى: 38، 40، 57

أغسطس :124، 152، 159، 208

إفريقيا : 13، 92، 147

الأفلاج :25

امرؤ القيس : 28، 76، 108، 114، 220

امرؤ القيس الأول:217.

الامويين : 24.

الأمويين :23.

أمية بن أبي الصلت :76

أميم بن لاوذ : 40.

الأنباط :14، 89، 91، 97، 202، 203، 204، 205، 206، 208، 209، 210

انجلز :63.

أنمار:55، 56.

أنوشروان:216.

أوروبا: 12.

أوسان:122، 135، 155، 156

إياد :بن نزار :55.

إياد:55، 56، 81

إيليوس جاللوس :159.

## ﴿ب﴾

باب المندب :13، 19، 92، 148، 178

بابل :23.

بادية الشام : 12، 202، 204، 210، 212، 218، 220، 223

بحر القلزم( البحر الأحمر):12، 15، 121

البحر المتوسط :13، 92، 95، 97، 205، 226

بحر الميت : 14، 211

البحرين : 17، 18، 51، 55، 58، 59، 96، 198، 214، 215، 218، 219

برزخ السويس :13

البزنطيين :219.

البصرة : 12.

بصرى :93، 209، 226

بلميرا:201، 211، 212.

بوريكة :202

## ﴿ت﴾

تبع الأكبر: 24 ، 158.

تبع بن مكرب :54.

تبوك : 16 ، 36، 39

تدمر :91، 96، 108، 210، 2111، 212، 213، 226

ترجان:209.

تعز :123

تمنع:96، 149.

تيطس:209.

تيماء : 20، 39، 81، 193

## ﴿ث﴾

ثامار:211.

ثعلبة بن عمرو:220.

ثقيف :73، 87، 90، 187، 188، 189، 190

## ﴿ج﴾

الجبل الأخضر: 19، 24

جبل السراة:17

جبل شمر : 20 .

جبلة بن الإيهم :223

جدة :16.

جذيمة الأبرش:215

جرهم بن عابر بن سام بن سبأ : 41.

جزيرة سناء : 14، 23، 78

جواد علي :126، 141

الجوف : 20، 143، 144، 145

جوهاء : 26.

## ﴿ح﴾

حاتم الطائي :56، 114

الحارث الأول :206.

الحارث الثالث :207، 208.

الحارث الثاني :206.

الحارث الرابع :208، 209

الحارث بن جبلة:221.

حباب بن عمرو : 38.

الحبشة : 23، 80، 94، 126، 138، 159

حجة :123.

الحجر : 16، 36، 216

حجر بن عمرو :55، 197، 198

الحديبية : 16.

الحديدة : 16.

حذيفة بن بدر:104.

حسان بن تبغ الحميري :40.

حضر موت : 18، 20، 24، 35، 54، 89، 122، 123، 136، 143، 145، 147، 149، 150، 156، 157، 158، 166، 170، 188، 197،

حقول صنعاء :58.

الحيرة :24، 43، 59، 70، 81، 89، 91، 107، 196، 198، 199، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 220، 221، 222، 226

## ﴿خ﴾

خديجة بنت خويليد :108.

خليج عدن : 13.

الخنساء :108.

خليج العقبة : 13، 20، 204

خليج عمان : 12، 13

خليج العربي : 12، 13، 18، 21، 26

﴿د﴾

دجلة و الفرات :20.

دريد بن الصمة : 33.

الدهناء : 17، 20.

الدواسر :25.

﴿ذ﴾

ذمار :123.

ذي المجان :98.

ذي قار:118.

﴿ر﴾

رأس الحد: 13.

رب آل :207.

رباح بن مرة :40 .

ربيعة بن حرام :179.

رعين :158.

ركمانس :139.

رودوكناكيس :127، 141، 142،

الرومان : 12، 14، 92، 122، 143، 158، 159، 193، 207، 208

ريسوت :58.

## ﴿ز﴾

الزباء : 216.

زبيد:16.

زمزم :43، 175.

زنوبيا :108، 213.

زهير بن أبي سلمى :76.

زيد بن عمرو بن نفل :76،77.

## ﴿س﴾

سام : 23 ، 35،

سام بن نوح: 36، 37، 41، 42، 192، 212

سبأ:128، 151، 155، 156، 158

سترابون:92، 129، 143، 145، 148، 152، 210

سرجون الثاني :39.

سلم بن نوفل :101.

سلمى : 52، 56

سليمان عليه السلام :212.

السماوة : 17، 19، 41، 42، 214

سوريا : 14، 80، 205، 206، 209، 222

سويد بن عامر المصطلقي :76.

سيحوت :123.

سيف بن ذي يزن:160.

## ﴿ش﴾

الشام : 1412، 13، 14، 16، 19، 20، 23، 25، 38، 41، 44، 58، 59، 60، 73، 77، 78، 80، 81، 82، 87، 92، 93، 95، 106، 107، 121، 138، 147، 159، 175، 176، 178، 195، 196، 202، 203، 204، 207، 210، 211، 212، 214، 216، 217، 218، 220، 221، 223،

شبوة : 95، 134، 150، 151، 157

الشجر : 182

شعيب بن مهرع :42.

شلمنصرالثالث:212.

الشموس :39.

الشنفرى:109.

## ﴿ص﴾

صالح بن أسف : 37.

صدق إيل:147، 150

صرواح:138، 153، 154، 168، 171

صعدة :123

صنعاء :15، 58، 123، 124، 145، 153، 160

صهيد: 88

الصين : 26، 63، 88، 96، 147، 214

## ﴿ط﴾

الطائف :16، 21، 29، 39، 41، 73، 81، 86، 87، 90، 95، 123، 186، 187، 188، 189، 190، 191

طرفة بن العبد :27.

## ﴿ظ﴾

ظالم بن أسعد :73.

ظفار:89، 95، 138، 157، 158

## ﴿ع﴾

عابر بن شالخ بن أرفخشد :36.

عامر بن الطرب :105

عامر بن الطفيل :100، 103، 114، 188

عبادة الأول:207.

عبادة الثالث:208.

عبد بن كلال :81.

عبد رب شمس :151.

عبيل بن عوص: 40، 192

عثمان بن الحارث :76

عدنان :43، 44، 45، 46، 47، 48، 54، 117، 178، 187، 197، 226

عدنان بن أدد :43.

عدوان بن عمر:189.

عرباية : 23.

العماليق : 40، 41، 43، 44، 178، 186

عمرو بن المنذر:218

عمرو بن جعيد :103.

عمرو بن حجر : 108، 198

عمرو بن ظرب:216.

عمرو بن عامر:192.

عمرو بن فهم :73

عمرو بن لحي :179

عمرو بن الخوث :58.

عمرو بن عدي :217.

عمرو مزيقاء :58.

عملوق : 39، 40.

عنترة بن شداد :115.

## ﴿غ﴾

الغساسنة :43، 59، 70، 80، 117، 218، 220، 221، 222، 223، 226.

## ﴿ف﴾

فاطمة بنت عمرو :179

الفرات :12، 14، 20، 89، 96، 210، 214، 215

فليبي:125، 126، 150، 151

فلسطين : 21 ،79 ، 80 ، 203.

فيميون :81.

الفرس :15، 40، 80، 93، 107، 117، 137، 160، 198ن 202، 217، 218، 219، 221، 223

## ﴿ق﴾

قتبان :122، 132، 136، 141، 148، 149، 151، 154، 155، 156، 167،

قديد :74.

قسطنطين الثاني :82.

قسي بن منبه :187،188.

قصي بن كلاب :106، 186، 190

القطيف : 18.

قنسرين : 12.

قنفذة:16.

قيس بن ساعدة :76.

قيس بن عاصم :101 ،104.

## ﴿ك﴾

كبادوكيا:212.

كحلان :149.

كسرى:219، .

كعب بن لؤي :58، 76، 92، 179، 180.

كعب بن لؤي بن غالب :76، 179.

كلاب بن مرة:179،180.

كلوديوس :209.

الكميت بن زيد الأسدي :56

كندة :43، 48، 54، 108، 196، 197، 198، 199، 226

الكوفة :214، 219

كيومرث : 40

﴿ل﴾

اللخميون :43

لوندن:163.

﴿م﴾

معين :69، 91، 104، 122، 136، 137، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 153، 155، 164، 168، 171، 193

المسعودي : 38.

المشقر :98.

موسى عليه السلام :78.

مأرب : 57، 58، 59، 89، 130، 138، 153، 154، 161، 168، 170، 171، 192، 193، 214، 218، 226

ماري :212.

ماكيفر :62.

مالك بن اليمان :58.

مالك بن عجلان السالمي :195.

مالك الثاني :209.

مالك الثالث:209.

المحيط الهندي : 12، 16، 18، 21، 89، 95، 121، 122، 138، 157

مخا :16.

مكة : 16، 35، 41، 43، 44، 52، 54، 58، 70، 71، 72، 73، 74، 81، 92، 93، 94، 95، 97، 122، 154، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 190، 191، 192، 197

المناذرة :73، 59، 117، 213، 219، 221

المنذر الأول :217.

المنذر الثالث:218.

المنذربن الحارث:222، 223

مصر :13، 14، 24، 63، 78، 88، 95، 132، 138، 147، 152، 159، 161، 178، 206، 207ن 226

معد بن عدنان :45، 117، 197

معد يكرب :147، 150

## ﴿ن﴾

النابغة الذبياني :211.

نائلة :74.

نجران : 25، 75، 82، 145، 155

نزار بن عدنان :187.

النعمان الأول :217.

النعمان :110، 180، 217، 218، 222، 223

النعمان بن المنذر:219، 222، 223

النفوذ : 19، 20، 122، 163، 165، 196، 208، 217

نولدكه :47.

نيرب بن باشلة :47

﴿هـ﴾

هاجر :43، 77، 178، 214

هجر : 18، 98

هرقل :81.

هرم بن سنان :104.

الهلال الخصيب : 13 ، 20.

همدان :58، 156

هود:36، 37.

هيرودوت :23.

﴿و﴾

وادي الرافدين : 13، 132.

وادي العقيق :191.

وادي القرى :38، 187، 205.

وادي بطحان:191.

وادي رانون :191.

وادي قناة:191.

وادي مذينيب :191.

وادي مهمزوز:191.

أوج: 208.

ورقة بن نوفل :76.

# فهرس البحث

# فهرس البحث

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ

**المدخل: جغرافية الجزيرة العربية**

1- الموقع، المساحة والأبعاد.....ص13

2- أقسام شبه الجزيرة العربية.....ص15

3- التضاريس والمناخ.....ص20

4- سكان شبه الجزيرة العربية.....ص23

5- الطرق والمسالك.....ص25

6- حيوانات ونباتات الجزيرة العربية.....ص27

7- تأثير العوامل الجغرافية على حياة سكان شبه الجزيرة العربية.....ص30

## الفصل الأول

**المبحث الأول: القبيلة**

1- تعريفها.....ص33

2- طبقات العرب.....ص34

3- طبقات القبائل.....ص46

**المبحث الثاني: العصبية القبلية:**

1- تعريفها.....ص49

2- مراحل تطور القبيلة.....ص53

3- هجرة القبائل العربية.....ص55

**المبحث الثالث: مصطلح الدولة**

أ- تعريف الدولة.....ص61

1- لغة.....ص61

2- اصطلاحا.....ص61

3- تعريف الدولة من الناحية السياسية.....ص62

4- تعريف ماكيفر.....ص62

5- نظرية التطور العائلي.....ص62

6- النظرية الدينية.....ص63

7- تعريف الدولة من خلال الفكر الماركسي.....ص63

ب- نشأة الدولة.....ص64

1- نظرية التطور العائلي.....ص64

2- نظرية العقد الاجتماعي.....ص65

3- نظرية القوة.....ص65

4- النظرية التطورية.....ص65

5- نشأة الدولة في الفكر الماركسي.....ص66

6- نشأة الدولة الشرقية ( الأسيوية ).....ص66

7- نشأة الدولة عند ابن خلدون.....ص67

ج- أركان الدولة.....ص69

**المبحث الرابع: دور الدين في القبيلة والدولة العربية:**

دور الدين في القبيلة والدولة العربية.....ص71

1- الوثنية والشرك.....ص72

2- الحنيفية.....ص75

3- اليهودية.....ص77

4- الديانة المسيحية (النصرانية).....ص79

## الفصل الثاني

### المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

1- الحياة الاقتصادية عند البدو.....ص85

2-الحياة الاقتصادية عند الحضر.....ص86

أ- الزراعة.....ص86

ب- الصناعة.....ص90

ج- التجارة.....ص92

### المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

1- مقومات المجتمع العربي.....ص98

أ- وحدة اللغة.....ص98

ب- وحدة الجنس.....ص98

ج- شبه وحدة دينية.....ص99

2- القبيلة العربية ونظامها.....ص99

أ- صفات سيد القبيلة.....ص100

ب- اختيار سيد القبيلة.....ص102

ج- مجلس القبيلة.....ص104

3- الحياة الاجتماعية.....ص108

أ- المرأة في المجتمع العربي.....ص108

ب- وأد البنات في المجتمع العربي.....ص109

ج- الزواج في المجتمع العربي.....ص110

د- تعدّد الزوجات في المجتمع العربي.....ص112
هـ- الطلاق في المجتمع العربي.....ص113
و- العادات والتقاليد العربية.....ص113

## الفصل الثالث

**المبحث الأول: التعريف باليمن ( أرضا وسكانا )**

1- تعريف اليمن.....ص121
2- البنية السكانية للمجتمع اليمني القديم.....ص125
أ- التركيبة السكانية.....ص125
3- النظام الاجتماعي اليمني القديم.....ص127

**المبحث الثاني: النظام الديني اليمني القديم**.....ص131

**المبحث الثالث: نشأة الدولة اليمنية القديمة وبنيتها**

1- نشأة الدولة اليمنية القديمة وبنيتها.....ص136
أ- دولة معين.....ص143
ب- مملكة قتبان.....ص148
ج- مملكة حضرموت.....ص150
د- مملكة سبأ.....ص151
هـ- الدولة الحميرية.....ص156
2- بنية الدولة اليمنية القديمة.....ص161
أ- نظام الحكم ومركز الملك.....ص161
3- النظام الإداري للدولة اليمنية القديمة.....ص163
أ- التقسيم الإداري.....ص163
ب- الجهاز الإداري.....ص164

ب- الجهاز المدني.....ص165
4- الموارد المالية للدولة اليمنية القديمة.....ص167
5- وظائف الدول اليمنية القديمة.....ص168
أ- الوظائف في المجال الزراعي.....ص168
ب- الوظائف في مجال التجارة.....ص169
ج- الوظائف في مجال الأعمال العامة الأخرى.....ص169
د- الوظائف في مجال النقش.....ص170

## الفصل الرابع

**المبحث الأول: مكة وأوضاعها السياسية**

1- موقع مكة.....ص175
2- تأسيس مدينة مكة.....ص176
3- مكة في عهد قصي.....ص179
4- الأعمال التي قام بها قصي في مكة.....ص181

**المبحث الثاني: التطور السياسي في الطائف ويثرب**

1- الطائف.....ص186
أ- مراحل تسليم ثقيف السلطة في الطائف.....ص189
ب- الأوضاع السياسية في الطائف.....ص189
2- يثرب.....ص191

**المبحث الثالث: دولة كندة وتطورها السياسي**

1- دولة كندة.....ص196
2- أشهر ملوك كندة.....ص197

## الفصل الخامس

**المبحث الاول: الأنباط**

1- تاريخ الأنباط.....ص202

أ- نشأة دولة الأنباط.....ص204

ب- أشهر ملوك الأنباط.....ص206

**المبحث الثاني: مملكة تدمر**

1- نشأة تدمر.....ص210

**المبحث الثالث: المناذرة**

1- دولة الحيرة: (المناذرة).....ص213

2- نشأة دولة الحيرة.....ص214

3- ملوك الأسرة اللخمية.....ص216

**المبحث الرابع: الغساسنة**

1- دولة الغساسنة.....ص220

2- أشهر ملوك الغساسنة.....ص221

**الخاتمة**.....ص225

**الملاحق**

فهرس ملاحق الخرائط.....ص229

**قائمة المصادر والمراجع**.....ص240

فهرس ملاحق الأماكن والأعلام.....ص250

فهرس البحث.....ص265